هذا الجمع يشتمل على كتاب محاسن
والطريق
وكتاب الذخيره لاهل البصيره

هذا الجمع يشتمل على كتاب
جمع الطرق

كل من بشم الله الرحمن الرحيم
نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين يا محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

وقف هذه النسخه الجليله سلطان الاسلام والمسلمين المعظم
مالك الرق والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان السلطان ابن السلطان السلطان
العادل محمود خان وقفا صحيحا شرعيا مؤبدا لا يباع ولا يوهب ولا يرهن
ملكه الله تحرم الفقير احمد سيح راد المعلش
عفر لهما

سبحان من أقام العباد فما أرا
أصحت وليس لي مراد إلا له الخلق
والأمر تبارك الله رب العالمين

اللهم يا فارج الهم يا كاشف الغم
يا صادق الوعد يا موفي العهد
لا إله إلا أنت سبحانك

كتب ربك إن الذنب مغفور واعلم بانك ان كنت
ماجور لا تظرد رسولي عن مراسيلي إن الرسل
قليل الذنب مأمور وارحم فؤادي وما يلقا
من شغف فالقلب في غمرات الحب مأسور
يا نور عيني ويا سمعي ويا بصري يا حب احرقة

كتاب ربح القلوب ولقا المحبوب

والله تعالى أعلم وهو يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

إن كل عبد في قبره ثلاث ورقات

إن لحاه الله كل ثلاث ورقات

كل ما لم يذكر اسم الله عليه

لم يسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم

جهنم بعيد ما هو

٤١٢٩٦

جهنم وبئس المهاد

لا تجعل بيننا وبين الله واعدائه غيرة كليبة

مغرما

لا يدري أيهما أقرب نفعه

بسم الله الرحمن الرحيم وبه العصمة والتوفيق

العلم شجرة تمرتها العبادة وفي بضاعة الاولياء وطريق الرشاد
وسبيل السعادة ومفتاح الجنة قال الله تعالى وامارتكم فاعبدوني
ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا لكنها عشة السبيل كثيرة
العقبات بعيدة المسافات كثيرة الموانع خفية المقاطع عزيزة القطاع
عزيزة الاتباع ولذلك قال صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت
النار بالشهوات ومع هذا فالعبد ضعيف والدين مراح والشغل كثير
والعمر قصير وسبيل العمل يعسير والناقل يصير فهذا عز قصد طريقها وعز من
القاصدين من سلكه ومن السالكين من يصل الى المطلوب ممن قصد وذلك
قليل فقد فاز وسعد ابد الآبدين ومن فاته ذلك كان من الخاسرين
الهالكين ولما وجد الشيخ رحمه الله الطريق بهذه الصفة اجتهد وامعن
النظر بكيفية قطعه وما يحتاج العبد من لابد منه من علم وعمل لعله لا
ينقطع دونه فصنف كتابه في قطع عقباتها كالاحياء وعمد واشحنها
بدقايق العلوم فاعتاصت على افهام العامة فقلصوا فيها ولعمري لم يزالوا
كذلك قال زين العابدين علي الحسين عليه السلام

ما رب جوهر علم لو ابوح به لقيل لي انت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي يرون اقبح ما يأتونه حسنا

فاقتضت الحال ان صنف كتابا يقع عليه الاجماع فيسر الله ذلك والحمد
ترتيبا عجيبا اذكر في مصنفاته الشاغلة فتياه منهاج العابدين

2

واستخرت الله تعالى واستخيته راجيا من الله ان يوفقني للعمل بمقتضاه
انه سميع مجيب وسميته الطريق المستقيم الى جنات النعيم فنقول
اول ما يتبنيه العبد لسلوك طريق العبادة بتوفيق الهي اشير اليه في
الكتاب العزيز افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وفي الكلام
النبوي بقوله صلى الله عليه وسلم ان النور اذا دخل القلب انفسح وانشرح
فقيل يا رسول الله هل لذلك علامة فقال التجافي عن دار الغرور والانابة
الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله ٥ يريد قبل كل شيء ان يجد
منعما ينعم عليه بضروب النعم كالحياة والقدرة والعقل والنطق وغيرها
ويصرف عنه ضروب المضار والافات وانه ان لم يشكر هذا المنعم ازال
عنه نعمته واذاقه بأسه ونقمته وان له رسولا منذرا بالمعجزات الخارقة
للعادات الخارجة عن مقدور البشر وانه اخبر ان له ربا جل ذكره قادرا
ان يعاقب من عصاه عالما بالاسرار وما يختلج في الافكار حيا آمرا بالطاعة
ناهيا عن المعاصي ذا وعد ووعيد فيقع في قلبه التصديق بذلك لان
العقل لا يحيله فيخاف عند ذلك من سوء المنقلب ويضطره القلق الى
النظر في الخلاص وحصول الامان ما وقع بقلبه فلم يجد سبيلا سوى
النظر بعقله فيستدل بالصنعة على الصانع فيحصل له اليقين بالغيب
ويعلم ان له ربا آمرا ونهاء فهذا اول عقبة يقطعها وهي عقبة العلم
فيستكمله بالاستشهاد من علماء الاخرة فتيعنه هذا اليقين على التشمير
للخدمة والاقبال على العبادة للمنعم الذي طلبه فوجده وعرفه بعدما

جهله لكنه يحتبر فيما يلزمه من خدمته بظاهره وباطنه فيتعلم ما يلزمه
من معرفة الله تعالى ومن الفرايض الشرعية ظاهرا وباطنا فاذا
استعمل العلم والمعرفة اخذ بعبيد فوجد نفسه ملطخة بالاثام غير صالحة
للخدمة فعزم على التوبة فقطعها كما ينبغي واخذ
في العبادة فوجد عوايق تحدقه تعوقه عن قصده وهي الدنيا
والخلق والشيطان والنفس فاضطر الى رفضها واستقبلته عقبة
العوايق فقطعها بالتجرد عن الدنيا والتفرد عن الخلق ومحاربة الشيطان
ووجد اشدها عليه النفس اذ لا يمكنه التجرد عنها ولا قهرها بالمرة اذ
هي مطية ولا مطمع له في موافقتها على الخير فلجمها بلجام التقوى ليبقى
له ولا يستطيع وتنقاد له فلا يطغى فيستعملها في المصالح والمراشد ويمنعها
عن المهالك والمفاسد فيقطع هذه العقبة ايضا ويلتفت الى عبادته
فيجد عوارض تمنعه عن قصده وهي الرزق تطالبه نفسه به واخطار
ما يخافه ويرجوه ويريده ويكرهه ولا يدري عاقبة شيء منها بماله والشدايد
والمصايب تنصب عليه شيما وقد انفرد عن الخلق وحارب الشيطان
وحط الغضاء لله سبحانه وتعالى مرة فيسارع الى التسخط ويبادر الى
التشكي فتقطع هذه التوكل ايضا بالتوكل في الرزق والتفويض في الاخطار
والصبر للشدايد والرضا واخذ في العبادة فاذا هو كسلان قليل
النشاط قابل الى الشهوات فاحتاج الى سايق الى الطاعة وزاجر
عن المعاصي فلقيه عقبة البواعث وهي الرجا لعظم ثواب الله تعالى

والخوف من اليم عقابه فقطعها واخذ في العبادة فلم يجد مانعا ولا
شاغلا بل باعثا فنشط للعبادة بشوق فاشتد امها فبدت له فيها
اقتان الرياء والعجب لانه تارة يراي بها الناس وتارة يلزم نفسه على ذلك
فيعجب بنفسه فلقيه عقبة العوادح فقطعها بالاخلاص وقطع المنة
واقبل على عبادته كما ينبغي فوجد نفسه غريقا في نعم الله عز وجل من
التوفيق والتسديد وغيرها من الالطاف الخفية فاستشعر الخوف
ان لم يشكر المنعم فلقيه عقبة الشكر فقطعها فاذا هو بمقصوده بين
يديه ولم يشعر الا قليلا حتى وقع في سهل الفضل وصحو الشوق وعرصات
المحبة ثم يقع في رياض الرضوان وبساتين الانس وبساط الانبساط
ومرتبة القرب ومجلس المناجاة ونيل الكرامات فيتنعم بهذه الحالة
ويتقلب في طيبها مدة حياته لشخص في الدنيا وقلبه الى العقبى ينتظر البريد
يوما فيوما لحظة فلحظة ومال الخلق وينسلخ من الدنيا ويحن الى
الموت ويشتاق الشوق الى الملك الاعلى فاذا هو برسل ربه العلي
بالروح والريحان والبشري والرضوان فيتقلونه في طيبة النفس
وكمال البشر والانس من الدار الفانية الى حضرة القدس ومقر
جنات النعيم فيري لنفسه العقبى نعيما وملكا كبيرا فيالها من
سعادة عظيمة ودولة دايمة ويالله من عبد مسعود وامر مغبوط
نسال الله البار الرحيم سبحانه ان يمن علينا وعليكم بهذه النعمة
وما ذلك على الله بعزيز ۞ فالعقبات في هذا الطريق

بسبع عقبة العلم وعقبه التوبه وعقبه العوايق وعقبه
العوارض وعقبه البواعث وعقبة البواعث وعقبه
القوادح وعقبه الشكر ۞ الاولي عقبه العلم العلم والعبا ۞
لاجلهما كان كل ما يري ويسمع من تصنيف ووعظ وتطريل لاجلهما
انزلت الكتب بل لاجلهما خلقت السموات والارض وما فيهما من الخلق
قال الله تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل
الامر بينهن لتعلموا ان الله علي كل شي قدير وان الله قد احاط بكل شي علما
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ۞ فاكرم بشيين هما المقصود
من خلق السموات والارض والجن والانس وما سواهما باطل وافضل
هذين هو العلم قال صلي الله عليه وسلم فضل العالم علي العابد
كفضلي علي امتي وقال صلي الله عليه وسلم نظرة الي العالم احب
الي من عباده سنه صيامها وقيامها وقال صلي الله عليه وسلم الا ادلكم
علي اشراف اهل الجنه قالوا بلي يارسول الله فقال علما امتي ۞
والعباده ثمره له فالشرف للشجره اذهي الاصل والانتفاع بالثمره فالجد
من اخذ بنصيب منهما قال الحسن البصري اطلبوا العلم طلبا لا يضر
بالعباده واطلبوا هذه العباده طلبا لا يضرها بالعلم ويجب تقديم العلم
علي العباده قال صلي الله عليه وسلم العلم امام العمل والعمل تابعه
وكان كذلك لوجهين احدهما ان معرفه المعبود متقدمه علي العباده
وان العلم ما كان العباده متقدم عليها فكيف يعبد من لا يعرفه

باسمايه وصفاته وما يجب له وما يمتنع عليه وكيف يات بطاعات لا
يعرفها او ينتهي عن معاصي لا يعرفها وملاك الامر في العباده الاعمال
الباطنه كالتوكل والتفويض والرضا والصبر والتوبه والاخلاص
وغيرها فلابد من تقدم العلم بها علي العباده ليخلص العابد قال
الله تعالي وعلي الله فتوكلوا ان كنتم مومنين ۞ واشكروا لي ان كنتم
اياه تعبدون ۞ واصبر وما صبرك الا بالله ۞ وتبتل اليه تبتيلا
اي اخلص اليه اخلاصا فما اقل حظ من اشتغل بالصلوه والصوم
واشتغل عن هذه الفرايض واعتد بذلك علي فتي علما الدنيا
الذين لا حظ لهم في الاخره قال صلي الله عليه وسلم نوم علي علم
خير من صلوه علي جهل الوجه الثاني ان العلم النافع يثمر خشيه
الله تعالي قال الله تعالي انما يخشي الله من عباده العلما
لان من لا يعرفه حق معرفته لم يهبه حق مهابته فقد تبين ان العلم
يثمر الطاعه ويحجز عن المعصيه وليس وراء هذين ما يقصد في
عباده الله تعالي قال النبي صلي الله عليه وسلم طلب العلم فريضه
علي كل مسلم ۞ والعلم المفروض ثلثه انواع علم التوحيد ۞ وعلم
الشرايع اي علم ما يتعلق بالقلب ومشاعيه ۞ وعلم الشريعه
فالذي يلزمه من علم التوحيد قدر ما يعلم به ان له الها عالما
قادرا حيا متكلما سميعا بصيرا واحدا لا شريك له متصفا بصفات
الكمال منزها عن سمات النقص لا لات الحدث متفردا بالقدم وان محمدا صلي الله

عليه وسلم عبده ورسوله الصادق فيما جآء به ثم مسائل في شعار
السنه يجب معرفتها ليلا يبتدع في الدين وبالجمله كل شئ لا تامن
الهلاك مع جهله فالعلم به فرض لا يسوغ تركه ۞ والذي يلزمه من علم
الشرع معرفه مواجبه ومناهيه حتى يحصل له تعظيم الله تعالى
والاخلاص والنيه وسلامة العمل وسياتي بيان ذلك ۞ والذي
يلزمه من علم الشريعة كل ما يتعين فرض فعله ۞ فاما العلم بنقض
حجج الكفار والمبتدعه وجل شبه من عرضت له شبهه من اهل السنه
ففرض كفايه حتى لو وجد شخص واحد قام بذلك سقط عن غيره
وما تعلم ذلك للمماراه والمجادله فزاه لا دواه له نعوذ بالله منه
وكذا لا يلزم ايضا فابق علم السنن بل معرفه ما ذكر من مواجبه ومعرفه
ما يفسد عليه عباده ليجتنبه والله يمن على من يشا من عباده
بتعليم ذلك من غير متعلم سواه والمعلم فاتح ومسهل والتحصيل معه
اسهل واروح ۞ وهذه العمته اعني عمته العلم كم درس من
سلكها قتل وعدل عنها فضل وكم من تردد فيها عمر واخر قطعها
في دهن يسير كل ذلك بيد الله عز وجل ومع ما تقدم من ذكر نفعه
ووقف امر العباده عليه فقد روي ان الله تعالى اوحى الى داود
عليه السلم فقال يا داود تعلم العلم النافع قال يا الهي وما العلم
النافع قال ان تعرف جلالي وعظمتي وكبرياي وكمال قدرتي على كل شئ
فهذا الذي يعوزك الي ۞ وعن علي كرم الله وجهه ما يسرني ان

لوميت طفلا وادخلت الجنه ولم اكبر فاعرف ربي فان اعلم الناس بالله
اشدهم خشيه واكرمهم عباده واحسنهم في الله نصيحة ۞ فابذل نفسك
في الاخلاص لطلب العلم طلب درايه لا طلب روايه ولا يطلبه ليصرف به
وجوه الناس اليك وتجالس به الامرا ويباهي به النظار وفي ذلك خطر
عظيم وتجاره بايره وصفقه خاسره قال ابو يزيد البسطامي علمت
في الجاهليه ثلثين سنه فما وجدت على اشد من العلم ۞ وهلاك الامه
في ذلك ان تعلم اذا نظرت في صنع الله تعالى ان لك الها قادرا عالما
حيا مريدا سميعا بصيرا متكلما منزها عن حدوث الكلام والعلم والارادة
مقدسا عن كل نقص وانه لا يوصف بصفات المحدثين ولا يجوز عليه
ما يجوز على المحدودين لا يشبهه شئ من خلقه ولا يشبهه شئ
ولا تتضمنه الاماكن والجهات ولا تحله الحوادث والافات واذا نظرت
في معجز الرسول صلى الله عليه وسلم علمت انه رسول الله وامينه
على وحيه وتعتقد ما اعتقده السلف من ان الله يوحي الى الرسل
وان القران كلامه تعالى غير مخلوق وليس بذي حروف مقطعه ولا
اصوات اذ لو كان كذلك لكان مخلوقا وانه لا يكون في الملك والملكوت
قلة خاطر ولا لفته ناظر الا بقضايه وقدره وارادته ومشيته
وان منه الخير والشر والنفع والضر والايمان والكفر وانه لا يجب
على الله تعالى لاحد من خلقه ثواب فان اثابه فبفضله وان عاقبه
فبعدله وان ما ورد على لسان النبي صلى الله عليه وسلم من الحشر

والنشر وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير والميزان والصراط حق فهذه
اصول اعتقاد السلف رضوان الله عليهم ثم اذا تطرق باعمال القلب والبقين
مواجبه ونواهيه التي سنذكرها ثم علم ما يحتاج اليه من الطهارة والصلوة
والصوم ونحوها من العبادات فقد صار من علماء امة محمد صلى الله عليه وسلم
وقطع عقبة العلم ه واما عقبة التوبة فقطعها واجب لامرين
احدهما التوفيق للطاعة فان شوم الذنوب يورث الحرمان ويعقب
الخذلان وكيف يدعى الى الخدمة مصر على المعصية ام كيف تقرب للمناجاة
متلطخ بالاقذار والنجاسات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا كذب العبد تجي الملكان من نتن ريحه ما يخرج من فيه فكيف هذا
اللسان لذكر الله عزوجل الامر الثاني لتقبل الطاعة منه فان التوبة
عن المعاصي وارضاء الخصوم فرض وعامة العبادات نفل والله تعالى
لا يقبل الهدية فكيف يقبل تبرعه والدين عليه حال لم يقضه وكيف
يناجي من هو غضبان عليه للاصرار على المعاصي والتوبة من مشاجي القلب
وحاصل قول العلماء فيها انها تتوبة القلب عن الذنوب وقيل هي ترك
اختيار ذنب سبق مثله عنه متوله لاصورة تعظيما وجذارا من سخط
الله تعالى فلها اذن اربعة اركان احدها ترك اختيار الذنب
اذ لو ترك الذنب ولم يترك اختياره لم يكن تائبا بل متمتعا والثاني
ان يكون الذنب الذي ترك اختياره قد سبق عنه مثله فانه لو لم يكن
قد سبق عنه مثله لكان بترك اختياره متقيا كالنبي عليه السلام

عليه السلام عن الكفر لا تائبا كعمر عنه والثالث ان يكون الذنب
تركه اختياره مثل الذنب الذي سبق عنه في المنزله لا في الصورة فان
الذنب سبق عنه قد يعجز عن الاتيان بمثله في الصوره كالشيخ الهرم
عن الزنا فلا تصح توبته عما هو عاجز عن الاتيان به والرابع
ان يكون ذلك الترك تعظيما لله تعالى وجذارا من سخطه فانه لو لم يكن
كذلك وكان خوفا من الناس او طلب ثناء وصيت او ضعيفا او قبيحا
لم يكن تائبا ه وللتوبة مقدمات ثلث تحمل عليها وتسوق العبد اليها
احدها ذكر قبح الذنوب والثانية ذكر شدة عقوبة الله تعالى
عليها والثالثة ذكر ضعفه عن احتمال مثل حر الشمس او ضرب
سوط فكيف يحتمل اليم العقاب في نار جهنم والضرب بمقامع الزبانية
وغيره من التنكيل نعوذ بالله من ذلك فاذا واظب هذه الاذكار
حملته على التوبة النصوح وقول النبي صلى الله عليه وسلم الندم توبة
ليس محمولا على ظاهره لان الندم عين معذور للعبد والتوبة معذوره
له ولانه لو ندم على الذنوب لكونها اذهبت ماله وجاهه بين الناس
لم يكن توبة اصلا فيحتمل الحديث على انه اذا تذكر المقامات الثلث
ندم فتاب فيكون الندم من اسباب التوبة ومن صفات التايب
فصح اطلاق اسم التوبة عليه ولا يستحيل ان يصير الشخص بحيث
لا يقع منه ذنب البتة وان اختلفوا في عصمة انبياء الله تعالى
اذ ذلك من الممكن والله يختص برحمته من يشاء ومن شرط

التوبة ان لا يحتقر العبد الذنب فان وقع منه شهوة وغلطا فهو
معفو عنه بفضل الله تعالى ولا يمنعك عن التوبة خوف العود الى
الذنب فذلك غرور الشيطان ه واعزم والتوفيق من الله تعالى
فان مت قبل العود الى الذنب فقد مت تائبا ووقع اجرك على الله
وان عدت الى الذنب قبل الموت فقد سقط عنك ما سلف من ذنوبك
قبلها ولم يبق الا ما احدثت ه واما كيفية الخروج عن الذنوب والتخلص
منها فاعلم ان الذنوب ثلثة اقسام احدها ترك واجبات الشرع
من صوم او صلوة او زكوة فتقضيه والثاني ما بينك وبين الله تعالى
كشرب خمر وسماع مزمار وغيره فتندم عليه وتعزم على ترك مثله
متوله في المستقبل والثالث مظالم العباد وهي اشدها وهي اما في
النفس او في المال او في الدين او في العرض او في الاهل فالتي في النفس
تمكن الولي من القصاص او يعفو ه والتي في المال يرده او يحلل المستحق
والتي في الدين كالتكفير والبديع تكذب نفسك عند من قلته وتستحل
منه ولذلك التي في العرض فان عجزت عن شيء من ذلك فتبتهل الى الله
تعالى ان يرضي خصمك عنك وتكثر من حسناتك لجعلها الله له في الاخرة
واما التي في الاهل لقرابة بعض نسايه او اولاده فلا وجه لذكره
وليس فيه حيلة الا الابتهال الى الله تعالى ان يرضي خصمه عنه فانه
تعالى اذا علم صدق العبد ارضى خصومه من خزاين فضله فاذا
فعل ذلك وصمم العزم على الترك في المستقبل فقد برئ من الذنوب كلها

وان برأ القلب عن الذنوب ولم تقض الفوايت ولا ارضى الخصوم والتبعات ٨
باقيه لازمه وسايرا الذنوب مغفوره ولهذا الباب شرح طويل تجده في
المصنفات الكبار كالاحيا علوم الدين وهذه العقبة صعبة جدا وضررها
عظيم ه نقل عن الاستاذ ابي اسحق الاسفرايني رحمه الله عليه وكان
من العلما الراسخين انه قال دعوت الله سبحانه وتعالى ثلثين سنة ان
يرزقني توبة نصوحا فتعجبت في نفسي وقلت سبحان الله حاجة دعوت
الله تعالى فيها ثلثين سنة وما قضيت الى الآن فرايت في المنام قايلا يقول
لي اتعجب من ذلك اتدري ما ذا تسال الله تعالى ان يحبك انما
سمعت قوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ه واما عظيم
ضررها فان اول الذنب فشوه واخره والعياذ بالله شوم ويصح ذلك
قصة ابليس وبلعم بن باعورا اذ كان مبدا امرهما ذنبا واخره كفرا فهلكا
مع الهالكين ابد الابدين ه ولا تستحقر الذنب فتحسب نفسك تايبا
وانت مصر على الكبايرقال بعض الصالحين سواد القلب من
الذنوب علامة ذلك ان لا تجد للذنوب مفزعا ولا للطاعة موقعا
وعن كهمس بن الحسن انه قال اذنبت ذنبا فانا ابكي عليه منذ اربعين
سنة قيل ما هو يا ابا عبد الله قال زارني اخ فاشتريت له سمكة ثم قمت
الى حايط جاري فاخذت منه قطعة طين فغسلت بها يدي ه وبذكر
حال ادم عليه السلام وقد خلقه الله بيده وحمله الى جنته على اعناق
الملايكة كيف اخرجه منها بذنب واحد وانه بكى على ذنبه مايتي سنة

حتى غفر الله له وقبل توبته ۞ ولقد احسن القايل يخاف على نفسه
من يتوب فكيف ترى حال من لا يتوب ۞ ويا من عاد الى الذنب بعد
التوبه عد الى التوبه لعلك تموت قبل العود الى الذنب ولا تكن في التوبه
اعجز منك في الذنب قال الله تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم
نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ۞ وقال صلى الله
عليه وسلم خياركم كل مفتن توابا بي كثير الا بتلا ما بالذنوب ۞ فاذا
برات قلبك من الذنوب ووطنته على عدم المعاودة على وجه يعلم الله
صدق عزمك وارضيت الخصوم ما امكنك وقضيت الفوايت حسب
قدرتك ورجعت في البواقي الى الله تعالى ثم اغتسلت وطهرت ثيابك
وصليت اربع ركعات بخشوع تام ثم وضعت وجهك على الارض في مكان
لا يراك فيه الا الله تعالى ووضعت التراب على راسك ومرغت وجهك
عليه وتضرعت الى الله تعالى غايه التضرع وعددت ما امكن من ذنوبك
ووبخت نفسك على سوء فعلها ثم قلت الهي عبدك الابق رجع الى بابك
عبدك العاصي رجع الى الصلح عبدك المذنب اتاك بالعذر فاعف
عني بجودك وتقبلني بفضلك وانظر الي برحمتك ثم تدعو دعاء التشه
وهو ياحي عظايم الامور يا منتهى همة المهمومين يا من اذا اراد امرا فانما
يقول له كن فيكون احاطت بي ذنوبي انت المدخر لها يا مذخور
لكل شدة كنت ادخرتك لهذه الساعه فتبحل انك انت التواب الرحيم
ثم تكثر من البكا والتذلل وتقول يا من لا يشغله سمع عن سمع ما ين

لا تغلطه المسايل يا من لا يرمه الحاح الملحين اذقني برد عفوك وحلاوة
رحمتك انك على كل شي قدير ثم تصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ما لكت
ثم تستغفر للمومنين والمومنات وتبادر الى طاعتك فقد تبت حينيذ
توبة نصوحا وعدت كيوم ولدتك امك وقطعت هذه العقبه رزقنا
الله واياكم قطعها العقبة الثالثة عقبة العوايق اولها الدنيا
ومن لم يقطعها بالتجرد عنها لم يتيسر له عباده لانه ما لم يتجرد عنها كان
ظاهره مشغولا بطلبها وباطنه مشغولا بارادتها واعلم ان الدنيا والاخره
كضرتين كلما ارضيت احديهما اسخطت الاخري وكالمشرق والمغرب
كلما قربت من احديهما بعدت عن الاخر ۞ قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من احب دنياه اضر باخرته ومن احب آخرته اضر بدنياه
فاثروا ما يبقى على ما يفنى ۞ قال ابو الدرداء اذا ولت بين العباده
والتجاره فلم تجتمعا فترك التجاره واقبلت على العباده وقال
عمر رضي الله عنه لو كانتا مجتمعتين لاحد قبلي لاجتمعتا لي لما اعطاني
الله تعالى من القوة واليقين ۞ واذا كان الامر كذلك فاحراز بالغايه
اولي ۞ قال سلمان الفارسي اذا زهد العبد في الدنيا استنار
قلبه بالحكمة وتعاونت اعضاوه في العباده وبالزهد يكثر قيمة العمل
ويعظم قدره قال صلى الله عليه وسلم ركعتان من رجل زاهد
قلبه خير واحب الى الله جل جلاله من عباده العابدين الى اخر الدهر
والزهد زهدان زهد مقدور للعبد وهو ثلثة اشياء ترك طلب المفقود

من الدنيا ن وتفريق المجتمع منها ن وترك اختيارها وارادتها ن
وزهد غير مقدور للعبد وهو برودة الشيء على قلب الزاهد ولعمري ان هذا
هو الزهد الحقيقي والمقدور عليه مقدمة لعيني المقدور عليه فمن لم يطلب
ما ليس عنده من الدنيا وفرق ما عنده منها ولم يختر هما بردت على قلبه بالضرورة
واشد الثلثة عدم الارادة بالقلب قال الله تعالى تلك الدار الاخرة
نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا ن علق سبحانه
وتعالى الحكم على نفي الارادة دون الطلب والفعل وقال تعالى من كان
يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها
وما له في الاخرة من نصيب ن من كان يريد العاجلة الآية ن ومن
اراد الاخرة الآية فالاشارة انما هي الى الارادة ن واذا واظب العبد على
ترك طلب ما لا يجده وفرق ما عنده انعم الله عليه بارادة ذلك لطفا
من رحمته ن ولا بد من شيء من معايب الدنيا للسهل تركها والتجرد عنها
قال بعضهم ترك الدنيا لقلة غنائها وكثرة عنائها وسرعة فنائها
وخسة شركائها وفي هذا القول رائحة الرغبة لان من شكا فراق
شيء لحب وصاله ومن تركه لخسة الشركاء يقبل عليه لو انفرد ولقد
احسن من قال الدنيا عدوة الله وآفة محبه ومن احب هذا ابغض
اعداء الدنيا جيفة ضحت بطيب وطويت بزينة فاغتر ظاهرها
الغافلون وزهد فيها العاقلون والزهد زهدان زهد في الحلال
ثقل وزهد في الحرام فرض والحلال عند مستقيمي الطباعة

ذكر الدنيا

كالطاعة كالميتة لا يتناول منها الا قدر الحاجة وقت الضرورة واما
الحرام عندهم كالنار لا يخطر ببالهم قصد تناوله بحال وهذا
معنى يردها على القلب لانه اذا انقطعت همته عنها واستقذرها
جدا لم يبق له ارادة فيها والناس في امر الدنيا رجلان رجل معتزل بنيتها
ورجل علم افاتها ومثلهما في تعاطي الزهد فيها كرجلين قدم اليهما
خبيص حسن الصنعة من السكر وما يتبعه واحد الرجلين قد شاهد
دسم فيه والآخر لم يشاهده فالاول هذا الخبيص عنده كالنار
في اشد والثاني مقبل عليه متعجب من اعراض صاحبه عنه مزر عليه
بذلك فهذا مثل الحرام عند اهل البصيرة واهل الاستقامة والجاهل
المتعجب فيه فلو لم يبق فيها سما بل قذره وامتخط فيه وعطاه وزينه
فالمشاهد لهذا تنفر نفسه عنه ولا يتناول منه شيئا الا لضرورة
وهذا مثل الحلال عند الفريقين والفرق بين الرجلين ان احدهما
عالم والآخر جاهل والتمييز يكون بالبصيرة لا بالطبع والزهد
الحقيقي اختيار ترك غير ما لا بد منه من الحلال في قوام البنية ليتقوى
للعبادة سواء كان القدر المحتاج اليه حاصلا عندك او تطلبه بسبب
من الاسباب او بوجه من الوجوه المباحة او اتاك الله به من حيث
لا تحتسب قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب ن فان قويت على عدم الطلب كنت من الفائزين
وان لم تقو فانو بالطلب التقوية على العبادة فان ذلك لا يقدح في

زهدك والله اعلم ن العابق الثاني الخلق جب على من اراد العبادة
الجمعة الانفراد عن الخلق لانهم يشغلون عنها بل يمنعون منها بل
يرمون بحالطهم في الشر والهلاك قال بعضهم مررت بجماعة
يتراموں وواحد جالس بالبعد منهم فاردت ان اكلمه فقال ذكر الله
اشهى الي فقلت انت وحدك فقال معي ربي وملكاي فقلت من سبق
بين هولاي فقال من غفر الله له فقلت ابن الطريق فاشار بيده الى
السماء وتركني وقام وقال حاتم للاصم رحمة الله عليه طلبت
من الخلق خمسة اشياء فلم اجد طلبت منهم الزهد فلم يفعلوا فقلت
فاعينوني عليها ان لم تفعلوا فلم يفعلوا فقلت ارضوا مني ان فعلت فلم
يفعلوا فقلت لا تمنعوني عليه ان لم انا بعكم ففعلوا فتركتهم واشتغلت
بخاصة نفسي واعلم ان العزلة في هذا الزمان مما امر به رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو انصح لك منك لنفسك بل ومن زمن التابعين
روى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال بينا نحن حول
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ ذكر الفتنة وقال اذا رايت
الناس مرجت عهودهم وخفت امانا تهم وكانوا هكذا وشبك اصابعه
بين اصابعه قلت ما تصنع عند ذلك جعلني الله فداك قال
الزم بيتك واملك عليك لسانك وليسعك وخذ ما تعرف ودع
ما تنكر وعليك بامر الخاصة ودع عنك امر العامة وعنه انه
عليه السلام ذكر امر الهرج فقيل وما ايام الهرج فقال حين لا يامن

الطاعة

الرجل

الرجل جليسه وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم
قال للحرث بن عميرة ان يدفع عن عمرك شبابي عليك زمان قليل علامة
كثير خطباء كثير سؤاله قليل معطوه الهوى فيه فاسد العلم قال
وميتة ذاك قال اذا اميتت الصلوة وقبلت الرشا وبيع الدين بعرض
يسير من الدنيا فالنجا وبك ثم النجا ن وايضا فالسلف الصالح حذروا
من زمانهم وتواصوا بالعزلة فيه وهم ابصر وانصح وقد كان زمانهم
خيرا من هذا الزمان قال يوسف بن اسباط سمعت الثوري
يقول والله لتحولت للعزلة وعن سفين ايضا انه كتب الى عباد
الخواص اما بعد فانك في زمن كان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
ورضي عنهم يتعوذون بالله ان يدركوه فيما بلغنا وهم من العلم ما
ليس لنا فكيف بنا حين ادركناه على قلة علم وقلة صبر وقلة اعوان على
الخير وكثرة من الدنيا وفساد من الناس ن وقال عمر رضي
الله عنه العزلة خير من قرين السوء وقيل مثل ذلك
هذا الزمان الذي كنا نحذره في قول كعب وفي قول ابن مسعود
ان دام هذا ولم يحدث له غير لم يبك ميت ولم يفرح مولود
وعن ابن عيينة انه قال للثوري اوصني فقال اقلل من معرفة الناس
فقال يرحمك الله اليس قد جاني الخبر اكثر وا من معرفة الناس
فان لكل مومن شفاعة قال ما احسبك رايت قط ما تكره الا من تعرف
قال فقلت اجل ثم مات فرايته في المنام بعد موته بحج فقلت اباعبد الله

اوصني قال اقلل من معرفة الناس فان التخلص منهم شديد وقيل
وما زلت مذ لاح المشيب بمفرقي افتش عن هذا الوري واكشف
فما ان عرفت الناس الا ذممتهم جزا الله خيرا كل من لست اعرف
قال الفضيل هذا زمان احفظ لسانك فيه واخف مكانك
وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وقال داود الطائي
صم عن الدنيا واجعل فطرك الاخرة وفر من الناس فرارك من الاسد
وقال ابو عبيد ما رايت حكيما قط الا قال في عقب كلامه ان
احببت ان لا تعرف فانت من السلامة على بال ٥ وفي مخالطة الناس
افة اخرى فادحة من الفوادح وهي الرياء والتزين لهم قال
يحيى بن معاذ دوية الناس بشاط الرياء ٥ وذكر ان هرم بن حيان
قال لاويس القرني يا اويس صلنا بالزيارة واللقاء فقال قد
وصلتك بما هو خير منهما وهو الدعاء في ظهر الغيب لان الزيارة
واللقاء يعرض فيهما التزين والرياء ٥ وقيل لسليمن الخواص
قد قدم ابرهيم بن ادهم افلانا تيه فقال لان القي شيطانا ماردا
احب الي من لقائه فانكر ذلك من قوله فقال اني اذا لقيته
لاخاف ان اتزين واذا لقيت شيطانا امتنع منه ٥ وفي ايام
الحرمين رضي الله عنه بعض المعارفين فتذاكرا مليا ثم دعا بي
اخر جد يهما وقال للعارف ما اظنني جلست مجلسا انا له ابكي
من مجلسي هذا فقال العارف لكني انا ما جلست مجلسا اخوف

من مجلسي هذا الست تعمد الي احسن حديثك وعلومك فتحدثني
بها وتظهرها بين يدي وكذلك انا فقد وقع الريا فبكى امام الحرمين
حتى غشي عليه وكان بعد ذلك يتمثل ويقول
يا ويلنا من موقف ما به اخوف ان يعدل الحاكم
يا رب عفوا منك عن مذنب اشرف الا انه نادم
فاذا علمت ان الاشتغال بالناس يشغلوك عن عبادتك ويفسدون عليك
تحصيل ما حصل منها فقد وجبت العزلة عليك والاستعاذة من
شر الزمان واهله ٥ والناس في هذا العزلة رجلان احدهما
لا حاجة بالناس اليه في علم او بيان حكم والاولى بهذا التفرد وعدم
المخالطة الا في جمعة وعيد وحج ومجلس فان كان يتشوش عليه
امره بهذه المخالطة يتفرد في مكان لا يجب عليه فيه شيء فيه
مخالطة كرؤس الجبال وبطون الاودية وهل يعذر في المقام بين
اظهر من يلزمه الجمعة والجماعة مع الترك لتشويش حاله يحتمل
ذلك جلي محنة الاسلام رحمه الله عليه قال رايت بمكة
جرسها الله بعض المشايخ المنفردين من اهل العلم وهو لا يحضر
المسجد الحرام في الجماعات مع قربه منه وسلامته حاله فجاورته
في ذلك في يوم من ايام تردد الي فتذكرت في عذره انه لا يثاب بعذره
ما ناله من الآثام والسقطات بلقاء الناس ٥ والرجل الثاني
عالم يقتدي بعلمه ويحتاج الناس في دينهم اليه فلا يسعه الاعتزال

عن سمرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر احدكم
فليتحول ان مقعد صاحبه او يحول صاحبه من مقعده

عنه بل ينصب نفسه بينهم لخلق الله تعالى ذابا عن دينه حتى
لاحكامه ه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا ظهرت البدع
وشكت العالم فعليه لعنة الله وجكي ان الاستاذ ابا بكر بن
فورك رحمه الله قصد التفرد عن الخلق لعبادة الله فبينما هو في
بعض الجبال اذ سمع صوتا يا ابا بكر اذ صرت من حجج الله على خلقه
تركت عباد الله فرجع وقال الاستاذ ابو اسحق رحمه الله
لعباد لبنان ما اكله الحشيش تركتم عباد الله في يد المبتدعه
وانفردتم ها هنا يا كلون الحشيش فقالوا نحن لا قوة لنا بلقاء
الناس وانما اعطاك الله القوة على ذلك فلزمك ذلك فصنف
بعد ذلك كتابه الجامع الجلي والخفي وهذا الرجل المحتاج
اليه يحتاج في مقامه بين الناس الى امرين شديدين احدهما
صبر طويل وحلم عظيم ونظر لطيف واستعانه بالله دايه والثاني
ان يكون في هذا المعنى منفردا عنهم وان كان بالشخص معهم فان
كلموه كلمهم وان زاروه زارهم على قدرهم وشكرهم وان سكتوا عنه
واعرضوا عنه اغتنم ذلك منهم وان كانوا في حق وحين ساعدهم وان
صاروا الى لغو وشر خالفهم وهجرهم وان دعي قولهم رد عليهم ه
وزجرهم ويراعي حقوقهم في الزيارات والعيادات وقضاء الحوائج
المرفوعة اليه ما امكن من غير توقع مكافاة ولا يظهر استيحاشا
منهم ويباسطهم بالبذل ان قدر وينقبض عن الاخذ ان اعطي

بنور الوجه وتسرع الجفا وتقطع الرزق واما التي في
التي في الاخرة فغضب الرحمن وسوء الحساب والخلود في النار الاخرى

١٢

ويحتمل الاذى ويظهر البشر ويحمل بظاهره ويكتم حاجاته عنهم
ويفاشيهم ويعالجهم في شره وباطنه ويجعل لنفسه حظا من
العبادة الخالصه قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان نمت
بالليل لاضيعن تفسي وان نمت بالنهار لاضيعن الرعيه فكيف
لي بالنوم بين هذين وقد قيل شعر

فان كنت في هذي الليه راغبا فوطن علي ان ترتكبك الوقايع
بنفس وفور عند كل كريهة وقلب صبور وهو في الصدر ماتع
لسانك مخزون وطرفك ملجم وسرك مكتوم لذي الريب ذايع
وفكرك معمور وبابك مغلق وسترك بسام وبطنك جايع
وقلبك محزون وسوقك كاسد وفضلك مدفون وطعنك ناقع
وفي كل يوم انت جارع غصه من الدهر والاخوان والقلب طايع
نهارك شغل الناس من غير منه وليلك سوق غاب فيه الطلايع
فدونك هذا الليل خذه دريعه ليوم عبوس عز فيه الذرايع

وقال امام الحرمين لحجة الاسلام رحمهما الله عليهما يا بني
عش مع اهل زمانك ولا تعتد بهم قال ما اشد هذا
العيش مع الاحياء والاقتداء بالاموات وقال ابن مسعود
خالط الناس وزايلهم ودينك لا تكلمنه ه فاذا ماجت الفتن
وتزاجر الامر ووبي للناس عن امر الدين مدبرين لا يلوون على
عالم ولا يرمقون مفيدا وعمت الفتنه العامه ودبت الى الخاصه

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاموال والفروج والانشربه
في الجنة الدينار

فللعالم العذر في العزله والتفرد وفي العلم هذا ان كان ضعيفا
فان كان قويا في ذات الله تعالى كالابدال مكنه من حضور جماعات
الاسلام حيث كانت فقد جاء في الخبر ان الارض تطوى لهم ويادون
بالتحيات ويتحفون بانواع الكرامات فهنيا لهم بذلك واحسن لله عزا
من عقل عن النظر في خلاص نفسه واعان الطالب الذي لم يصل
الى مقصوده ٥ شعر

ظفر الطالبون وانصل الوصل وفاز الاحباب بالاحباب
وبقينا مذبذبين حيارى بين حد الوصال والاجتناب
نرتجي القرب بالبعاد وهذا نفس حال المحال للالباب
فاشفقنا شريته منك تذهب الهم وتهدي الى طريق الصواب
يا طبيب السقام يا مرهم الجرح ويا منقذي من الاوصاب

وقول النبي صلى الله عليه وسلم رهبانيه امتي الجلوس في المساجد
محمول على انه في عني زمن الفتن او ان يكون في المسجد شخصه ٥
ومعناه منفردا عنهم وهو معنى العزله قال ابرهيم بن ادهم
كن واحدا جامعيا ذا انس من ربك ومن الناس وحشيا والطريقه
المثلى في هذا الشان لعامة اهل العلم والاجتهاد سلوني مدارس علما
الآخره وربط الصوفيه ما لكي طريق الآخره لان فيه جمع الفايد
بين العزله عن الناس ومشاركتهم في جموعهم الشريفه ٥ واهل
الرياضه والاجتهاد ان كانوا ثابتين على ما ورثوه من السلف الصالح

فطريق المريد معهم الملازمة للاشتغال بهم وان كانوا غير ثابتين
على ذلك الطريق فلازمه زاويته وكف لسانه ٥ مشاركتهم في خيراتهم
ومجانبتهم في سايراحوالهم وافاتهم اولى به فيكون في عزله عن اهل
العزله منفردا عن المنفردين ولا ينبغي مفارقه مدرسته
او رباطه لصلاح يراه في نفسه او لتجنب آفه تلحقه بسبب
الصحبه فان هذه الاماكن كالحصن المانع من الشياطين فاذا
خرج منها يختطفه الشياطين ويحيط به الافات فان كان قويا
في ذات الله جاز له ذلك مع ان الاحوط ملازمة الحصن وزياده
الاخوان في الله كثير الفوايد عظيمة البركه لكنها مشروطه
بامرين احدهما الاقتصاد وعدم الاكثار قال صلى الله
عليه وسلم لابي هريره زر غبا تزدد حبا والثاني التحفظ من الريا
والتزين كما تقدم ٥ والباعث على العزله والانفراد ثلثه
امور احدها استغراق الوقت بالعباده فان الانس بالناس
من الافلاس ان الفراغ الى سلامك قادني ولربما عمل الفضول
الفارغ ٥ فاذا عانقت عبادتك استانست بكتاب الله ٥
فاستوحشت عن الخلق وانفردت عنهم فقد قيل ان موسى كان
اذا عاد من المناجاة استوحش من الناس ووضع اصبعيه في
اذنيه من كلامهم والثاني قطع الطمع عنهم بالمره ليهون امرهم
عندك فان من لا ترجوه ولا تخافه وجوده وعدمه عندك سوا

والثالث ذكر الافات اللازمه من مخالطتهم فمتى لازمت هذه
الاذكار الثلث طردتك عن محبة الخلق الى جناب الحق العابث
الثالث الشيطان ولا بد من محاربته لتسلم منه اذ هو عدو
لا يقنع بدون هلاكك قال الله تعالى الم اعهد اليكم يا بني
ادم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين ان الشيطان
لكم عدو فاتخذوه عدوا ه وهذا غاية التحذير وهو مجبول على العداوة
منتصب للمحاربة اناء الليل واطراف النهار يرميك بسهامه وعداوته
للبر والفاجر ولكن ايها المتصدي للعلم والعمل خاصة لانك اخذت
في مكايده ومعاطبه فتحفظ منه فان له عليك اعوانا اشدها
نفسك وهواك وله اسباب ومداخل انت عنها غافل ولقد صدق
يحيى بن معاذ الرازي حيث قال الشيطان فارغ وانت مشغول
والشيطان يراك وانت لا تراه وانت تنساه وهو لا ينساك ومن نفسك
للشيطان عليك عون ه فاذن لا بد من محاربته وقهره والا فلا
تامن الهلاك ه والاهل الطريق في دفعه طريقان احدهما
الاستعاذه بالله منه فهو كلب عقور مسلط من الله على عباده فلا
يصده عنهم سواه والثاني انه لا بد من محاربته ومخالفته فانه
يسلطه كما سلط الكفار وابتلانا بجهادهم قال الله
تعالى وليعلم الله الذين امنوا منكم شهدا وقال تعالى ام حسبتم
ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين

والطريق العدل الجمع بين الامرين فنستعيذ بالله منه ونجاهده
ونحاربه حيث وجدناه ومحاربته وقهره بثلثة امور احدها العلم
بمكايده فانه يفر منك كما يفر اللص اذا احس به صاحب الدار
والثاني عدم الالتفات الى دعوته فانه كالكلب النابح ان اقبلت عليه
ولعب بك ولج وان اعرضت عنه سكت والثالث الاكثار من ذكر الله
تعالى فقد قيل ان ذكر الله يعمل في جنب الشيطان كما يعمل الاكله في
جنب ابن ادم وطريق معرفه مكايده ان تعلم ان له وساوس
بمنزلة السهام تعرف بمعرفة الخواطر وله حيل بمنزله الشباك تعرف
بمعرفة المكايد واوضاعها ومجاريها فاما الخواطر فاعلم ان الله
تعالى وكل بقلب ابن ادم ملكا يدعوا الى الخير يقال له الملهم ولدعوته
الهام وسلط في مقابلته شيطانا يدعوا الى الشر يقال
له الوسواس ولدعوته وسوسه وقد يدعوا الشيطان الى خير
وقصده به الشر كدعوته الى امر مفضول ليترك به الافضل او الى
خير يجره به الى ذنب عظيم كالعجب فهذان داعيان فايمان على
قلبه يدعوانه وهو يسمع ه روي في الاخبار انه اذا ولد لابن ادم
مولود قرن الله سبحانه وتعالى به ملكا وقرن الشيطان به
شيطانا والشيطان حائم على اذن قلبه الايسر والملك جاثم على
على اذن قلبه الايمن يدعوانه وعن النبي صلى الله عليه وسلم ه
للشيطان لمة بابن ادم وللملك لمة يعني تره بالدعوة من قولهم

لم بالمكان والم اذا نزل به ثم ركب الله سبحانه وتعالى في بنية
الانسان طبيعة مايله الى الشهوات وميل اللذات كيف كان حسنة
ام قبيحة وهو هوى النفس الصارف الى الافات فصارت الدعاة
ثلثة والخواطر هي اثار تحدث على قلب العبد بيعثه على الاحوال
والتروك وتدعوه اليها وسميت خواطر لاضطرابها من خطرات
الذر ونحوه وجدوتها جميعا في قلب العبد من الله سبحنه وتعالى
بالحقيقة فمنه اربعة اقسام منها ما تحدثه الله ابتدآ في قلب الانسان
فيقال له الخاطر فقط وقسم يحدثه موافقا لطبع الانسان فيقال
له هوى النفس وقسم تحدثه عقيب دعوة الملك الملهم فينسب
اليه ويقال له الهام وقسم يحدثه عقيب دعوة الشيطان فينسب
اليه ويقال له الوسوسة فهذه اربعة خواطر والخاطر
الذي يكون من الله تعالى ابتدآء قد يكون خيرا كرامة والزاما للحجة
وقد يكون شرا امتحانا وتغليظا للمحنة والخاطر الذي يكون
من قبل الملهم لا يكون الا خيرا اذ هو ناصح ومرشد وموكل لذلك
والخاطر الذي يكون من قبل الشيطان لا يكون الا شرا اغراء
واستزلالا وقد يكون خيرا مكرا واستدراجا والذي يكون من قبل
هوى النفس يكون بالشر وبالاخير فيه ۞ وعن بعض السلف
ان هوى النفس يدعوا الى خير والمقصود منه شر كالشيطان
ولا بد من معرفة الفرق بين خاطر الخير وخاطر الشر في الجملة

ومعرفة الفرق بين خاطر شر ابتداي او شيطاني او هواي
فكل منها يختص نوع من الدفع ۞ ومعرفة الفرق بين خاطر
خير ابتداي او الهامي او شيطاني لتتبع الاول وتجنب الثالث
اما الفرق بين خاطر الخير وخاطر الشر فبان يعرضه على الشرع
فان وافق جنسه فهو خير وان خالفه فهو شر فان لم تجد ذلك
فاعرضه على الاقتدآء فان كان فعله اقتدآ بالصالحين فهو خير
وان كان بالضد اتباعا للطالحين فهو شر فان لم تجد فاعرضه
على النفس والهوى فان نفرت عنه النفس نفرة طبع لا نفرة
خشية فهو خير وان مالت اليه ميل طبع لا ميل رجآ فهو شر
والفرق الذي بين الشر الذي يكون من الشيطان او من
النفس او من الله ابتدآ انك ان وجدته مصمما راتبا على حالة
واحدة فهو من الله ابتدآ او من هوى النفس وان وجدته متردد
مضطربا فهو من الشيطان ۞ وقد مثل بعض العارفين
هوى النفس بالنمر اذا جاربك لا ينصرف الا بقمع بالغ وقهر
ظاهر وبالخارجي الذي يقاتل تدينا لا يرجع حتى يقتل
مثل الشيطان بالذيب كلما اخرجته من جانب جآ من جانب
آخر وان وجدته عقيب ذنب اسلفته فهو من الله تعالى
قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ۞
واول الذنب خاطر واخره دين وان وجدته لا عقيب ذنب

اسلفته فان زال بذكر الله تعالى والاستعاذه به من الشيطان
فهو من الشيطان وان لم يزل بذلك فهو من نفسك والفرق
بين الخير الذي يكون من الله تعالى والخير الذي يكون من الملك
من ثلثة وجوه احدها ان كان مصمما غير متردد فهو من الله
والا فهو من الملك ٥ الثاني ان كان عقيب طاعة اسلفتها
فهو من الله قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا والثالث ان كان في الاصول والاعمال الباطنة
فهو من الله تعالى وان كان في الفروع والاعمال الظاهرة
فهو من الملك اذ الملك لا اطلاع له على باطن العبد في قول الاكثر
والفرق بين الخير الذي يكون من جهة الله تعالى او من الملك
وبين الخير الذي يكون من الشيطان استدراجا واستغوائك
ان وجدته مع نشاط وعجلة وامن وعمى العاقبة لا مع خشية
وتأن وخوف وبصيرة في العاقبة فهو من الشيطان وان وجدته
مع خشية وتأن وبصيرة في العاقبة لا مع نشاط وعجلة وامن
وعمى العاقبة فهو من الله تعالى او الملك ٥ واما الحيل
والمخادعات فتعرف بالمكايد كما علمت ٥ ومكايده من سبعة
اوجه احدها ان يهي عن الطاعة فان عصم الله العبد
بان رده وقال لابد منها لمكان حاجتي اليها امره بالتسويف
فان عصمه الله تعالى بان قال ليس اجلي بيدي وان لكل وقت عملا

امره بالعجلة فان عصمه الله بان قال قليل العمل مع اتمامه خير
من كثير غير تام امره باتمام العمل مرايا للناس فان عصمه الله
بان اخلص لله تعالى اوقعه في العجب فان عصمه الله تعالى بان
راى المنة في ذلك لله تعالى دونه اذ وفقه للقيام بهذه الطاعة
اياه من وجه سادس وهو اعظمها وهو ان يقول اجتهد
انت في الشر والله يظهره عليك فان عصمه الله تعالى ورده
بان قال يا ملعون الى الآن كنت تأتيني من وجه افساد عملي
والان تأتيني من لتفسد اخلاصه انا عبد لله تعالى ان شاء
اظهر وان شاء اخفى فيأتيه من وجه سابع ويقول لا
حاجة لك الى هذا العمل لانك ان كنت خلقت سعيدا لا
يضرك تركه وان خلقت شقيا لا ينفعك فعله فان عصمه الله
ورده بان قال انما انا عبد وعلي امتثال امر ربي يحكم ما يشاء
ويفعل ما يريد فقد خلص من مكايده خلصنا الله واياكم منها
السابق الرابع النفس تفسك الامارة اشد اعدائك
واكثرهم ضررا ودواؤها عضال مشكل الدواء لامرين احدهما
انه عدو من داخل ولص البيت تضيق الحيلة عن التحفظ
منه ولقد احسن القائل ٥

نفسي الي ما ضرني داعي بكثرة استابي واوجاعي
كيف احتيالي من عدوي اذا كان عدوي بين اضلاعي ٥

والثاني عدو محبوب والانسان عم عن عيب محبوبه لا يكاد يبصر
عيوب الرضا عن كل عيب كليله ولكن عين السخط تبدي المساويا ه
فتستحسن منها كل قبيح فما تشعر الا وقد اوقعتك في هلاك الا ان
يحفظك الله منها بفضله ويعينك عليها برحمته ه ثم انظر تر ان
اصل كل فتنة وهلاك وفضيحة وخزي وافه وقع في خلق الله تعالى
منذ بدء الخلق الى يوم القيمة من قبل هذا النفس فابليس عبد الله
تعالى ثمانين الف سنة فيما قيل والقاه في بحر الضلال غريقا
ابد الابدين بعد القضاء السابق هوى النفس بكبرها وحسدها
اذ لم يكن هناك ذنب ولا خلق ولا شيطان وادم وحوا عليهما
السلام طرحتهما شهوة النفس وحرصها على البقاء والخيوة
حتى اغترا بقول ابليس فسقطا من جوار الله تعالى الى هذه
الدنيا الحقيرة وقصة قابيل وهابيل سببها الحسد والشح
وحديث هاروت وماروت سببه الشهوة وهلم جرا لا تجد في
الخلق فتنة او ضلالة او قبيحة او معصية الا وسببها هوى
النفس ومن له عدو بهذه الصفة يجب عليه الاهتمام بامره
والتوفيق من الله ه وقد علمت انه لا يجوز قهرها بالمرة
لانها مطية لا بد منها في اكتساب الخيرات وان كانت لا تامر
الا بشر ه دعي بعض الاعراب لرجل فقال كبت الله كل عدو
لك الا نفسك ه ولا يمكن امهالها بالمرة لضررها فلا بد من

الجامها بالتقوى وفي جرون جامحه لانقياد للحام فلا بد من
تذليلها اولا بمنع الشهوات فان الدابة اذا نقص علفها تذللت
وثانيا بثقل الطاعات لان الدابة اذا ثقل حملها مع نقص علفها
فان بذليلها ابلغ وثالثا بالاستعانة بالله والتضرع اليه
ليعين على امرها قال تعالى على لسان يوسف ان النفس
لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ه فاذا واظبت الامور الثلثة
انقادت لك باذن الله تعالى فتملكها وتلجمها وتامن شرها
والتقوى كنز عزيز فيه خيرات الدنيا والاخرة قال تعالى
وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور ه وان تصبروا
وتتقوا لا يضركم كيدهم شيا ه ان الله مع الذين اتقوا ه
والله سميع المتقين ه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من
حيث لا يحتسب ه يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا
سديدا يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ان الله يحب المتقين
ه انما يتقبل الله من المتقين ه ان اكرمكم عند الله اتقاكم ه الذين
امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة
ه ثم ننجي الذين اتقوا ه وسيجنبها الاتقى ه فخيرات الدنيا
والاخرة في هذه الايات للمتقين فلا تنس نصيبك منها ه
ومدار امر العبادة على اصول ثلثة احدها التوفيق والتاييد
والثاني اصلاح للعمل والثالث قبوله لان من وفقه الله تعالى

وايده بطاعته واصلح عمله وتقبله منه كان من الفايزين وقد علمت ان
هذه الامور الثلثه للمتقين وعدهم بها جل وعلا في الايات المذكوره
مع ما وعدهم به فيها من الخيرات العظام وقيل من اتقى الله فذالك
الذي سبق اليه المنجر الراح وقيل من عرف الله فلم تغنه معرفته فذالك
الشقي ۞ ما نفع العبد بعد الغنى والعز كالعز للمتقي ۞
وكتب على قبر ۞ ليس زاد سوى التقى فخذي منه او دعي ۞
ثم هب انك عبدت الله تعالى بغاية اجتهادك واخلاصك الست
الذي لا ينتفع بها ان لم تكن معبوله وقد قال عز من قايل انما
يتقبل الله من المتقين ۞ وعن عايشه انها قالت ما اعجب رسول
الله صلى الله عليه وسلم شيء من الدنيا ولا اعجبه احد الا ذو تقا
وعن قتاده قال مكتوب في التوره يا ابن ادم اتق الله ونم حيث شيت
وعن عامر بن عبد قيس انه بكى عند موته وكان يصلي كل يوم وليله
الف ركعه ثم ياتي الى فراشه فيقول ما وفي كل شر اما والله ما
رضيتك لله طرفه عين فقيل له ما يبكيك فقال قوله تعالى انما
يتقبل الله من المتقين ۞ قال بعض الصالحين لبعض
اشياخه اوصني فقال له اوصيك بوصية الله رب العالمين للاولين
والاخرين قوله تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من
قبلكم واياكم ان اتقوا الله الايه ۞ وقد علمت ان الله تعالى اعلم
بصلاحك وانصح لك وارحم وارف بك من كل احد فلو كانت خصله

وعن ابن عباس ... العزه ... كما في صحيح مسلم ... ما عشيها ... من الله ما عشيت ... وقيل ... تعظيم الامر كان ... السوره ... ما الله اعلم به ... من حوايل ملصوته ... قال العاوردي ... معاني القرآن له ... فان قيل لم اختصرت السوره ... الامر ... من عموم ما من الشي ... قيل السوره

اصلح للعبد واجمع للخير من التقوى لاوصي بها ان اعلم ان هذه الخصله
هي عظيمه في نفسها فانها لا تنال الا باجتهاد عظيم لان المكارم على
حسب المعارم واللذات على حسب المؤديات قال تعالى والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ۞ واعلم ان التقوى حقيقة هي تبريه
القلب عن ذنب لم تسبق عنك مثله فهي للعبد بقوة عزمه على الترك
وقايه بينه وبين المعاصي واصل لفظه التقوى وقوي وهو مصدر
الوقايه يقال وقي يقي وقايه ووقيّ وابدلت عن الواو تاء كالوكلان
والتكلان فاذا صارت وقايه بين العبد والمعاصي لقوة عزمه
على تركها وصف بانه متقي والتقوى في القران بثلثه معاني احدها
احدها بمعنى الخشيه والهيبه قال الله تعالى فاياي فاتقون
واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله والثاني بمعنى الطاعه والعباده
قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته قال
ابن عباس اطيعوا الله حق طاعته ۞ قال مجاهد هو ان يطاع فلا يعصى
ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر والثالث بمعنى تنزيه القلب
القلب عن الذنوب وهذا هو حقيقتها قال الله تعالى ومن يطع
الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فاولئك هم الفايزون فبان ان
حقيقه التقوي شي سوي الطاعه والخشيه وهو تنزيه القلب كما ذكرنا
ومنازل التقوي ثلثه تقوي عن الشرك وتقوي عن البدع وتقوي
عن المعاصي وقد ذكرها الله عز وجل في ايه واحده وهي لبس على الذين امنوا

وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات
ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا ۝ التقوي الاولي تقوي عن الشرك
والايمان فيها اقرار بالتوحيد والتقوي الثانيه تقوي عن البدع والايمان
فيها اقرار بالسنة والجماعة والتقوي الثالثه تقوي عن المعاصي المؤبقة
والاقرار في تركها فقابلها بالاحسان وهو استقامة الطاعة هكذا ذكره
علما الدين ۝ وجاء التقوي بمعني ترك فضول الحلال قال صلي
الله عليه وسلم انما سمي المتقون متقين لتركهم ما لا باس به حذرا
عما به باس فالتقوي اذا اجتناب كلما خاف منه ضررا في دينك وحدها
الجامع تربيه القلب عن شر لم يسبق منك مثله بقوة العزم علي
تركه حتي يصير ذلك وقايه بينك وبين كل شر ۝ ثم الشر ضربان
شر اصلي هو ما نهي عنه كالمعاصي المحضه وشر عن اصلي وهو ما نهي عنه
تاديبا وهو فضول الحلال كالمباحات الماحوه بالشهوات والاولي
تقوي فرض يلزم بتركها العذاب ومن اتي بها كان في الدرجة
الادني من المتقوي وهي منزله مستقيمي الطاعه والثانيه تقوي
ادب يلزم بتركها الحبس والحساب واللوم ومن اتي بها كان في الدرجه
العليا من التقوي وهي منزله مستقيمي المباح ومن جمع بينهما
بترك كل معصيه وفضول فقد استكمل معني التقوي وجمع كل خير
وذلك هو الورع الكامل وهو منزله الادب علي باب الله سبحانه وتعالي
فمن قوي عزمه ومنع نفسه عن كل معصيه وصانها عن الفضول

وابتغي الله في عينه واذنه ولسانه وقلبه وبطنه وفرجه وجميع اركانه
وقد الجم نفسه بلجام التقوي اما العين فقد قال الله تعالي قل
للمومنين يغضوا من ابصارهم وتحفظوا فروجهم ذلك ازكي لهم ان الله
خبير بما يصنعون في هذه الايه مع قصرها ثلثه معان عزيزه تاديب
وتنبيه وتهذيب اما التاديب فامره تعالي بغض البصر وحفظ الفرج
فمن لم يمتثل امر سيده فهو شئ الادب محجوب عن حضرته واما
التنبيه فقوله تعالي ذلك ازكي لهم ويحتمل معنيين احدهما ذلك اطهر
لقلوبهم لان التركيه التطهير والثاني ذلكم لخيرهم والكثر لان
الزكاه في الاصل النمو فنبه تعالي علي ان في غض البصر تطهير القلب
وتكثير الطاعه والخير فان لم يغض الانسان بصره وارخي عنانه تطر
الي ما لا يعنيه فان وقع علي حرام وتعمد فقد اذنب وربما تعلق قلبه
بذلك فهلك وقد روي ان العبد لينظر النظرة فيغل بها قلبه
كما يغل الاديم في الدباغ لا ينتفع به ابدا وان وقع علي مباح اشتغل به
قلبه بجاه الوسواس والخواطر السيئه وقد لا يصل اليه فيبقي مشغول
القلب منقطعا عن الخير وقد قيل عن عيسي صلوات الله علي نبينا
وعليه اياكم والنظره فانها تورع في القلب الشهوه وكفي بها لصاحبها فتنه
وقال ذو النون بغم حاجب الشهوة غض الابصار ولقد احسن القائل
وانت اذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر
رايت الذي لا كله انت قادر عليه ولا عن بعضه انت صابر

فمن كان غاض البصر لا ينظر الى ما لا يعنيه كان نقي الصدر فارغ القلب
منشرح الصدر عن كثير من الوسواس سالم النفس عن الافات واما الثاني
فقوله تعالى ان الله حنيني بما يصفون فكفى بهذا تحذيرا لمن خاف مقام
ربه فهذا ما في الاية وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
النظر الى محاسن المراة سهم من سهام ابليس فمن تركها اذاقه الله
طعم عبادة تسره فان وجدان حلاوة العبادة ولذة المناجاة من العابد بن
بمكان وهذا مجرب عند من عرفه وايضا فكل عضو له كرامة تخصه
في الدار الاخرة فللرجل المشي في رياض الجنة وقصورها وللبد تناول كاس
الشراب وثمار الجنة وللعين النظر الى رب العالمين سبحنه وتعالى فليس
كرامة اجل من كرامتها فضيانتها رجا لهذه الكرامة من اهم امور الدين
واما الاذن فينبغي ان يصان السمع عن الخنا والفضول لامرين
احدهما ما روي ان المستمع شريك المتكلم وقد قيل
تحرز من الطرق اوساطها وعد عن الجانب المشتبه
وسمعك صن عن سماع القبيح كصون اللسان عن اللفظ به
فانك عند استماع الكلام شريك لقايله فانتبه
والثاني ان ذلك يهيج الخواطر والوسواس في القلب ومنه تبدو
الاشغال في البدن فلم يبق للعبادة اثر والكلام الواقع في السمع كالطعام
الواقع في الجوف فمنه ضار ونافع ومنه غذا ومنه سم بل بقاء
الكلام ابلغ فان الطعام يزول عن المعدة بنوم وغيره فان بقي له اثر لم يزل

قوله دوا

قلبه دوا يزيله والكلام الواقع في القلب قد يبقى مدة العمر ولا ينسى
بوجه ان كان رديا فلا يزال متعبا تردد بسببه الخواطر والوساوس
في القلب ويحتاج الى ان تعرض عنها وتعدل بقلبه عن تذكرها ويستعيذ
بالله من شرها ولا يامن ان تخطه على بليه وحركه حتى يقع اخر الامر في
افة عظيمة فمن حفظ سمعه عما لا يعنيه استراح عن جميع ذلك
واما اللسان فينبغي حفظه وضبطه فانه اشد الاعضا جماحا وطغيانا
واكثرها فسادا وعدوانا قال سفين بن عبد الله قلت يا رسول الله
قلت يا رسول الله ما اكثر ما تخاف علي فاخذ عليه السلام بلسان نفسه
ثم قال هذا وقال يوسف بن عبيد اني وجدت نفسي تحتمل مؤنة
الصوم في الحر الشديد والبرد ولا تحتمل ترك كلمة لا تعنيها فعليك
اذن بحفظه جدا في حفظه حفظ خمسة اصول احدها حفظ
جميع الاعضا فقد روي ابو سعيد الخدري ان ابن آدم اذا اصبح
يكون الاعضا كلها تخاف اللسان وتقول تشدك الله ان تستقيم
فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا والمعنى فيه
والله اعلم ان نطق اللسان يوثر في الاعضاء الانسان
بالتوفيق والخذلان ويؤكد ذلك ما حكي عن مالك بن دينار انه
قال اذا رايت قساوة في قلبك ووهنا في بدنك وحرمانا في
رزقك فاعلم انك قد تكلمت فيما لا يعنيك الاصل الثاني حفظ
وقتك فان اكثر ما يتكلم الانسان من غير ذكر الله عز وجل يكون

لغوا مضيعا للوقت ۞ ذكر ان حسان بن ابي سنان مر على
غرفه فقال منذ كم بنيت هذه ثم اقبل على نفسه وقال يا نفس
الغرور تسالين عما لا يعنيك وعافيتها بصوم سنه ولقد احسن
القايل ۞ اغتنم ركعتين في ظلمة الليل اذا كنت خاليا مستورا
واذا ما هممت باللغو في الباطل فاجعل مكانه تسبيحا
والاصل الثالث حفظ الاعمال الصالحة فان من لم يصن
لسانه وقع لا محاله في غيبة الناس كما قيل من كثر لغطه كثر
سقطه والغيبة صاعقه مهلكه للطاعات فقد قيل مثل من
يغتاب الناس كمن نصب منجنيقا فهو يرمي به حسناته شرقا
وغربا ويمينا وشمالا ۞ وروي عن الحسن انه قيل له يا ابا سعيد
ان فلانا اغتابك فبعث له طبقا فيه رطب وقال له بلغني
انك اهديت الى حسناتك فاحببت ان اكافيك ۞ وذكرت
الغيبه عند ابن المبارك فقال لو كنت مغتابا اغتبت ابي لانهما
احق بحسناتي ۞ وذكر ان حاتم الاصم فاته قيام ليله فعزته
امراته فقال ان اقواما صلوا بالليل البارحه فلما اصبحوا لاموا
بني فتكون صلوتهم يوم الغنيمه في ميزاني ۞ الاصل الرابع
السلامه من افات الدنيا فقال سفين لا اتكلم بلساني
ما يكبر لساني ۞ وقال اخر لا ابسط لساني فيفسد
عليك شانك وقيل ۞ ۞ ۞

احفظ لسانك لا تقول فتبتلى ان البلا موكل بالمنطق
احفظ لسانك ان اللسان سريع الى المرء في قتله ولابن المبارك
وان اللسان دليل الفواد يدل الرجال على عقله ۞
لسان المرء ليث في كمين اذا خلي عليه له اغاره ولابن المعتز
فصنه عن الخنا بلجام صمت يكن لك من بليات يساره
وفي المثل السائر رب كلمة تقول لصاحبها دعني ۞ الاصل
الخامس ذكر افات الاخره وعافتها فانه اذا تكلم فيما لا
يعنيه اما ان يقول قولا محضورا او قولا مباحا لا يعنيه والاول
فيه عذاب الله الذي لا طاقه له به فقد روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال ليله اسري بي نظرت في النار
فرايت ما اكلون الجيف فقلت يا جبريل من هولاي قال
هولاي الذين ياكلون لحوم الناس وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ
اقطع لسانك عن حمله القران وطلاب العلم ولا تمزق الناس بلسانك
فتمزق كلاب النار ۞ عن ابن قلابه ان في الغيبه خراب القلب واما
المباح ففيه اربع امور احدها شغل الكرام الكاتبين بما لا خير
فيه ولا فايده وحق للمرء ان يستحي منهما قال ابن دينار
تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد والثاني اهمال
كتاب الله تعالى من اللغو والهذر فليحذر العبد من ذلك وليخش الله
عز وجل وذكر ان بعضهم نظر الى رجل يتكلم بالخنا فقال يا هذا

انما تملى كتابا الى ربك فانظر ما ذا تملى والثالث قراءته يوم القيمه
بين يدي الملك الجبار على رؤس الاشهاد في الشدايد والاهوال
عطشان عريان جيعان منقطعا عن الجنه محبوسا عن النعم
والرابع اللوم والتقيير لما ذا قلت وانقطاع الحجه والجبا من رب
العزه وقد قيل اياك والفضول فان حسابه يطول وكفى بما في هذه
الاصول واعظا لمن اتعظ ۞ واما القلب فعليك بحفظه واصلاحه
وحسن التطر وبذل المجهود فيه فانه اعظم هذه الاعضا خطرا
واكرمها اثرا ولنذكر فيه خمسة اصول منعه الاول قوله تعالى
يعلم خاينة الاعين وما تخفي الصدور ۞ يعلم ما في الصدور ۞
انه عليم بذات الصدور ۞ وقد كرر ذكره كثيرا في القران وكفى باطلاع
الخبير تحذيرا وتهديدا للخواص من العباد لان المعامله مع علام
الغيوب خطره فانظر ما ذا يعلم من قلبك والاصل الثاني
قول الله تعالى ان الله لا ينظر الى صوركم وابشاركم وانما ينظر
الى قلوبكم فالقلب اذن موضع نظر رب العالمين فما اخسر من
يهتم بموضع نظر الخلق فيغسله وينظفه من الاقذار والادناس
ويزينه بما امكنه ليلا يطلع مخلوق على عيب فيه ولا يهتم بقلبه الذي
هو نظر ربه فيطيبه من الخبايث ويطهره من الادناس ليلا يطلع موضع
رب العزه على دنس وشين وافه فيه بل يشحنه بقبايح وفضايح
واقذار واوزار لو اطلع الخلق على شي منها لهجروه وطردوه ۞

الاصل الثالث ان القلب ملك مطاع وبيس متبوع والاعضا كلها ٢٢
تبع له واذا صلح المتبوع صلح التابع واذا استقام الملك استقام الرعيه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجسد مضغه اذا
صلحت صلح الجسد واذا فسدت فسد الجسد الا وهي القلب
واذا كان صلاح الكل في ذلك وجب صرف العنايه اليه ۞
الاصل الرابع ان القلب خزانه كل جوهر نفيس للعبد وكل
معين خطير له اولها العقل واجلها معرفه الله عز وجل التي هي
سبب سعاده الدارين ثم البصاير التي بها التقدم والوجاهه
عند الله تعالى ثم النيه الخالصه في الطاعات التي بها يتعلق ثواب
الابد وانواع العلوم والحلم التي هي شرف العبد وسايير الاخلاق
الشريفه فحق لمثل هذه الخزانه ان يحفظ ويصان عن الادناس
والافات ويحرس من السراق والقطاع ويكرم ويجل بضروب
الكرامات ليلا تدنس تلك الجواهر ولا يظفر بها والعياذ بالله
والاصل الخامس انك اذا تاملت حاله وجدت له خمسه احوال
ليست لغيره من الاعضا احدها ان العدو قاصد اليه
يقبل عليه فان الشيطان جاثم على قلب ابن ادم فهو منبع الالهام
والوسوسة منادي ابدا بدعوتي الملك والشيطان والثاني
ان الشغل له اكبر فان الهوى والعقل كلاهما فيه فهو معرك
عسكرهما وجنودهما وهو ابدا بين تجاربهما ولقايهما فحق بالمغير

ان يحرس ابدا ويحصن والثالث ان العوارض له اكثر فان الخواطر
كالسهام لا تزال تقع فيه كالمطر لا ينقطع ابدا ولا يقدر على الامتناع
عنها اذ ليس كالعين له جفنان يغمضهما ويستريح او يكون في موضع
خال او مظلم فنلقي رديها ولا كاللسان الذي هو وراء حاجبين و
الاسنان والشفتين وانت قادر على منعه وتسكينه بل هو عرض
لخواطر تتعذر عليك المحافظة عنها بحال ولا ينقطع عنك في وقت
من الاوقات والنفس مسارعة الى ابتاعها والامتناع عن ذلك يحوج
الى طاقة امر شديد ويحتمه عظيمه والرابع ان علاجه عليك
عسير اذ هو غيب عنك فلا تكاد تشعر حتى تدب فيه آفة وتحدث
له حالة فيحتاج ان تبحث عن ذلك ايام البحث والخامس ان الافات
اليه اسرع وهو بالانقلاب اقرب وقد قيل ان القلب اسرع
انقلابا من القدر في غليانها ولذلك قيل ما سمي القلب الا من تقلبه
والراي يضرب بالانسان لطوارق ثم ان ذل القلب والعياذ
بالله قرللة عظيم ووقوعه اصعب واقطع ادناه قسوة القلب وميل
الى غير الله تعالى ومنتهاه كفر بالله تعالى قال تعالى واستكبر
حمله التكبر قلبه على الاباء والكفر بظاهره وقال تعالى
لكنه اخلد الى الارض واتبع هواه ن فكان الميل واتباع الهوى
بقلبه فحمله على الذنب المشوم نفسه وقال تعالى ونقلب
افيدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون

ولهذا المعنى خاف عباد الله الخواص على قلوبهم وبكوا على سخطها وصرفوا
عنايتهم اليها قال الله تعالى في وصفهم يخافون يوما تتقلب فيه
القلوب والابصار جعلنا الله وايا كم من المعتنين بالغين المهتمين
لمواضع الخطر الموفقين لاصلاحها بحسن النظر انه ارحم الراحمين
فقد بان ان امر القلب مهم جدا واعلم ان المعاني التي تصلحه و
والافات التي تفسده والافعال والمساعي الواجبة والمحمودة
كثيرة جدا مشروحة في الكتب المطولة كاحياء علوم الدين وغيره
ولكن نذكرها هنا الاصول التي لا بد من ذكرها في علاج القلب
والحاجة ماسة اليها ولا غنية عنها البتة في شان العبادة وهي
اربعة امور هي مداخل العابدين وافات المجتهدين وفتن القلوب
وبليات النفوس وهي الامل والاستعجال والحسد والكبر واربعة
في مقابلتها هي قوام العبادة واصلاح القلوب وهي قصر الامل والتاني
في الامور والنصيحة للخلق والتواضع والخشوع فمن بذل المجهود
في التجرد عن هذه الافات وتحصيل هذه المناقب فقد ظفر بالمقصود
ومن تمكنت منه الافات وفاتته المناقب فقد خسر الدنيا
والاخرة ذلك هو الخسران المبين لان طول الامل عاين عن
كل خير جالب لكل شر في موقع في اربعة اشياء مهلكة احدها ترك
الطاعة والكسل فيها لان الانسان اذا طال امله سوف بعمله
قال داود الطائي رحمه الله تعالى من خاف الوعيد قرب عليه

البعيد ومن طال امله ساء عمله وقال يحيى بن معاذ الامل قاطع
من كل خير والطمع مانع من كل حق والصبر صاير الى كل ظفر والنفس
داعيه الى كل شر والثاني بزل التوبه والتسويف بها يقول
الطويل الامل سوف اتوب وفي الايام سعه ونحو ذلك فيتحرك
الى الرغبه في الدنيا والحرص عليها والثالث الاهتمام بالرزق
وذلك ايضا يحرك الى طلب الدنيا والاهتمام بها ومنع ما عنده منها
وشغل القلب وتضييع الوقت وتكثير الهم بلا فايده قال ابو ذر
رضي الله عنه قيل لي هم يوم لا ادركه قيل وكيف ذلك يا ابا ذر قال
ان املي جاوز اجلي والرابع القسوه في القلب ونسيان الاخره
لانه اذا امل العيش الطويل لا يذكر الموت قال علي كرم الله وجهه
اخوف ما اخاف عليكم اثنتان طول الامل واتباع الهوى الا
وان طول الامل ينسي الاخره واتباع الهوى يصد عن الحق فاذن
يصير القلب مشغولا بالدنيا واسباب العيش فيقسو القلب
وانما رقته بذكر الموت والثواب والعقاب وخطور احوال
الاخره قال الله تعالى فطال عليهم الامد فقست قلوبهم
فقد تبين ان طول الامل يورث جميع هذه الافات المذكوره واما
قصر الامل فانه يجرد صاحبه عن جميع هذه الافات ويورثه
مقابلاتها فيصير مطيعا ذا نشاط في العباده مسارعا الى التوبه
عديم الرغبه في الاخره الدنيا والحرص عليها غير مهتم بالرزق

فارغ القلب للتفكر في ملكوت السموات او فانه مستغرقه في
العباده رقيق القلب كثير ذكر الاخره لا هم له الا ارتقاب الموت
ليلقى الله تعالى ويتمتع بالنظر الى وجهه الكريم قال عون
بن عبد الله كم من مستقبل يوما لم يستكمله ومنتظر غدا لم يدركه
لو رايتم الاجل ومسيره لابغضتم الامل وغروره وقال عيسى بن مريم
عليه السلام الدنيا ثلثه ايام امس مضى ما بيدك منه شيء وغد
لا تدري ادركه ام لا ويوم انت فيه فاغتنمه وقال ابو ذر
الدنيا ثلاث ساعات ساعه مضت وساعه انت فيها وساعه
لا تدري ادركها ام لا وقال امام الحرمين الدنيا ثلثة انفاس
نفس مضى عملت ما عملت ونفس لا يدري ادركه ام لا اذكم من
نفس نفسا فجاءه الموت قبل النفس الاخره فلست تملك الا
نفسا واحدا لا يوما ولا ساعه قال النبي صلى الله عليه وسلم
وقد اشترى اسامه شيئا بصبر شهرا ما تعجبون من اسامه
المشتري بصبر شهرا ان اسامه لطويل الامل والله ما وضعت
قدما فظننت اني ارفعها ولا لقمه فظننت اني اسيغها حتى يدركني
الموت والذي نفسي بيده ان ما توعدون لآت وما انتم بمعجزين
وحكي ان زرارة بن اوفى قيل له في اليوم بعد موته لاي الاعمال
ابلغ فيما عندكم فقال الرضى وقصر الامل واما الاشتغال فانه
خصله مغونه للمقاصد موقعه في المعاصي تبدو امنها افات

اربع احدها ان يقصد العابد منزله في خير واستقامة فيجيئه
في وقت عبادته فان استعجل قبل وقتها فاما ان يفتر ويترك الاجتهاد
فيحرم تلك المنزله واما ان يغلو في الجهد او تعاب النفس فينقطع عن
تلك المنزله فلا يخلو امر المستعجل عن افراط او تفريط وقال
النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين فاوغلوا فيه برفق
ان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى وفي المثل السائر ان لم تستعجل
تصل وقيل

قد يدرك المتاني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

والثانيه قد يكون للعابد حاجة يدعوا الله فيها فاذا استعجل الاجابه
قبل وقتها فتر وسئم وترك الدعا فيحرم حاجته والثالثه
قد يظلمه انسان فيغبطه فيعجل بالدعا عليه فيهلك مسلم بسببه
فان جاوز الحد وقع في معصية قال الله تعالى ويدع الانسان
بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا ٥ والرابعه
ان ملاك العبادة الورع واصله النظر البالغ في كل شي فاذا استعجل
ولم يتثبت كما يجب تسارع الى الكلام فوقع منه الزلل والى الاكل
فوقع في حرام او شبهة ولذلك قيل كل امر فيفوته الورع ولا خير في
عبادة بلا ورع والمتاني يتجرد عن هذه الافات ويحصل مقابلا لها
فيكون مقتصدا في الاجتهاد في وقت عبادته لا يفتر عن الدعاء
والتضرع الى الله تعالى فيما اهمه غير متسارع الى الدعاء الى احد

من الخلق دعاء مستثنا في سائر احواله ٥ واما الحسد فانه مفسد
للطاعات باعث على الخطيات قد ابتلي به كثير من القراء والعلما
معضلا عن العامة والجهال حتى اوردهم الهلاك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ستة يدخلون النار بستة الامراء بالجور والدها
قين بالكبر والتجار بالخيانة واهل الرستاق بالجهل والعلما بالحسد
والحسد يهيج خمسة اشيا احدها افساد الطاعات قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد ياكل الحسنات كما ياكل النار
الحطب والثاني فعل المعاصي والشر قال وهب بن منبه
رحمه الله للحاسد ثلث علامات يتملق اذا شهد ويغتاب اذا
غاب ويشمت بالمصيبه ٥ وحسبك ان الله تعالى امر بالاستعاذة
من شر الحاسد كما امر بالاستعاذة من شر الشيطان والساحر
فلا مستعان عليه ولا مستعاذ منه الا بالله رب العالمين ٥
والثالث التعب والهم من غير فايدة بل مع كل وزر ومعصية
قال ابن السماك لم ار ظالما اشبه بالمظلوم من الحاسد نفس دايم
وعقل هايم وغم لازم والرابع عمى القلب حتى لا يكاد يفهم حكما
من احكام الله تعالى قال سفين عليك بطول الصمت تملك
الورع ولا تكن حريصا على الدنيا تكن حافظا ولا تكن طعانا تنج من
السن الناس ولا تكون حاسدا تكن سريع الفهم الخامس
الحرمان والخذلان فلا يكاد الحاسد يظفر بمراد ولا ينصر على عدو

قال حاتم الطعين غير ذي دين والعايب غير عابد والنمام غير
مامون والحسود غير منصور وكيف يظفر الحسود ومراده
زوال نعم الله تعالى عن عباده وكيف ينصر على اعدايه ومم عباد الله
المومنون ولقد احسن ابو يعقوب حيث قال اللهم صبرنا على
تمام النعم على عبادك وحسن احوالهم ۞ فاي دا يكون ادوا من
داء يفسد الطاعة ويكثر المعصية والشر ويمنع راحة النفس
وهم القلب والظفر بالمطلوب والنصرة على الاعدا اعاذنا الله
واياكم من هذا الداء ورزقنا واياكم بصر الخلق لنظفر بما بلان
هذه ان شا الله تعالى ۞ واما الكبر فحصله مملكة قال الله
تعالى ابى واستكبر وكان من الكافرين ۞ وليست بمنزلة سايز
الخصال القادحة في العمل الضارة بالمرء انما تضر في الاصل
وتقدح في الدين والاعتقاد واقل ما يهيج منها على صلبها اربع
افات احدها حرمان الحق وعمى القلب عن معرفة الله تعالى
وفهم احكام الله قال الله تعالى ساصرف عن ايات الذين يتكبرون
في الارض بغير الحق كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار
الثانية المقت والبغض من الله تعالى قال الله تعالى انه
لا يحب المستكبرين وروي عن موسى عليه السلام انه قال يا رب
من ابغض خلقك اليك قال من تكبر قلبه وغلظ لسانه وصقل عينه
وبخلت يده وساخلقه والثالثة الخزي والنكال في الدنيا ۞

قال حاتم رحمه الله اجتنب الموت على ثلثة على الكبر والحرص والخيلا
فاما المتكبر لا يخرجه الله من الدنيا حتى يريه الهوان من اذل اهله
وخدامه والحريص لا يخرجه الله من الدنيا حتى يحوجه الى كسرة
او شربة ولا يجد مساغا والمختال لا يخرجه الله من الدنيا حتى
يمرغه بيوله وقذره ۞ وقيل من تكبر بغير حق اورثه الله ذلا
بحق والرابعة النار والعذاب في العقبى روي ان الله تعالى
يقول الكبريا ردايي والعظمة ازاري فمن نازعني واحد منهما
ادخلته نار جهنم والمعنى ان الكبريا والعظمة من الصفات المختصة
بي ولا ينبغي لاحد غيري كما ان رداء الانسان وازاره يختص به
ولا يشاركه فيه فحقيق بالعاقل ان يجرد لنفسه من خصلة تعوقه
معرفة الحق وفهم ايات الله واحكامه ويثمر له المقت من الله
تعالى والخزي في الدنيا والنار في الاخرة ليفوز بما بلا تقا ان
شا الله تعالى ۞ ولا بد من بيان حقيقة هذه الخصال
المهلكة ليجتنب بتوفيق الله تعالى ومن اراد الاستقصا في ذلك
فعليه بكتاب الاحيا وها هنا نشير الى معانيها اما الاول فقد
قال اكثر العلما رحمهم الله انه اراده الحيوة للوقت المتراخي
بالحكم وقصر الامل ترك الحكم فيه بان يقيده في الذكر بالاستثنا
بمشية الله تعالى وعلمه او يقيده في الارادة بشرط الصلاح
فمن قال اني اعيش بعد نفس ثان بالحكم فهو امل فان قيده

بمشيته او بعلم الله فقد خرج عن حكم الامل ولذلك ان اراد حبونة
لوقت بان قطعا فهو امل وان قيده بشرط الصلاح خرج عن حكم
الامل والمراد بالذكر ذكر القلب والمراد منه توطين القلب عليه
وتثبيته فافهمه والامل ضربان امل العامة وهو ارادة الحيوة لجمع
الدنيا والتمتع بها وهذه معصية بحصه قال الله تعالى ويلهم
الامل وامل الخاصة ان يريد البقا لاتمام عمل خير فيه خطر
وهو ما لا يستيقن الصلاح له فيه فقد يكون خير معين بحض
ليس للعبد فيه او في اتمامه صلاح فمن ابتدا في صوم او صلوة او غيرها
ليس له ان يحكم باتمامه اذ هو غيب ولا يقصد ذلك قطعا فربما
لا يكون له فيه صلاح بل يقيده بالاستثناء وشرط الصلاح
ليخلص من عيب الامل قال الله تعالى لنبيه عليه السلام
ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله وضد
هذا الامل فيما قال العلما النية الصالحة وفيه ضرب من
الاتساع لان الناوي بالنية المحموده ممتنع من الامل وجد النية
المحمودة الجامع على ما قاله العلما رحمهم الله ارادة احد عمل مبتدا
به قطعا قبل سايرالاعمال مع ارادة اتمامه بالتفويض والاستثناء
وانما جاز القطع في الابتدا ووجب التفويض والاستثناء وانما
في الاتمام لبعد الخطر في الابتدا اذ ليس بشيء متراخ عنه وثبوت
الخطر في الاتمام لوقوعه في وقت متراخ فيه خطر الوصول لا يدري

اتصل ام لا وخطر الفساد لا يدري افيه صلاح ام لا واعلم ان
من ضرر الامل ذكر الموت وحض حصنه ذكر فجاة الموت
واخذه غفته في غرور فعليك بذلك ودع تضييع الوقت في القيل
والقال وملاحاة الرجال ٥ واما العجله فانها المعنى الرابت
في القلب الباعث على الاقدام على الامر باول خاطر دون التوقف
فيه والاستطلاع منه بل الاستعجال في اتباعه والعمل به
وضدها الاناة وهي المعنى الرابت في القلب الباعث على الاحتياط
في الامور والنظر فيها واما التوقف فضده التعسف قال
امام الحرمين رحمه الله الفرق بين التوقف والاناة ان التوقف
قبل الدخول في الامر حتى يتبين له رشده والثاني بعد
الدخول فيه حتى يودي لكل جزء منه حقه ثم مقدمات الاناة
ذكر وجوه الخطر في الامور التي يعترض الانسان وضروب الافات
المخوفه فيها وذكر ما في النظر والتثبت من السلامة وما في التعسف
والاستعجال من الندامة والملامة فهذه امثالها بعث على التاني
والتوقف في الامور ومنع عن الاستعجال والتعسف فيها
واما الحسد فهو ارادة زوال نعم الله عن عبده المسلم ما له فيه
صلاح فان لم يرد زوالها واراد لنفسه مثلها فهو غابط وعلى هذا
يحمل قوله صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنتين رجل اتاه
الله مالا فجعله في حق ورجل اتاه الله حكمه فهو يقضي بها اي

لاغبطه الا في ذلك فعبر عن الغبطة بالحسد اتساعا ۞
لمقارنتهما فان لم يكن له فيها صلاح واردت زوالها عنه فهو غيرة
فهذا هو الفرق بين هذه الخصال ۞ واما ضد الحسد فالتغبيه
وهي ارادته بقاء نعمة الله تعالى على عباده المسلمين مما لهم فيه صلاح وبكن
غلبه الظن بان له فيها صلاحا فان اشتبه عليك فلا ترد زوال نعمة
احد من المسلمين او ابقاءها الا مقيدا بالتفويض وشرط الصلاح
لتخلص من حكم الحسد ويحصل لك فايدة النصيحة واما حصن
النصيحة المانع عن الحسد فهو ذكر ما اوجب الله تعالى من موالاة
وحصن هذا الحصن ذكر ما عظم الله من حق المومن ورفع من قدره
ومآله عند الله تعالى من الكرامات العظيمه في العقبى وما لكفيه
من الفوايد الجليلة في الدنيا من التعاون والتظاهر والجماعات
والجمعات وما يرجو امن شفاعته يوم القيمة فهذه وامثالها تبعثك على
النصح لكل مسلم وتجتنبك حسده في نعمة الله اعطاه الله اياها والله
سبحنه ولي التوفيق ۞ واما الكبر فهو خاطر في رفع النفس
واستعظامها والتكبر اتباعه وضده خاطر في وضع النفس واحتقارها
والتواضع اتباعه ولكل واحد منهما عامي وخاصي فالتواضع العامي
هو الاكتفا بالدون من الملبس والمسكن والمركب والتكبر في
مقابله الترفع عن ذلك والتواضع الخاصي هو ترين النفس على قبول
الحق من كان وضيعا او شريفا والتكبر في مقابلة الترفع عن ذلك

وهو معصيه كبيرة وخطيئة عظيمة ثم حصن التواضع العامي ان يذكر
مدارك ومنتهاك وما انت عليه في الحال من ضروب الافات والاقذار
كما قيل اولك نطفه مذره واخرك جيفه قذره وانت فيما بينهما حامل
لعذره وحصن التواضع الخاصي ذكر عقوبه العادل عن الحق ۞
المتمادي في الباطل فهذه جمله كافيه ۞ واما البطن فهو اشق
الاعضا اصلاحا على المجتهد واكثرها مونة وشغلا واعضها ضررا
واثرا لانه المنبع والمعدن ومنه يهيج الامور في الاعضا من قوة
وضعف وعفة وجماع ونحوها فعليك بصيانته عن الحرام والشبهة
اولا ثم عن فضول الحلال ثانيا ان كان لك همة في عبادة الله تعالى
اما الحرام والشبهه فيلزمك البحث عنه لثلثه امور اولها حذرا
من نار جهنم قال الله تعالى الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما
ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا وقال النبي صلى الله عليه وسلم
كل لحم نبت من سحت فالنار اولى به والثاني ان اكل الحرام والشبهة
مطرود لا يوفق للعبادة اذ لا يصلح لخدمة الله تعالى الا كل طاهر مطهر
البس الله منع الجنب من الدخول الى بيته والمحدث من مس كتابه قال
تعالى ولا جنبا الا عابري سبيل ۞ لا يمسه الا المطهرون ۞ مع
ان الجنابة والحدث امر مباح فكيف يدعى الى خدمة رب العزة سبحانه
وتعالى من هو متمسخ بقذر الحرام ونجاسة السحت والشبهة ۞
قال يحيى بن معاذ الطاعه مخزونه في خزاين الله ومفتاحها الدعاء

واسنانه الحلال فاذا لم يكن للمفتاح اسنان لا ستفتح الباب فاذا لم
يفتح باب الخزانه كيف يصل الى ما فيها من الطاعة الثالث ان آكل
الحرام والشبهه محروم واذا اتفق له فعل خير فهو مردود عليه فلا
يكون له من ذلك الا العنا والكد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كم من قايم ليس له من قيامه الا السهر وصايم ليس له من صيامه الا
الجوع والظمأ قال ابن عباس لا يقبل الله صلوة امرئ وفي جوفه
حرام ن واما فضول الحلال فمواقعة العباد وفيه عشر افات
الاولى ان في كثرة الاكل قسوة القلب وذهاب نوره قال صلى الله
عليه وسلم لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان الزرع كالقلب
القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء والبخار يرتفع اليه فيبدده
وسيجيء الثانيه ان في كثرة الطعام قسوة الاعضاء وباعثها على
الفساد فان الشبعان اذا بطر اشتهت عينه النظر الى ما
لا يعنيه من حرام او فضول والاذن الاستماع اليه واللسان
التكلم به والفرج وقاعه والرجل المشي اليه والجايع تسكن اعضاؤه
ولا تطمح الى شيء من ذلك قال الاستاذ ابو جعفر رحمه الله
البطن عضو ان جاع شبع ساير الاعضاء اي سكنت فلا
تطلب شيئا وان شبع جاع ساير الاعضاء وبالجمله فان افعال
الرجل واقواله بحسب طعامه ان دخل الحرام خرج الحرام
وان دخل الفضول خرج الفضول فالطعام بذر نبته الافعال

والثالثه ان كثرة الاكل يذهب الفهم فان البطنه تذهب الفطنه
قال الداراني اذا اردت حاجة من حوايج الدنيا والاخره فلا تاكل
حتى تقضيها فان الاكل يغيب العقل وهذا ظاهر لمن اختبره ن
الرابعه ان في كثرة الاكل قله العباده لثقل البدن وفتره الاعضاء
والنعاس ولا يتهيا معه الا النوم ن وقد قيل اذا كنت بطينا فعد
نفسك زمنا وعن يحيى عليه السلام ان ابليس يدالله وعليه معاليق
فقال له ما هذه قال الشهوات التي اصيد بها بني آدم قال
هل تجد لي شيئا قال لا انك شبعت ذات ليله فثقلنا عن الصلوة
قال يحيى لاجرم اني لا اشبع بعدها ن قال ابليس لاجرم اني
لا انصح احدا ابدا ن هذا فيمن لا يشبع في عمره الا ليله فكيف بمن
لا يجوع في عمره ليله قال سفين العباده حرفه خانوتها
الخلوه والانيها المجاعة ن الخامسه ان في كثرة الاكل فقد
حلاوة العباده قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه ما
شبعت منذ اسلمت لاجل حلاوة عباده ربي وما رويت
منذ اسلمت اشتياقا الى لقاء ربي ن وهذه حال المكاشفين
وكان رضي الله عنه منهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما فضلكم ابو بكر بفضل صوم او صلوة وانما هو بشيء وقر
وقال الداراني اجلى ما مكون العباده اذا الزق ظهري
ببطني والسادسه خطر الوقوع في الشبهة والحرام لان

القوت حلال بيقين وما عداه محتمل قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الحلال لا يأتيك الا قوتا والحرام يأتيك جرفا
جرفا والسابعة شغل البدن والقلب بتحصيله اولا ثم بتهيئه
ثم باكله ثم بافراغه والتخلص عنه ثم بالسلامة منه اذ قد يحدث
عليه في البدن قال صلى الله عليه وسلم اصل كل داء البرودة اي
التخمة وكان يقول مالك بن دينار لاصحابه يا هولاء لقد
اختلفت الي الخلا حتى استحييت ومن هذه الجملة طلب الدنيا
والطمع في الناس وتضييق الوقت بكثرة الاكل والثامنة
من امور الاخرة شدة سكرات الموت على قدر لذات الحيوة
والتاسعة نقصان الثواب في العقبى قال الله تعالى
اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا فانه يعذب لذات الدنيا
بنقص من لذات الاخرة ولهذا المعنى عرض الله سبحانه
الدنيا على نبينا صلى الله عليه وسلم وقال له ولا انقص من
اجرك شيئا خصه بذلك فدل على انه ينقص لغيره الا ان
يتفضل سبحنه وتعالى ورؤي ان خالد بن الوليد اضاف
عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فقال عمر هذا لنا فما لفقراء المهاجرين
الذين ماتوا ولم يشبعوا خبز شعير قال خالد لهم الجنة يا امير
المومنين فقال عمر ان فازوا بالجنة وكان هذا حظنا من
الدنيا فقد بانوا منا بونا بعيدا ورؤي ان عمر رضي الله عنه

عطش

عطش يوما فدعا بماء فاعطا رجل اداوة فيها ماء نتن فيها ميتات فلما
قربها عمر من فيه وجد الماء باردا حلوا فامسك وقال اوه اوه فقال الرجل
والله ما الونه حلاوة يا امير المومنين فقال عمر رضي الله عنه قد لك
الذي سقيتني وحق لولا الاخرة لشاركناكم في عيشكم والعاشرة
الحبس والحساب واللوم والتعيير في ترك الادب في طلب الشهوات
فان الدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب فهذه جملة العشر وهي
افات مردية السعيد من خلص عنها بالاقتصار من الحلال على ما
يكون عدة لعبادة الله تعالى واقوال العلما في بيان الحرام والحلال
قال بعضهم ما تيقنت كونه ملكا للغير منهيا عنه في الشرع فهو
حرام محض وما لم يتيقن بل ظن انه كذلك فهو شبهة وبعضهم اجرى
غلبة الظن مجرى العلم فجعله حراما ايضا فان تساوي الامارتان
حتى صارت شكا فهو شبهة يحتمل الحلال والحرام فحاله ملتبس ثم
الامساع عن الذي هو حرام محض واجب وعن الذي هو شبهة
تقوى وورع وهذا اولى القولين ويختلفوا في جوائز السلاطين
هذا الزمان فقال بعضهم ما لا يتيقن انه حرام تجوز اخذه وقال
آخرون لا يحل اخذه ما لم يتيقن انه حلال لغلبة الحرام عليهم وعزه
الحلال ويقال قوم صلات السلاطين يحل للغني والفقير ما لم
يتيقن حرمتها وانما التبعة على المعطي واحتجوا بقبول النبي
صلى الله عليه وسلم هدية المقوقس ملك الاسكندرية وبافتراضه

من اليهود مع ان الله سبحنه وتعالى وصفهم بانهم اكالون للسحت قالوا
وقد ادرك جماعة من الصحابه ايام الظلمه واخذوا منهم منهم ابو هريره
وابن عباس وابن عمر وقال اخرون لايحل لغني ولا لفقير الا
منهم لتسمتهم بالظلم وكون الغالب عليهم الحرام والحكم للغالب وقال
اخرون ما لم يتيقن انه حرام فهو حلال للفقير دون الغني وما
علم الفقير انه مغصوب لايجوز له اخذه الا ليرده على مالكه ن ولا
حرج على الفقير ان ياخذ من اموال السلطان لانه ان كان ملكه
فله اخذه وان كان من فيء او عشر او خراج فللفقير فيه حق ولاهل
العلم ايضا ن قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه من دخل الاسلام
طايعا وقراء القرآن ظاهرا فله في بيت المال المسلمين كل سنة
ماية درهم ن وعن ابن دينار ان لم ياخذ في الدنيا ياخذها في الاخرة
واذا كان المال مختلطا بمال مغصوب لايمكن تمييزه او غصبا لايمكن
رده فلا يخلص منه الا بالتصدق به وما كان الله ليامره بالصدقة
على الفقير وينهى المعطي عن قبوله او ياذن للفقير في القبول وهو حرام
فاذن للفقير الاخذ مما لا يتيقن حرمته ن واما صلات السوقة وغيرهم
منهم فمن كان ظاهره الصلاح والستر فلا حرج في اخذ صلته ولا يلزم البحث
عنه اذ فيه سوء ظن برجل ظاهر الصلاح واعلم ان ظاهر الشرع حكم
وهو جواز الاخذ ممن صلح ظاهره من غير بحث وحق الورع حلم وهو
ان يبحث البحث التام ولا ياخذ الا ما يحقق حله فان اخذ غير ذلك

٢٢

ردد ن روي ان غلاما اتى ابا بكر الصديق بلبن فشربه فقال الغلام
كنت اخذت جيبك بشيء تسالني عنه وما سالتني عن هذا اللبن قال
فما قضيته قال رقيت قوما في الجاهليه فاعطوني هذا فاتيته
وقال اللهم هذه مقادتي فما بقي في العروق فاحسبه فالشرع
موضوع على اليسر والسماحه قال عليه السلام بعثت بالحنفية
السمحة ن والورع موضوع على التشدد والاحتياط ن وقد قيل
الامر على المتقي اضيق من عقد السبعين والورع ايضا من حكم الشرع
وللشرع حكمان حكم الجواز وحكم الافضل وخص الاول باسم الشرع
والثاني بالورع فقد تبين ان من لم يوطن نفسه على احتمال
الشدايد لاحظ له في الورع وبهذا المعنى اوى الصالحون جبل
لبنان وعينه واقتصروا على اكل الحشيش والثمرات النافعة الخالية
عن الشبهة فمن سمت همته الى الورع فليدرع للشدايد ومن
اقام بين الناس واكل مما في ايديهم فليجعله كالميتة لا يقدم عليها الا
عند الضرورة ولا يتناول منها الا مقدار ما يقويه على الطاعة
ولا يقويه بضره هذا القدر ولو كان من شبهه قال الحسن البصري
رحمه الله على فساد السوق فعليكم بالقوت ن وعن وهيب بن الورد
انه كان يجوع نفسه اليومين والثلثة ثم ياخذ رغيفا ويقول اللهم
انك تعلم اني لا اقوى على العبادة واخشى الضعف والا لم اكله اللهم
وان كان فيه شيء من خبث او حرام فلا تواخذني ثم يبل الرغيف بالماء

وباكله ه فهذان الطريقان للطبقة العليا من اهل الورع ه واما
من دونهم فلهم احتياط ونحت بمقدار ولهم نصيب من الورع بمقدار
احتياطهم وقد قيل بقدر ما تعنى تنال ما تتمنى فهذا في الحرام
واما فضول المباح فاعلم ان المباح ثلثة اقسام الاول ان ياخذه
العبد مفاخرا مكاثرا مباهيا مرائيا وهذا فعل منكر يستوجب
بظاهره الحبس يوم الحساب واللوم والتعنيف ويستوجب
بباطنه اعني التفاخر والتكاثر عذاب النار قال الله تعالى
انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال
والاولاد وقال صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا استعفافا
تعبي مكاثرا مفاخرا مرائيا لقي الله وهو عليه غضبان ه والوعيد على
قصد ذلك بالقلب ه والقسم الثاني ان ياخذ الحلال لشهوة
نفسه لا غير فذلك شر يستوجب عليه الحبس والحساب لقوله
تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم وقال صلى الله عليه وسلم
حلالها حساب ه والقسم الثالث ان ياخذ من الحلال في حال
العذر قدر ما يستعين به على عبادة الله ويقتصر عليه فذلك
منه خير لا حساب عليه فيه بل يستوجب به الاجر لقوله تعالى
اولئك لهم نصيب مما كسبوا وقال صلى الله عليه وسلم من طلب
الدنيا حلالا استعفافا عن المسالة وتعطفا على جاره وسعيا
على عياله جاء يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر ه ولهذا

القسم الثالث شرطان احدهما الحال بان يحيث ان لم ياخذ
ذلك المباح انقطع عن فرض او سنة او نفل فهذا حال العذر ه
والثاني القصد بان يقصد به الاستعانة على عبادة الله سبحانه
وتعالى وذلك بان يذكر بقلبه انه لولا انه يتوصل به الى العبادة لما
اخذه فاذا اجتمع الشرطان صار خيرا وحسنة يثاب عليه وان
فقد احدهما خرج عن كونه خيرا ثم الاستقامة على حفظ هذا الادب
يحتاج الى بصيرة وقصد مجمل انه لا ياخذ الدنيا الا للعدة على حال
عبادة الله حتى انه ان سها عن ذكر الجهة في اجزايه ذلك القصد
المجمل قال امام الحرمين رحمه الله فالامور الثلثة معتبرة فيه
كل واحد من وجه يعني ان الذكر والحال معتبران في حصول كونه خيرا
اصلا ه والقصد المجمل المقتضى عن بصيرة منزله الادب معتبر في
الاستقامة عليه واعلم ان الاخذ بالشهوة ليس بمعصية توجب عذاب
النار بل هو شر وسيئة يوجب الحبس والحساب والنهي عنه
نهي تنزيه والاخذ بالعذر ليس بفرض لكنه فضيلة وخير وحسنة
والامر به امر تاديب والحساب هو ان يسال يوم القيمة عما ذا
اكتسب وفيما ذا انفق وماذا اراد به والحبس هو ان يحبس عن
الجنة مدة الحساب في عرصة القيمة بين اهوالها عريانا عطشان
وكفى بذلك بليه والتعنيف واللوم ليس لنا اول المباح بل لترك
الادب الا ترى ان ملوك الدنيا لو وضعوا بين يديك طعاما ه

وامروك بالاكل فقد اباحوه لك مع انك ان اكلت بغير ادب بوجه لومك
وتعييرك وانت عبد من عباد الله اوجدك لعبادته فعليك ان تردعه
من كل وجه فان لم تفعل واثرت شهوة نفسك واشتغلت بها عن
العبادة مع امكانك منها استحقيت اللوم والتعيير فهذا بيان لجام
النفس اللجام التقوي فعليك به تفز بالخير الكثير وعليك بقطع
هذه العقبة اعني عقبة العوايق فان اكثر الخلق انما انقطعوا عن
طريق الحق اما بسبب دنيا او خلق او شيطان او نفس اما الدنيا
فاحذرها لانك واحد من ثلث اما من ذوي البصاير والفطن فحسبك
ان الدنيا عدوة الله وهو حبيبك وان الدنيا تنغصه عقلك والعقل
قيمتك واما من ذوي الهمم في عبادة الله فحسبك ان الدنيا بلغ شغلها
ما يمنعك ارادتها والاشتغال بالفكرة فيها عن العبادة واما من ذوي
الغفلة لا بصيرة لك بالحقايق ولا همة لك في المكارم فحسبك ان
الدنيا لا تبقي اما ان تفارقها او تفارقك كما قال الحسن ان بعيت
الدنيا لم تبق لها فاي فايدة اذن في طلبها ولقد احسن القايل
هب الدنيا تساق اليك عفوا اليس مصيرذاك الى زوال
وما دنياك الا مثل ظل اظلك ثم اذن بارتحال

وقال آخر

اضغاث نوم او كظل زايل ان اللبيب بمثلها لا يخدع ٥ واما
الشيطان فحسبك ما قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم

وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون
فاذا كان هذا الرسول الذي يحتاج الى الاستعاذة منه فكيف من
هو ناقص جاهل واما الخلق فحسبك انك ان خالطتهم وافقتهم
في اهوائهم اثمت وافسدت امر اخرتك وان باينتهم وخالفتهم تعبت
باذيتهم وكروا عليك امر دنياك ثم قد يجيئون الى معاداتهم
ومناواتهم فتقع في شرهم وقد يمدحوك ويعظموك فتقع في الفتنة
والعجب او يذموك ويحقروك فتقع في الحزن تارة وفي الغضب
لغير الله اخرى فكل ذلك من الآفات المهلكة واما النفس فحسبك
ما تشاهده منها لانها وردادة ارادتها فهي في حال الشهوة بهيمة
وفي حال الغضب سبع وفي حال المصيبة طفل وفي حال
النعمة فرعون وفي حال الجوع مجنون وفي حال الشبع
بطر كما قيل

لحمار السوء ان قضمته رمح الناس وان جاع نهق

ولقد صدق بعض الصالحين اذ قال ان النفس لرداها وجهلها
اذا هممت بمعصية او ابطأت الى شهوة وتشفعت اليها بالله
سبحانه وتعالى وبرسله وكتبه المنزله وجميع السلف الصالح
من عباده واعرضت عليها الموت والقبر والقيامة والجنة
والنار لا تعطي القياد ولا تترك المعصية او الشهوة فان
استقبلتها بمنع وعنف سكنت وتركت شهوتها فاعلم خستها

وجهلها ولا تغفل عنها وتذكر قول خالقها عز وجل ان النفس لامارة
بالسوء ٥ وقد نقل عن احمد بن ابرهم البلخي انه قال نازعتني نفسي
بالخروج الى الغزو فقلت سبحان الله ان الله يقول ان النفس لامارة
بالسوء وهذه تامرني بالخير لا يكون هذا ابدا ولكنها استوحشت
فتريد لقاء الناس لتخرج اليهم وتسامع الناس بها ويستقبلوها
بالتعظيم فقلت لها لا اترك العمران ولا اترك على معرفه فاجابت
فاسات الظن بها وقلت الله اصدق فقلت لها اقاتل العدو حاسرا
فتكوني اول قتيل فاجابت وعدت اشياء غيرها فاجابت الى كل ذلك
قال فقلت يا رب بنهيي لها فاني متهم لها مصدق لك قال
فكوشفت كانها تقول يا احمد انت تقتلني كل يوم مرات بمنعك اياي
عن شهواتي ولحاحك لتكذبني ولا يشعر بك احد فان قاتلت قتلت
مرة واحدة وتخون منك وتسامع الناس فيقال استشهد احمد
ويكون لي شرفا وذكرا قال فقعدت ولم اخرج الى الغزو في
ذلك العام فانظر الى خداعها وغرورها ومراءاة الناس بعد الموت
بعمل لم يعمل بعد ولقد صدق القايل

توق تفسك لا تامن غوايلها فالنفس اخبث من سبعين شيطانا

فتنبه لهذه الخداعه الامارة بالسوء والجمها بلجام التقوى لتامن
غايلها ثم اعلم ان العباده شطران شطر اكتساب كعمل الطاعات
وشطر اجتناب كالتوقي من الافات وشطر اجتناب اسلم واصلح

للعبد على كل حال من شطر الاكتساب ولذلك يشتغل المبتدي
بعمل الطاعات كالصوم والصلوه ويشتغل المنتهي من اهل البصيره
بحفظ قلبه عن الميل الى غير طاعة الله تعالى وبطنه عن الفضول
ولسانه عن اللغو وعينه الى النظرة الى ما لا يعنيه ولهذا
المعنى قال العابده الثاني من العباد ليونس يا يونس من
الناس من حبب اليه الصلوات فلا يوثر عليها شيا وهي عمود
العبد بالثبات لله تعالى والصدق والتضرع ومنهم
من حبب اليه الصوم فلا يوثر عليه شيا ومنهم من حبب
اليه الصدقه فلا يوثر عليها شيا يا يونس وانا مفسر لك هذه
الخصال اجعل صومك الصمت عن كل شي سوء واجعل صدقتك
كفك الاذي فانك لا تصدق بشي افضل منه ولا تصوم بشي
ازكى منه فقد علمت وفقك الله وايانا ان شطر الاجتناب
اولى بالرعايه من شطر الاكتساب فان حزت الشطرين جميعا
فقد استكمل امرك وسلمت وغنمت وان لم تبلغ الا احدهما
فليكن شطر الاجتناب تسلم وان لم تغنم والا خسرت
الشطرين فانفعك قيام ليلة وتعبه ونحط بارادة واحدة
ولا صيام يوم طويل ويفسد بكلمة واحدة ٥ ولقد سئل
ابن عباس عن رجلين احدهما كثير الخير كثير الشر والاخر
قليل الخير قليل الشر فقال انا لا اعدل بالسلامة شيا وقال

ذلك المريض فانه يحتاج الى الدواء والاحتماء فان اجتمعا له اسرع البرء
وان اقتصر على الاحتماء وحده فقد يكفيه ولا ينفعه الدواء مع ترك الاحتماء
ابدا وقال صلى الله عليه وسلم اصل كل دواء الحمية والمعنى انها تغني
عن كل دواء وقد قيل ان جل علاج الهند الاقتصار على الحمية يمنعون
المريض عن الاكل والشرب والكلام اياما فيبرا ويصح فعليك وفقك الله
بمراعاة هذه الجمله واحفظ الاعضاء الاربعه فانها الاصول اما العين
فحسبك فيها انها مدار امر الدين والدنيا على القلب فان حفظ القلب
في الاكثر منها ولذلك قال عليه السلام من لم يملك عينه فليس لقلبه
عنده قيمه واما اللسان فحسبك ان تعلم ان ملاك عقلك وثمره اجتهادك
كله العباده والطاعه وخطر العباده في الاكثر من قبل اللسان ٥
بالصمت والتزين والغيبة ونحوها ولذلك قيل ما بقي احق بطول
السجن من اللسان ٥ وروي ان احد العباد السبعة قال
ليونس عليه السلام ان العباد اذا اجتهدوا لم يبقوا في عبادتهم شيئا افضل في العبادة
من الصبر عن الكلام في فضل طويل ثم عاد الى ذلك فقال فلا تكون
عندك شيء اكثر من حفظ لسانك ولا تكون بشيء اعنى به من
سلامة صدرك ٥ ثم انظر ان النفس الذي تكلمت فيه بالفضول
لو قلت فيه بدل ذلك استغفر الله ربما رزقت ساعه عزيزه فغفر لك
او قلت لا اله الا الله فيكون لك من الاجر ما لا يحيط به وهمك
او قلت اسال الله العافيه فربما رزقت ساعه اجابه وبخوت من بليه

الدنيا والاخره فما اخسر من فوت نفسه هذه الفوايد واوبقها
بوصول اقل ما يلزم منه اللوم والحساب يوم القيمة ولقد
احسن القايل

واذا هممت بالقول الباطل فاجعل مكانه تسبيحا ن واما
البطن فحسبك ان مقصودك العباده وان الطعام شرب العمل
منه يبد و وينبت واذا خبث البزر لا يطيب الزرع وفيه خطر
ان تفسد الارض فلا تفلح قال معروف الكرخي اذا صمت فانظر
على اي شيء تفطر وطعام من تاكل فكم من يا كل اكله فينقلب قلبه
عما كان لا يعود الى حاله ابدا ٥ فكم من اكله حرمت قيام ليله وكم من
نظرة منعت قراه سورة وان العبد ليا كل الاكله فيحرم بها قيام
سنه فهذا في اصل القوت حتى يكون من وجهه واما الادب
فيه فقد علمت ان ملاء البطن مانع من العباده مذهب لحلاوتها
قال ابراهيم بن ادهم رحمه الله صحبت اكثر رجال الله تعالى في
جبل لبنان فكانوا يوصوني اذا عدت الى ابناء الدنيا فعظهم باربع
قل لهم من يكثر الاكل لا يجد لذه العباده ومن نام كثيرا لا يجد
في عمره بركه ومن طلب رضى الناس فلا ينتظرن رضى الرب ومن
يكثر الكلام بفضول وغيبه فلا يخرج من الدنيا على دين الاسلام
وعن شمل رحمه الله انه قال جماع الخير كله في هذه الخصال
الاربع وبها صارت الابدال ابدالا اخماص البطون ٥ والصمت

والاعتزال عن الخلق ۞ وسهر الليل ۞ وقال بعض العارفين
الجوع راس مالنا ومعناه ان ما يحصل لنا من سلامة وعبادة
وعلم نافع فسببه الجوع والصبر عليه لله سبحانه وتعالى ۞
واما القلب فحسبك انه اصل الكل ان اصلحته صلح الكل وان
افسدته فسد الكل كما علمت فيما وجدت صلاحا في العين واللسان
واللسان وغيره فذلك لصلاح القلب ومتى رايت فيها خللا فذلك
لخلل في القلب بل امره ادق ان الخواطر لا تنفك عنه وليس الملك
منعها قال ابو يزيد رحمه الله عالجت قلبي عشرا ولساني عشرا
وتعبي عشرا فكان قلبي اصعب الثلثة وملاك الامر فيه الاهتمام
بالخصال الاربع التي علمتها اعني الامل والعجلة والحسد والكبر
وقد سبق القول فيها بما فيه مقنع للمسترشد وجملة الامر انك
اذا نظرت فعلمت ان الدنيا لا بقاء لها وان نفعها لا يبقى بضرها
زهدت في فضولها فلم ياخذ منها الا ما لا غنا لك عنه في عبادة
ربك وتركت التنعم والتلذذ ليحصل لك في دار النعيم المقيم في
جوار رب العالمين ۞ واذا علمت ان الخلق لا وفاء لهم وان
مودتهم اكثر من معونتهم تركت مخالطتهم الا ما لا بد لك منه
فتنتفع بخيرهم وتحذر من شرهم وتقتصر على صحبة من لا يخلو من
صحبته ولا تندم على خدمته وتستانس بكتابه فيكون لك عند
كل نائبة قال عليه السلام اتق الله تجده حيث اتجهت

فراغ ٣

٢٧

واذا علمت ان الشيطان قد تجرد لعداوتك استعذت بربك
منه ولم تغفل عن مكايده فتطرده بذكر الله سبحانه وتعالى وامره
يسير عند الله تعالى قال الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم
سلطان ۞ انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون
ولقد صدق ابو حازم حيث قال ما الدنيا وما ابليس اما
الدنيا فما مضى فحلم وما بقي فاماني واما الشيطان فوالله ما
لقد اطيع فما نفع ولقد عصي فما ضر ۞ واذا علمت ان جملة
النفس وجماحها الى ما يضرها نظرت اليها رحمة لها والجمتها لجام
التقوى قال بعض الصالحين ان التقوى اهون شيء اذا رايت
شيء تركتها تركته فستلين النفس وتعود ما عودتها كما قيل
النفس راغبة اذا رغبتها واذا ترد الى قليل تقنع وقال آخر
هي النفس ما حملتها تتحمل وقال آخر
فما النفس الا حيث تجعلها الغنى وان توقت نافت ولا تسلت
فاذا علمت ذلك كنت من الزاهدين في الدنيا الراغبين في الاخرة
ومن سمي بالزهد فقد سمي باسم ممدوح وكنت من المنفردين
المنقطعين الى الله سبحانه وتعالى اهل الانس بخدم رب العالمين
كما قيل

تشاغل قوم بدنياهم وقوم تخلوا للمولاهم
فالزمهم باب مرضاته وعن سائر الخلق اعناهم ۞ وكنت

من المجاهدين في الله الخواص من عباده الذين ليس للشيطان عليهم
سبيل وكنت من المتقين الذين لهم سعادة الدارين وصرت حينئذ
افضل من كثير من الملايله المقربين اذ ليست لهم شهوه تدعوا الى
قبيح ولا انفس خبيثه وكنت قد قطعت هذه العقبه الشديده وسبقت
العوايق الى مطلوبك فلا يهولنك ذلك فانه مع الاستعانه به
والاعتصام به لهين نسال الله تعالى وهو حسبي مسؤل ان يمدك
وايانا بتوفيقه وعونه وتيسيره انه على كل شي قدير ۞ ۞
العقبه الرابعه وهي عقبه العوارض والسعيد من سد سبيلها
عليه لئلا تشغله عن مقصوده وقد علمت انها اربعة احدها الرزق
ومطالبة النفس به فعليك بالتوكل على الله سبحانه وتعالى في موضع
الرزق والحاجه بكل حال لان احد مما تشتغل الى العبادة فان من
شغل قلبه بطلب الرزق ولا حظ له في العبادة لان العبادة تحتاج
الى فراغ القلب والبدن والفراغ لا يكون الا للمتوكل بل كل ضعيف
لا يكاد يطمين قلبه الا بشي معلوم لا يكاد يتم له امر خطير من دنيا
واخرة وقيل انما تمشي الامور في العالم لرجلين متوكل ومتهور
لان المتوكل يقصد الامور بقوه وبصيرة ويقين تام بوعد الله
سبحانه وثقة بضمانه لا يلتفت الى صارف يصرفه فيفوز بمطلبه
والمتهور يقصد الامور بقوه عاده وجراة قلب لا يلتفت الى
صارف يضعفه فينال مراده في الاكثر والمعلق الضعيف ابدا

يكون ويتردد وقصور وتخير كالحمار في معلفه والدجاج في ثقبه
ومق ما يعود من صاحبه تقاعدت نفسه عن المعالي وانقطعت همته
عن المطالب فلا يكاد يقصد امرا شريفا وان قصده لا يكاد يظفر به
اما ترى اصحابها هم من ابناء الدنيا لم ينالوا من له شريفه الا باقتطاع
قلوبهم عن انفسهم واموالهم واهلهم اما الملوك فيا شرون الحروب
ويكابدون الاعداء اما هلكا واما ملكا ليحصل لهم مرتبه الملك
وقيل ان معاويه لما نظر الى العسكر يوم صفين قال من اراد
خطيرا خاطر بعظيمته واما التجار فيركبون المهالك برا وبحرا ويطرحون
لنفسهم واموالهم في المقاطع شرقا وغربا ويوطنون انفسهم على احد
الامرين اما فوت الارواح واما حصول الارباح واما السوقي
الذي قد ضعف قلبه ورق عزمه لا يكاد يقلع القلب عن علاقته عن
نفسه وماله فهو من بيته الى دكانه طول عمره لا يصل الى مرتبة
شريفه كالملوك ولا الى ربح خطير كالتجار المخاطرين فان ذلك
في سوقه ربحا على بضاعته درهما قد ذلك له كيف لتعلق قلبه بشي معلوم
فهذا في ابناء الدنيا واما ابناء الاخرة فراس مالهم هذه الخصلة التي
هي التوكل وقطع القلب عن العلايق لما احكموها وحصلوها حققوا
تفرغوا العبادة الله وتمكنوا من التفرد عن الخلق والسياحه في الارض
واستيطان الجبال والشعاب صاروا اقويا العباد ورجال الدين
واحرار الناس وملوك الارض بالحقيقه يسيرون حيث يشاؤون

ويترلون حيث يشاؤون ويقصدون من الامور العظام علما وعبادة
على ما يشاؤن لا عايق لهم عن مقصودهم كل الاماكن لهم واحد وكل الاوان
عندهم واحد واليه الاشاره بقوله صلى الله عليه وسلم من سره ان يكون
اقوى الناس فليتق الله ومن سره ان يكون اغنى الناس فليكن بما في يد الله
اوثق منه بما في يديه ن وعن سليمان الخواص لو ان رجلا توكل على الله
سبحانه وتعالى بصدق اليه لاحتاج اليه الامراء ومن دونهم وكيف
يحتاج ومولاه الغني الحميد ن وعن ابرهيم الخواص قال لقيت غلاما
في البيته كانه سبيكه فضه فقلت الى اين يا غلام فقال الى مكه فلت بلا
زاد ولا راحله قال يا ضعيف اليقين الذي يقدر على حفظ السموات
والارض يقدر ان يوصلني الى مكه بلا زاد ولا راحله فلما دخلت مكه
فاذا هو في الطواف يقول يا نفس موتي كمدا يقول
يا نفس سيحي ابدا ولا يجيبني احد الا الجليل الصمد يا نفس موتي كمدا
فلما راني قال يا شيخ انت بعد على ذلك الضعف من اليقين ن
وقال ابو مطيع لحاتم الاصم بلغني انك تقطع المفاوز بالتوكل من غير
زاد قال حاتم زادي اربعة اشياء قال ما هي قال اري الدنيا
والاخره مملكه لله عز وجل واري الخلق كلهم عبيده وعياله واري الارزاق
كلها بيده تعالى واري قضا الله نافذا في جميع ارض الله ولقد
احسن القايل اري الزهاد في روح وراحه قلوبهم عن الدنيا مراحه
اذا ابصرتهم ابصرت قوما ملوك الارض شيمتهم سماحه ن

واما الامر الثاني الذي يقتضي التوكل على الله سبحنه وتعالى فهو
ان تعالى تركه من الخطر العظيم اليس الله سبحنه قرن الرزق بالخلق
ن قال خلقكم ثم رزقكم فدل على ان الرزق من الله لا غير كالخلق ثم لم يكف
به بالدلاله حتى وعد فقال تعالى ان الله هو الرزاق ثم لم يكتف بالوعد
حتى ضمن فقال تعالى وما من دابه في الارض الا على الله رزقها
ثم لم يكف بالضمان حتى اقسم فقال تعالى فورب السماء والارض
انه لحق مثل ما انكم تنطقون ثم لم يكتف بذلك حتى امر بالتوكل وابلغ
وانذر فقال تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت ن وعلى الله
فتوكلوا ان كنتم مومنين ن فمن لم يعبئ بقوله ولم يكتف بوعده
ولا يطمئن لضمانه ولا يقنع بقسمه ولا يبالي بامره ووعده ووعيده
فانظر ماذا يكون حاله وانتهه اي محنه يجي من هذا ولا تغفل عن
هذه المصيبه الشديده قال صلى الله عليه وسلم لابن عمر رضي الله
عنه كيف انت اذا بقيت بين قوم يخبون رزق سنتهم لضعف
اليقين ن وعن الحسن لعن الله اقواما اقسم لهم ربهم فلم يصدقوه
وقالت الملايكه عند نزول هذه الآيه فورب السماء والارض
هلكت بنو آدم اغضبوا الرب حتى اقسم على ارزاقهم وعن اويس
القرني لو عبدت الله عبادة اهل السماء والارض ما تقبل مني حتى
تصدقه قيل وكيف نصدقه قال تكون آمنا بما تكفل لك الله من امر
رزقك وترى جسدك فارغا لعبادته ولقد قال له هرم بن حيان

ابن تامرني ان اقيم فاومى بيده الى الشام قال كيف المعيشه بها فقال
اف لهذا القلوب لقد خالطها الشك فما نفعها الموعظه ولقد
تاب نباش على يد ابي يزيد رحمه الله فسأله عن حاله فقال نبشت الف
قبر فلم ار وجوههم الى القبله الا رجلين فقال ابو يزيد مساكين اولئك
تهمه حولت وجوههم عن القبله وسئل رجل من اهل الصلاح هل
سلم بايمانه فقال انما يسلم الايمان للمتوكلين ۞ اصلحنا الله واياكم
بفضله ولا واخذنا بما يخص من اهله ۞ ونتضح حقيقه التوكل ببيان
اربعة امور لفظ التوكل وموضعه وحده وحصنه اما اللفظه
فتوكل اي تفعل من الوكالة فالتوكل على احد هو اتخاذه بمنزله الوكيل
القائم بامره الضامن لاصلاحه الكافي له من غير تكلف واهتمام
واما الموضع فالتوكل اسم مطلق يقع على ثلثه مواضع احدها في موضع القسمه
وهي الثقه بالله انه لا يفوتك ما قسم لك فان حكمه لا يتبدل وهذا
واجب بالسمع والثاني في موضع النصره وهو الاعتماد والوثاقه بنصر الله
عز وجل اذا نصرته وجاهدت فيه قال الله تعالى فاذا عزمت
فتوكل على الله ۞ ان تنصروا الله ينصركم ۞ وكان حقا علينا نصر
المومنين وهذا واجب بالوعد ۞ والثالث في موضع الرزق والحاجه
فان الله تعالى متكفل بها يقيم بنيتك ويتمكن به من عبادته قال الله
تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال صلى الله عليه وسلم
لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح

بطانا وهذا فرض لازم للعبد بدليل العقل والشرع والتوكل في موضع
الرزق هو الاشهر وهو المقصود في هذا الفصل فموضع التوكل اذن
هو الرزق وهو الرزق المضمون فيما قال العلما بالله تعالى ويتضح هذا
ببيان اقسام الرزق وهو اربعه اقسام مضمون ومقسوم ومملوك
وموعود فالمضمون هو الغذا الذي به قوام البنيه دون سائر الاسباب
فالضمان من الله تعالى لهذا النوع والتوكل يجب بازايه بدليل العقل
والشرع لان الله تعالى كلفنا خدمته وطاعته بابداننا فضمن بما
يشد خلل البنيه لنقوم بما كلفنا وقال بعض مشايخ الكراميه
كلاما حسنا على اصله ان ضمان ارزاق العباد واجب في حكمه الله تعالى
لثلثه اشيا احدها انه سيد ونحن عبيد ويجب على السيد كفايه
مونة عبيده كما يجب على العبد خدمه سيده والثاني انه خلقهم
محتاجين الى الرزق ولم يجعل لهم سبيلا الى طلبه اذ لا يدرون ما هو
واين هو ومتى هو ليطلبوه بعينه من مكانه في وقته ليصل اليه فوجب
ان يكفيهم امره ليصلوا اليه والثالث انه كلفهم الخدمة وطلب
الرزق شاغل عنها فوجب ان يكفيهم المونه ليتفرغوا للخدمة وهذا
كلام من لم يحض باسرار الربوبيه فان من اوجب على الله امرا فهو ناب به
وبيان فساد ذلك في كتب الكلام خارج عن مقصودنا فلنرجع اليه
واما الرزق المقسوم فهو الذي قسمه الله سبحانه وتعالى وكتبه في
اللوح المحفوظ ما ياكله ويشربه ويلبسه كل واحد بمقدار معدود

ووقت موقوت لا يزيد ولا ينقص ولا يتقدم ولا يتاخر بل كما كتب بينه
قال صلى الله عليه وسلم ان الرزق مقسوم مفروغ ليس تقوى تتبع
مزايده ولا فجور فاجر بناقصه واما الملوك فما ملكه كل واحد من اهل
الدنيا على حسب ما قدر الله تعالى وقسم له ان يملكه وهو من رزق
الله تعالى انفقوا مما رزقناكم اي ما ملكناكم واما الموعود فهو ما وعد
الله تعالى به المتقين من عباده بشرط التقوى جلا لا من عنى كد
قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا
يحتسب فهذه اقسام الرزق والتوكل انما يجب بازاء المضمون منها
واما حد التوكل فقال بعضهم هو ايكال القلب الى الله بالانقطاع
اليه والايأس عما دونه وقال اخرون حفظ القلب الى الله بموضع
المصلحة بترك تعليقه على شيء دونه وقال الشيخ ابو عمرو
رحمه الله التوكل ترك التعليق على شيء دون الله عز وجل والتعليق
ذكر قوام بنيتك قال امام الحرمين التوكل والتعليق ذكران
فالتوكل ذكر قوام بنيتك من قبل الله تعالى والتعليق ذكر قوامها
بغير من دون الله تعالى وجميع الاقاويل ترجع الى اصل واحد وهو
ان توطن قلبك على ان قوام بنيتك وسد خلتك انما هو من الله
تعالى لا بالحد دونه ولا بسبب من الاسباب ثم ان الله تعالى ان
شاء سببه بسبب وان شاء كفاه بقدرته دون توسط فاذا
ذكرت ذلك بقلبك وقويت عليه وانقطع قلبك عن الاسباب الى الله تعالى

فقد

فقد حصل التوكل حقه فهذا حده واما حصنه الباعث عليه فهو ذكر
حق الله تعالى وحسن حصنه ذكر جلال الله وكماله في علمه وتراهته
عن الخلف والسهو والعجز والنقص فاذا واظب هذه الاذكار بعثت
على التوكل في امر الرزق فقد بان انه لا يلزم العبد طلب الرزق لحال
لان المضمون لا يمكنا طلبه اذ هو فعل الله تعالى كالحيوة والموت
ليس في استطاعة العبد تحصيله ولا دفعه ولو كان له سبب لا يلزم
طلب السبب ايضا لان الله تعالى ضمن ضمانا مطلقا غير مقيد بطلب
والسبب غير معلوم العين والمكان والوقت فمن اين يطلب والمقسوم
لا يلزمه طلبه اذ لا حاجة اليه وانما الحاجة الى المضمون والملوك
لا يحتاج الى طلب لانه حاصل ولذلك الموعود لعدم الخلف ٥ وقوله
تعالى واسئلوا من فضل الله المراد به العلم والثواب وقيل بل هو
رخصة اذ هو امر ورد بعد الحضر فيكون مباحا لا واجبا وحسبك
ان الانبياء صلوات الله عليهم والاولياء المتوكلون لم يطلبوا رزقا في
الاكثر وتجردوا للعبادة وباجماع انهم لم يكونوا تاركين لامر الله ثم لا
يزيد الرزق بالطلب ولا ينقص بتركه فانه مقدر موقت في اللوح
المحفوظ ولا سبيل الى رده هذا هو الصحيح عند علماء هذه
الطايفة ٥ وبعض اصحاب حاتم وشقيق قالوا ان الرزق لا يزيد
ولا ينقص بفعل العبد لكن المال يزيد وينقص وهذا فاسد
لان الدليل في الموضعين واحد وهو الكتابة والقسمة واليه

الاشاره بقوله تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم
والترك ٤ ولو كان الطلب بنبذ د بنقص لكان للاسى والفرح موضع اذ لا تقصير وتوانى حتى فاته وحد وشمر حتى حصله وقال صلى الله عليه وسلم للسائل هاك ولم تانها لا تتكل ثم اعلم ان لزوم طلب موجبات الثواب وترك موجبات العقاب ليس من هذا القبيل لان الله تعالى امر بذلك امرا حتما واوعد على تركه ولم يضمن الثواب على عز فعل منا وزيادة الثواب والعقاب بفعل العبد والفرق بين الامرين ما قاله بعض العلما ان المكتوب في اللوح قسمان قسم هو مكتوب مطلقا من غير شرط وتعليق بفعل العبد وهو الارزاق اما ترى كيف ذكرها تعالى مطلقا قال ـــ وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وقال صاحب الشرع اربع قد فرغ الله منهن الخلق والخلق والرزق والاجل وقسم مشروط بشرط معلق بفعل العبد وهو الثواب والعقاب قال الله تعالى ولو انهم امنوا واتقوا لكفرنا عنهم سياتهم ولادخلناهم جنات النعيم ومن ظن انه يجد الطالبين واجدين الاموال والتاركين للطلب عادمين لها فقد قصر نظره عن وجدان كثير من الطالبين محرومين فقرا وكثير من تاركي الطلب اغنيا مرزوقين ٥ ذلك تقدير العزيز العليم وكم قوي قوي في قلبه مهذب الراي عنه الرزق يخرف

وهم ضعيف ضعيف في قلبه كانه من خليج البحر يغترف
ولا دليل على ان الا له له في الخلق سر خفي ليس ينكشف
واما مثل دخول البادية وتقحم المفاوز بغير زاد فلا يجوز الا لمن قوه قلبه بالله وثقه بالله بوعده ومن لم يلن كذلك فسبيله الدخول كالعوام بعلا يفهم د وعن ابي المعالي رحمه الله من جرى مع الله تعالى على عادة الناس جرى الله معه على ما هو عادة الناس في كفايته المؤونه وهذا كلام حسن جدا وفيه فوايد جمه لمن تاملها وقوله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى فيه قولان احدهما ان المراد زاد الاخره ولذلك قال خير الزاد التقوى والثاني انه كان قوما لا ياخذون زادا في طريق الحج د لاتفسهم اتكالا على الناس وسيالون ويلحون ويودون الناس فامروا بالزاد امر تنبيه على ان اخذ الزاد من مال الله خير من اخذه من مال الناس والاتكال عليهم وحمل الزاد في الاسفار اذا لم يعلق قلبه به بل بالله تعالى ويقول بقلبه ان شا الله تعالى اقام بنيتي بهذا او بغيره او كان قصده بحمله اعانه مسلم ونحوه لا يقدح ذلك في توكله فكم من حامل زاد وقلبه مع الله دون الزاد وكم من تارك للزاد وقلبه مع الزاد دون الله تعالى فالشان في القلب فافهم ذلك وحمل النبي صلى الله عليه وسلم والصحابه رضي الله عنهم الزاد في الاسفار دال على اباحة ذلك

وهو بنيه الخير والصلاح لانه صلى الله عليه وسلم منزه عن
عصيان الله تعالى فيما امره به بقوله وتوكل على الحي الذي لا يموت
وجعل الزاد بنية الخير اولمن يقتدي به ليعلم ابلحته افضل الزاد
للتقوى الذي لا يقتدي به افضل ليلا يشغله عن عبادته ٥
العارض الثاني الاخطار واراد بها وقصودها وانما كفايتها
في التفويض الى الله سبحنه وتعالى لامرين احدهما طمانينة القلب
في الحال لان امور الانسان اذا كانت خطره مبهمه لا يتبين
صلاحها من فسادها كان مضطرب القلب قايم النفس فاذا
فوض الامر الى الله تعالى علم انه لا تقع الا في صلاح وخير فاطمان
قلبه في الحال وهذه غنيمة عظيمه وكان يقول بعض المشايخ في
مجلسه كثيرا ادع التدبير على من خلقك تستريح والثاني حصول
الصلاح والخير في الاستقبال لان الامور بالعواقب مبهمه
فكم من شر في صورة خير وكم من ضر في جلبه نفع والانسان
جاهل بالعواقب فاذا اراد الامر قطعا اخذه باختياره متحكما
فما اسرع وقوعه في الهلاك من حيث لا يشعر وقيل ان بعض
العباد كان يسال الله تعالى ان يريه ابليس فقيل له اسال
الله العافيه فابى الا ذلك فاظهره الله تعالى له فقصده بالحرب
فقال له ابليس لو لا انك تعيش ما به سنه لاهلكتك فاعتبر
بقوله وقال الذي في عمري فسحه بعد فافعل ما اريد ثم انوب فوقع

في الفسق وترك العباده وهلك ففي هذه ما ينبهك على ترك الحلم
ارادتك وجذرك طول الامل فانه الافه العظيمه ولقد
صدق القايل

واياك المطامع والاماني فكم امنية جلبت منيه

واما اذا فوض الانسان الامر الى الله تعالى وسالة الخير لم يلق
الا الخير والسداد قال الله تعالى حكايه عن العبد الصالح
واوفض امري الى الله ان الله بصير بالعباد فوقاه الله سيئات
ما مكروا فاعقبه الله الوقايه والنصر على الاعداء وبلوغ المراد
بتفويضه واما بيان معنى التفويض وحكمه فيتضح بشيئين
احدهما موضع التفويض والثاني معناه وحده وضده اما موضعه
فاعلم ان المرادات ثلثه مراد يعلم يقينا انه فساد وشر
لا شك فيه البته كالنار والعذاب وفي الافعال يقينا كالكفر
والبدعه والمعصيه ولا سبيل الى ارادة ذلك والثاني مراد
يعلم قطعا انه صلاح كالجنه والايمان والسنه وذلك مراد
بالحكم لا موضع للتفويض فيه اذ لا خطر فيه ولا شك انه
خير وصلاح والثالث مراد قطعه لا يعلم يقينا ان لكن فيه
صلاحا او فسادا كالنوافل والمباحات وهذا موضع التفويض
فليس لك ان تريدها قطعا بل ما لا استثناء وشرط الصلاح
فان اردتها بالاستثناء وشرط الصلاح فهو تفويض وان اردتها

قطعا فهو طمع منهي عنه فموضع التفويض اذن مراد فيه الخطر
ولا تستيقن صلاحك فيه ولا فسادك واما معنى التفويض فقال
بعض شيوخنا هو ترك اختيار ما فيه مخاطره الى المختار المدبر الخلق
بمصلحة الخلق وعبارة الشيخ ابي محمد السمري هو ترك اختيارك
المخاطره على المختار ليختار لك ما هو خير لك قال الشيخ ابو عمرو
رحمه الله هو ترك الطمع والطمع هو ارادة الشيء المخاطر بالحكم فهذه
عبارات المشايخ قال حجة الاسلام والذي نقوله ان التفويض
اراده ان يحفظ الله عليك مصالحك فيما لا تامن فيه الخطر وضد
التفويض الطمع والطمع في الجملة يجري على وجهين احدهما في معنى
الرجاء يريد شيئا لا خطر فيه او لا مخاطره بالاستشاء وذلك ممدوح
كما قال تعالى على لسان عبده الصالح والذي اطمع ان يغفر لي
خطيتي يوم الدين ۝ انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ۝
وهذا القسم ليس مما نحن فيه هاهنا والثاني طمع مذموم قال
صلى الله عليه وسلم اياكم والطمع فانه فقر حاضر وقيل هلاك
الدين وفساده الطمع وملاكه الورع قال امام الحرمين
الطمع المذموم سبيان سكون القلب عن منفعة سلوكه
واراده الشيء المخاطرة بالحكم وهذه الاراده تقابل التفويض
لا غير واما حصن التفويض فهو ذكر خطر الامور وامكان
الهلاك والفساد فيها وحصن حصنه ذكر العجز عن الاعتصام

عن غوائب الخطر والامتناع عن الوقوع فيها بالجهل والغفله
والضعف والمواظبه على هذين الذكرين يحمل على تفويض الامور
كلها الى الله عز وجل والتحفظ عن الحكم فيها والامتناع عن اراداتها
الا بشرط الخير والصلاح والخطر الذي وجب التفويض له هو
خطر الفساد في كل امر لا يتيقن صلاحه ولا فساده واما خطر
الشك وهو ان تشك في الامر هل تصل اليه ام لا فهذا يقع في باب
اليقين والامل وهو يحتاج الى الاستثناء واختلفت عبارات الائمه
في الخطر فمن بعضهم ان الخطر في الفعل ان يكون دونه جناح ويمكن
ان يجامعه ذنب فالايمان والسنه والاستقامه لا خطر فيها
اذ لا يمكن دون الايمان جناح والاستقامه بالحكم وقال الاستاذ
رحمه الله الخطر في الفعل ما يمكن ان يعترض فيه ما يكون الاشتغال
بالعارض اولى من الاقدام على الفعل وذلك يقع في المباحات
والسنن والفرايض فان من فضله اداء صلوة ضاق وقتها
فدهمه حريق او غريق يمكنه التخليص منه لو لم يشتغل بالصلوة
فالاشتغال بالتخليص اولى من الاقبال على الصلوة فلا
يصح اذن ارادة المباحات والنوافل وبعض الفرايض بالحكم
وليس الغرض المشار اليه بما امر به ولا صلاح له فيه قال
امام الحرمين رحمه الله ان الله تعالى لا يامر العبد بشيء
الا وفيه صلاحه اذا تجرد عن العوارض ولا يضيق عليه فعلا

فرضا بحيث لا معدل له عنه الا وله فيه صلاح وانما ربما يسبق الله
له عذرا لاجله يكون العدول عن احد المامورين او في من
الاشتغال بالاخر كما ذكرنا فيكون العبد في ذلك معذورا
بل ماجورا لا بترك هذا الفرض بل بفعل الفرض الذي هو اولى
قال حجة الاسلام ولقد سمعت الامام رحمة الله عليه
يقول في هذه المسئلة ان ما افترض الله على عباده من الصلوة
والحج والصوم ونحوه ففيها صلاح لا محالة للعبد وصحت ارادتها
بالحكم فاتفق رابنا على ذلك ففي المباحات والنوافل اذن في هذا
الحكم فافهمه فانه من غوامض النيات ثم هل بين المفوض الهلاك
والفساد والدار دار محنة فاعلم ان في الاغلب لا يفعل بالمفوض
الا الصلاح وقد يفعل به في النادر غير الصلاح ولذلك ربما خذله
فيقع عن منزلة التفويض والاصلاح للعبد في الخذلان والوقوع
عن منزلة التفويض وبه قال الشيخ ابو عمرو رحمه الله وقيل
بالمفوض الا ما فيه صلاحه فيما فوض الى الله تعالى والخذلان
والقصور عن منزلة التفويض مما لا يقع في التفويض اذ لا
شك في فساد ذلك والتفويض انما يقع فيما يشك في صلاحه
وفساده وهذا اولى القولين عند امام الحرمين رحمه الله عليه
اذ لولا ذلك لما قوي الباعث على التفويض ثم هل يجب ان
يفعل بالمفوض ما هو الافضل فاعلم ان الايجاب مستحيل

من الله تعالى ولا يجب لعباده عليه شيء وقد يفعل بالعبد
الاصلح دون الافضل حكمة من فعله الا ترى انه تعالى قدر
لنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ان نام واطول الليل الى طلوع
الشمس في بعض الاسفار حتى فاتتهم صلوة الليل وصلاة
الفجر والصلوة افضل من النوم وربما قدر للعبد الغنى والنعمة
في الدنيا وان كان الفقر افضل وقدر له الاشتغال بالاولاد
والازواج وان التجرد لعبادة الله افضل فانه بعباده خبير بصير
وهذا كما ان الطبيب الحاذق يختار للمريض ماء الشعير وان كان
ماء السكر افضل وانفس لما علم ان صلاح علته في ماء الشعير
والمقصود للعبد النجاة من الهلاك لا الفضل والشرف مع
الهلاك والصحيح عند العلما ان اختيار المفوض لا يقدح في
تفويضه لانه اذا كان له صلاح في المفضول والافضل واراد
من الله تعالى ان يصلحه بالافضل كان كالمريض اذا كان
صلاح علته في ماء الشعير وما السكر فطلب من الطبيب ما
السكر فلا باس بما لعبد ان يسال الله تعالى ان يجعل صلاحه
في الافضل ليحصل له الفضل والصلاح لكن بشرط الرضا
لو لم يقدر له الا المفضول وانما جاز للعبد ان يختار الافضل
ولم يجز له ان يختار الاصلح لانه يعلم الافضل ولا يعلم
الاصلح وليس معنى اختياره الافضل اختيار شيء بعينه بالحكم

بل ان يجعل صلاحه فيما هو الافضل ويفيده له فافهم ذلك
العارض الثالث القضاء وورودا نواعه وانما كفايته في
به لامرين احدهما التفرغ للعبادة لان من لم يرض بالقضا كان
مهموما مشغول القلب ابدا واذا اشتغل القلب بهم لم كان كذا
ولم لايكون كذا لم يبق فيه موضع لذكر العبادة وفكر الاخرة
ولقد صدق شقيق رحمه الله حيث قال ان جملة الامور
الماضيه وتدبير الاتيه قد ذهبت ببركة ساعتك هذه والباقي
خطر ما في السخط من غضب الله سبحنه وتعالى ۞ روي ان
نبيا من الانبيا شكا بعض ما ناله من المكروه الى الله سبحنه وتعالى
فاوحى الله اليه اتشكوني ولست باهل ذم ولا شكوى هكذا
بده وشانك في علم الغيب فلم تسخط قضائي عليك اتريد ان اغير
الدنيا لاجلك او ابدل اللوح المحفوظ بشيك فاقضي ما تريد دون
ما اريد فبعزتي حلفت لان تلجلج هذا في صدرك مرة اخري ۞
لاسلبنك ثوب النبوه ولاوردنك النار ولا ابالي ۞ فحقيق
بالعاقل ان يعتبر بهذه السياسة العظيمه والوعيد الهايل
مع انبيايه واصفيايه فكيف مع غيرهم وقوله تلجلج هذا
في صدرك اشاره الى حديث النفس وتردد القلب فكيف بمن
يصرح ويستغيث وينادي بالويل على رؤس الملا ويتخذ
اعوانا واصحابا وهذا لمن سخط مرة فكيف من هو عمره ساخطا

وهذا لمن شكا اليه فكيف من شكا الى غيره نعوذ بالله من
شرور انفسنا وسيئات اعمالنا واما معنى الرضا بالقضا وحقيقته
وحكمه قال العلما رحمهم الله الرضي ترك السخط والسخط ذكر
عين ما قضى الله بانه اولى به واصلح له فيما لا يستيقن صلاحه ۞
وفساده هذا شرط فيه واعلم ان القضا بالشر ليس شرا بالزم
ان يكون الرضي به رضي الشر وانما الشر هو المقضي دون القضا
قال الشيوخ رحمهم الله المقضيات اربعه نعمه وشده وخير
وشر فالنعمه تجب الرضا فيها بالقاضي والقضا والمقضي وعليه الشكر
من حيث انه نعمه والشده يجب الرضي فيها بالقاضي والقضا والمقضي
به ويجب عليه الصبر من حيث انه شده والخير يجب فيه الرضا
بالقاضي والقضا والمقضي من حيث انه مقضي لا من حيث هو شر
وكونه مقضيا يرجع الى القضا والقاضي بالحقيقه وهذا كما نرضى
ان يكون مذهب المخالف معلوما لك لا ان يكون مذهبا
لك ثم كونه معلوما يرجع الى العلم والاستزادة بشرط الخير
والصلاح لا يقدح في الرضي بل يدل عليه كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا حضر اللبن يقول اللهم بارك لنا فيه وزدنا
منه وفي غيره يقول وزدنا خيرا منه وفي موضع من الموضعين
لم يدل على عدم الرضي ومحل شرط الصلاح والخير القلب دون
اللسان ۞ العارض الرابع الشدايد والمصايب وانما

كفايتها بالصبر لامرين احدهما للوصول الى العبادة وحصول
المقصود منها فان مبنى امر العبادة على الصبر واحتمال المشقات
فمن لم يكن صبورا لم يصل الى شيء منها بالحقيقة لان من قصد عبادة
الله وتجرد لها استقبلته شدايد ومحن من وجوه احدها
انه لا عبادة الا وفي نفسها مشقة ولذلك رغب كل هذا الترغيب
فيه ووعد الثواب عليه اذ لا يأتي فعل العبادة الا بقمع النفس
اذ هي زاجرة عن الخير ومخالفة الهوى وقهر النفس من اشد
الامور على الانسان وثانيها انه اذا فعل العبد الخير مع المشقة
لزمه الاحتياط له حتى لا يفسد عليه والابقاء على العمل اشد
من العمل وثالثها ان الدار دار محنة فمن كان فيها فلا بد له من
الابتلاء بشدايدها ومصايبها وذلك اقسام المصيبة في الاهل
والقرابات والاخوان والاصحاب بالموت والفقر والفراق وفي
النفس بانواع الامراض والاوجاع وفي العرض بقتال الناس اياه
والطمع فيه والازدراء به والغيبة والكذب عليه وفي المال
بالذهاب والزوال ولكل واحد من هذه لدغه وحرقه من نوع
آخر فيحتاج الى الصبر عليها كلها والا فيمنعه الجزع والتلهف
من التنوع للعبادة ورابعها ان طالب الاخرة اشد اسلا
وجنة ومن الناس كان الى الله اقرب فالمصايب اليه في الدنيا
اكثر قال صلى الله عليه وسلم اشد الناس بلاء الانبياء ثم الشهداء

ثم الامثل فالامثل فاذن من قصد الخير وتجرد للاخرة استقبلته
انواع المحن فان لم يصبر عليها والتفت اليها انقطع عن عبادته ٥
وقد اعلمنا الله سبحانه وتعالى ذلك فقال عز وجل لتبلون
في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن
الذين اشركوا اذى كثيرا ثم قال وان تصبروا وتتقوا فان
ذلك من عزم الامور فكانه قال وطنوا انفسكم على انه لا بد لكم
من انواع البلاء فان تصبروا فانتم الرجال وعزائمكم عزائم الرجال
فاذن من عزم على عبادة الله يجب اولا ان يعزم على الصبر الطويل
ويوطن نفسه على احتمال المشقة العظيمة المتواليه الى الموت
والا فقد قصد الامر بغير آلته واتاه من غير وجهه قال
الفضيل رحمه الله من عزم على قطع طريق الاخرة فليجعل في
نفسه اربعة اوان من الموت الابيض والاحمر والاسود
والاخضر فالموت الابيض الجوع والاسود ذم الناس والاحمر
مخالفة النفس والشيطان والاخضر الوقايع بعضها على بعض ٥
والثاني من الامرين ما في الصبر من جني الدنيا والاخرة من ذلك
النجاة والنجاح قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب معناه من يتق الله بالصبر يجعل له مخرجا
من الشدايد ومنها الظفر على الاعداء قال تعالى فاصبر
ان العاقبة للمتقين ومنها الظفر بالمراد قال تعالى

وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقيل لما
كتب يوسف في جواب يعقوب ان ابايك صبروا فظفروا فاصبر
كما صبروا تظفر وفي هذا المعنى قيل
لا تأيسن وان طالت مطالبة اذا استعنت بصبر ان تجد فرجا
اخلق بذي الصبر ان يحظى بحاجته ومدمن القرع للابواب ان يلجا
ومنها التقدم على الناس والامامة قال تعالى وجعلناهم
ائمة يهدون بامرنا لما صبروا ومنها الثنا على العبد من الله
قال تعالى انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب
ومنها البشارة والصلوة والرحمة قال تعالى وبشر الصابرين
الى قوله اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الاية ۞ ومنها
المحبة من الله تعالى قال الله تعالى ان الله يحب الصابرين
ومنها الدرجات العلى في الجنة قال تعالى اولئك يجزون
الغرفة بما صبروا ۞ ومنها الكرامة العظيمة قال الله تعالى
سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ۞ ومنها ثواب بلا غاية ولا
نهاية خارج عن اوهام الخلق قال تعالى انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب فسبحانه من سيد ما اجود ما اكرمه
يعطي عبده كل هذه الكرامات على صبر ساعة قال صلى الله عليه
وسلم ما اعطي احد من عطاء خيرا واوسع من الصبر وعن عمر رضي
الله عنه جميع خير المومنين في صبر ساعة واحدة قيل

الصبر مفتاح الفرج وكل خير به يكون
اصبر وان طالت الليالي فربما امكن الجرون
وبالنيل باصطبار ما قيل هيهات ان يكون ۞ وقيل
صبرت وكان الصبر مني سجيته وحسبك ان الله اثنى على الصبر
فمن اغتنم هذه الخصلة الشريفة وبذل المجهود فيها كان من الفائزين
واما حقيقة الصبر وحكمه فمعنى لفظه الصبر من طريق اللغة
الحبس قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشي يريدون وجهه اي احبس نفسك وانما يوصف
الله بالصبر على معنى حبسه العذاب عن المجرمين ثم المعنى الذي
هو من مساعي القلب سمي صبرا لانه حبس النفس عن الجزع
والجزع فيما قاله العلما ذكر اضطرابك في الشدة وقيل
بل ارادة الخروج عن الشدة بالحكم والصبر تركه وحصن الصبر
ذكر مقدار الشدة وقيمتها وانها لا تزيد ولا تنقص ولا تتقدم ولا
تتاخر ولا مقدار فايدة في الجزع بل فيه الضرر والخطر وحصن
هذا الحصن ذكر حسن عوض الله تعالى عليه ۞ فعليك بقطع
هذه العقبة الشديدة بدفع هذه العوارض الاربعة والا
قطعتك عن مقصودك ۞ واعضلها امر الرزق فانه البلية
الكبرى لعامة الخلق فانه شغل قلوبهم بطلبه وصدهم
عن خدمة خالقهم الى خدمة المخلوقين فتعاستوا في غفلة

ونصب وذل وقدموا الاخرة مقابلين بين يديهم الحساب
والعذاب ان لم تعمدهم الرحمة واصل ذلك قلة التدبير لامر الله
وتفكرهم في صنايعه وترك التذكر لكلام رسوله صلى الله عليه وسلم
وترك التامل لاقوال الصالحين والاسترسال في وساوس
النفس والشيطان والاغترار بكلام الجاهلين وعادات الغافلين
حتى تمكن الشيطان منهم ورسخت العادات في قلوبهم فادى بهم
ذلك الى ضعف القلب ورقة اليقين وانما اولوا الابصار
وارباب الجد والاجتهاد ابصروا طريق السما فلم يعبوا باسباب
الارض واعتصموا بحبل الله فلم يكترثوا بعلايق الخلق وتبقنوا
بايات الله فلم يلتفتوا الى وساوس الشيطان والخلق والنفس
فاذا وسوس لهم شيطان او انسان او نفس قاموا بالمشاقة
والمدافعة والمخالفة حتى ولى الخلق عنهم وانعزل الشيطان
وانقادت لهم النفس فاستقام لهم الطريق كما ذكر عن ابرهيم
بن ادهم رحمه الله انه لما اراد ان يدخل البادية اتاه الشيطان
فخوفه منها وقال هذه باديه مهلكه ولا زاد معك فعزم
على نفسه ان يقطع الباديه على تجرده ذلك وان يصلي تحت
كل ميل من اميالها الف ركعه وقام بما عزم عليه وبقي في
الباديه اثنتي عشره سنه حتى حج الرشيد في بعض تلك
السنين فراه تحت ميل يصلي فقيل له هذا ابرهيم بن ادهم

٤٩

فقال كيف نجدك يا ابا اسحق فانشا يقول
دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع
يقول لعبد اتزا الله ربه وجاد بدنياه لما يتوقع
وعن بعض الصالحين انه كان في باديه فوسوس اليه
الشيطان بانك متجرد وهذه باديه لا عمران فيها فعزم على
نفسه بان يمضي على تجرده وان يترك الطريق حتى لا يقع باحد
من الناس ولا ياكل شيا حتى يجعل في فيه الشمن والعسل
قال رحمه الله فعدلت عن الطريق وسرت ما شا الله
واذا بقافله قد ضلت الطريق فلما ابصرتهم رميت نفسي الى
الارض لعلهم لا يبصرون فيسرهم الله حتى وقفوا
علي فغمضت عيني فدنوا مني وقالوا هذا منقطع عشي عليه
من الجوع والعطش فهاتوا سمنا وعسلا لجعله في فيه
لعله يفيق ففعلوا فشددت في واستنابي فاتوا بشيكين
وعالجوني حتى فتحوه فضحكت وفتحت فابي فقالوا مجنون انت
فقلت لا والحمد لله تعالى ولكن نبهتم ببعض ما جرى من الشيطان
وعن بعض الشيوخ قال نزلت في بعض اسفاري ايام التعلم
مسجدا وانت متجرد للعبادة فوسوس الي الشيطان
ان هذا مسجد بعيد عن الناس لو صرت الى مسجد بين الناس
لراوك وقاموا بكفايتك فقلت لا ابيت الا ها هنا وعلى عهد

الله ان لا اكل الا الحلوي ولا اكله حتى يضع في في لقمه لقمه
وصليت العتمه واغلقت الباب فمضى صدر الليل واذا باسان
يدق الباب ومعه سراج فلما اكثر الدق فتحت الباب فاذا
هي عجوز فدخلت ووضعت بين يدي طبقا من الخيص
وقالت هذا الشاب ولدي صنعت له هذا الخيص وجرى
بيني كلام فحلف ان لا ياكل حتى ياكل معه رجل غريب او قالت هذا
الغريب الذي في المسجد فكل رحمك الله واخذت تضع في في
لقمه وفي فم ولدها لقمه فهذه واشالها من مجاهدات الصالحين
ومنافضاتهم للشيطان ولك في ذلك ثلث فوايد احدها
ان تعلم ان الرزق لا يفوت من قد رله فلا تحال ۞ والثانيه ان
امر التوكل في الرزق لهم جدا وان للشيطان فيه غوايل حتى مع
امثال هولاء المرتاضين فحول الطريق ولعري ان من جاهد
النفس والشيطان سبعين سنه لا يامن ان يوسوس له كما
يوسوس للغافل لم تجتهد ساعة في الرياضة ولو ظفر ابه لفضحه
واهلكه هلاك المغترين ۞ والثالثه ان تعلم ان الامر
لا يتم الا بالجد المحض والمجاهدة البالغه فانهم كانوا مثلك بل
اضعف ركنا واوفق عظما لكن كان لهم قوة العلم ونور اليقين
وهمة امر الدين حتى قووا على تلك المجاهدات فتنبه لذلك
لعلك تفلح وساذكر نكتا تشكت في قلب من تذكرها وتكفيه

هذا الباب وتدع من تاملها وعمل بها على بصيرة من الحق
الثاني ان الله تعالى ضمن رزقك في كتابه وتكفل به ولو وعدك
ذلك من ملوك الارض بل سوقي بل يهودي او نصراني او مجوسي
لوثقت بوعده وتركت الاهتمام بعشايك تلك الليله اتكالا عليه
فمالك لا تثق بوعد الله وضمانه وقسمه كما علمته ۞ وعن علي كرم الله وجهه
انه طلب رزق الله من عند عياله وتصبح من خوف العواقب آمنا
وتمضي بصرافي وان كان مشرك ضمينا ولا ترضي بوعد ضامنا
ولهذا المعنى يخبر هذا الامر الى الشك فخاف على صاحبه والعياذ
بالله سلب المعرفه والدين ولهذا قال سبحانه وتعالى
وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مومنين ۞ وعلى الله فليتوكل المومنون
فحسب المهتم لامر دينه هذه النكته ۞ الثانيه قد علمت
من كتاب الله ومن اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الرزق مقسوم فان اختلج في صدرك شك من ذلك فقد
قرعت باب الكفر اعاذنا الله واياك من ذلك وان استيقنته
فما بالك لا تاكل رزقك عزيزا من غير ذل وهوان قال
صلى الله عليه وسلم مكتوب على ظهر الحوت والنوى رزق فلان
بن فلان فلا يزداد الحريص الا جهلا ۞ وفي ذلك قال
امام الحرمين رحمه الله ما قدر لما ضعبك ان يمتعاه فلا

بمضغه غيرك فكل ويحك رزقك بالعز ولا تاكله بالذل وهذه
نكته لطيفه مقنعه ○ الثالثه ما حكاه امام الحرمين عن الاستاذ
رحمهم الله ان ما تقعني في امر الرزق اني تذكرت وقلت لنفسي ليس
هذا الرزق للحيوه والعيش والميت ما يصنع بالرزق فاذا كان
حيوة العبد في خزانه الله وبيده ان شا يعطيني وان شا يمنعني
وهو غيب عني موكول الى الله تعالى يدبره كيف شا وانا ساكن
التمس بذلك وهذه نكته لطيفه مقنعه لاهل التحقيق ○
الرابعه قد يقدم القول ان الله تعالى انما ضمن ما نقوم به
البنيه ليقوي على العباده وهو ملي بضمانه فلا نظر الى الاسباب
من طعام او شراب او غير ذلك بل ان شا اقام البنيه بها او
بتراب او بطين او بتسبيح وتهليل كالملايكه وان شا بدون ذلك
كله فلا اعتبار بالاسباب اذن ولهذا المعنى قويت الزهاد
والعباد على الاسفار وطي الليالي والايام فمنهم من لم ياكل
عشره ايام ومنهم من لم ياكل شهرا او شهرين وهو على قوته
ومنهم من كان يستف الرمل فيجعله الله تعالى قوته ذكر عن
الثوري رحمه الله انه قد نفقته بمكه فمكث خمسه عشر يوما
يستف الرمل وقال ابو معويه الاسود رايت ابرهيم بن ادهم
ياكل الطين عشرين يوما وعن الاعمش قال قال ابرهيم
التيمي ما اكلت منذ شهر قلت منذ شهر قال ولا شهرين الا

ان

ان انسانا ناشدني على عنقود من عنب فاكلته فانا اشتكي بطني
فلا تعجب من ذلك ان الله قادر على ما شا وقد نري مريضا يبقى
شهرا بغير اكل وهو حي يعيش والمريض على كل حال اضعف نفسا
واسرق طبعا من القوي اما الذي يموت جوعا فذلك لاجل خصه كالذي
يموت شبعا وتخمه وعن ابي سعيد الخراز قال كان حالي مع الله
ان يطعمني في كل ثلثه ايام فدخلت البادية فمضت علي ثلثه ايام
ما طعمت فلما كان اليوم الرابع وجدت ضعفا فجلست فاذا بهاتف
يقول يا ابا سعيد ايهما احب اليك سيب او قوي فقلت بل قوي
وقمت من وقتي وقد استقللت فاقمت اثنا عشر يوما ما طعمت
ولا وجدت المالذ لك فاذا راي العبد احتباس الاسباب عنه
وهو متوكل على الله فليستيقن ان الله تعالى يمده بالقوه فلا يضجر
لذلك بل حقه ان شكر الله على ذلك حيث رفع عنه بالمونه ○
واعطاه المعرفه وحصل له المقصود ودفع عنه ثقل الواسطه
وخرق له علايق العباده واراه طريق القدره وشبه حاله
بحال الملايكه ورفعه عن حال البهايم فتامل هذا الاصل الكبير
تغنم قال حجه الاسلام ما معناه ولعلك تقول قد
اطنبت في هذا الفصل خلاف شرط الكتاب فاقول لعمر الله انه
لقليل في جنب ما يحتاج اليه العابد اذ عليه مدار امر العبوديه
فمن له همه في هذا الشان فليستمسك بذلك والا فهو بمعزل

عن المقصود والذي يدلك على بصيرة ان علما الاخرة بنوا امرهم
على التوكل على الله والتفرغ لعبادته وقطع العلايق كلها فلم طمعوا
كتابا ولم اوصوا وصيته وقيض الله لهم اعوانا من السادة فمثلي
لهم من الخير المحض ما لم يتمش لطايفه من طوايف الامة الا زهاد
الكراميه على اصول غير مستقيمه وما زلنا اعزه ما دمنا على
منهاج ايمتنا يخرج من معابدنا ومدارسنا اما الامام في العلم
كالاستاذ ابي اسحق وابي حامد وابي الطيب وابن فورك وشيخنا
الامام وامثالهم من السادة واما صديق في العباده كابي اسحق
الشيرازي وابي سعيد الصوفي ونصر المقدسي وغيرهم ممن
فاق الامه علما وزهدا حتى ضعفت القلوب من بعضنا
وتلطخنا بشيء من العلايق التي ضرها اكثر من نفعها فتراجعت
الامور وتقاعدت الهمم وطارت البركات وزالت اللذات فلا
يكاد يصفو لاحد عباده او يحصل له علم وان اللمعه التي تظهر
منا الان ليست من بقي على منهاج اسلافنا وشيوخنا المتقدمين
كالحرث المحاسبي ومحمد بن ادريس الشافعي والمزني وجرمله
وغيرهم من ايمة الدين رضي الله عنهم اجمعين فاصحبوا الايام
فاصحبوا الايام الا تعففا وما وجدوا من حب سيدهم بدا
افاضل صديقين اهل ولايه الى سيد السادات قد جعلوا القصد
تحلل عقد الصبر من كل صابر وكاحلت الايام من عندهم عقدا

وكان في الصدر الاول ملوكا فصرنا سوقه وكنا فرسانا فصرنا رجاله
ولبئس الاستطع عن الطريق. ثمره والله المستعان على المصايب
والمسؤول ان لا يسلبنا هذا الرمق انه جواد كريم واما التقويض
فتامل فيه اصلين احدهما ان من اختار ما لا يتيقن صلاحه من فساده
لا يامن الوقوع في الفساد فان من اراد التمييز بين الدرهم الجيد والزيف
وكان بدويا او قرويا اعتما او سوقيا لا خبره له بذلك لا يامن ان
يختار الزيف على الخالص الجيد وان كان صيرفيا خبيرا كان امنا
من ذلك والعلم المحيط بالامور من جميع الوجوه اختص به رب
العالمين فهو المنفرد باستحقاق التدبير والاختيار في جميعها
ولذلك قال تعالى وربك يعلم الا يه ○ حكي ان بعض الصالحين
قيل له عن الله تعالى سل تعط وكان موفقا فقال ان عالما جميع
الوجوه يقول الجاهل من جميع الوجوه سل تعط كيف اعلم ما ذا يصلح
لي فاسله لكن اختر انت لي والثاني ان من قال له من يعتقد فيه
حسن التدبير والخبره بعواقب الامور وصلاحها وفسادها وانه
صادق وفي اشتغل بما يعنيك وانا ادبرك بحسن تدبيري
راي ذلك غنيمه كبرى ولم يهتمه تخلف فيما وعده فليف لا تفوض
امورك الى رب العالمين الذي يدبر الامر من السماء الى الارض
ولا يعزب عن علمه مثقال ذره في الارض ولا في السماء القادر
الذي لا يعجزه شيء ارحم الراحمين لتختار لك ما لا يبلغه علمك

وتدبيرك وتشتغل انت بما يعنيك واما الرضا بالقضا فاصل يجيء
اصلين ايضا احدهما ما في الرضا من الفايدة في الحال من فراغ القلب
وقله الهم ولذلك قال بعض الزهاد اذا كان القدر حقا فالهم
فضله واصل ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لابن مسعود رضي
الله عنه ليقل همك ما قد يكن ومالم يرزق لم يأتك وفي المآل من
ثواب الله تعالى ورضوانه قال تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه
وما في السخط من الهم والضجر في الحال والوزر والعقوبة في الاخرة
بلا فايدة اذ القضا نافذ فلا ينصرف بهمك وسخطك كما قيل
ما قد قضى بانفس فاصطبري له ولك الامان من الذي لم يقدر
والاصل الثاني ما في السخط من عظم الضرر والكمر والشقاق
الا ان يتداركه الله قال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك
فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا
تسليما فاذا بقي الايمان بانقسام عمن سخط قضا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكيف من سخط قضاه تعالى ٥ وروي ان الله تعالى
قال من لم يرض بقضايي ولم يصبر على بلايي ولم يشكر نعمايي
فليتخذ له الها سواي فقيل كانه يقول هذا لا يرضانا ربا حتى
سخط فليختر ربا اخر يرضاه وهذا غاية التهديد لمن عقل ولقد
صدق بعض السلف وقد سئل ما العبودية والربوبية فقال
الرب يقضي والعبد يرضى فاذا قضا الرب ولم يرض العبد فاهنالك

الوعيد ٤

الربوبية ولا عبودية واما الصبر فهو دواء مر وشربه كريه يجلب
كل منفعة وتدفع كل مضرة واذا كان الدوا بهذه الصفة فالعاقل يكره
النفس على شربه ويعطي على مرارته فلا باس بمرارة ساعة لراحة
سنة اما المنافع التي تجلبها فالصبر اربعة اقسام صبر على الطاعة
وصبر عن المعصية وصبر عن فضول الدنيا وصبر على المحن والمصايب
فاذا احتمل مرارة الصبر في هذه المواطن الاربعة حصلت له
الطاعات ومنازلها من الاستقامة وثوابها الجزيل في العاقبة
ثم لا يبتلى بطلب الدنيا وما لها من التشعل في المال والتبعة في
المآل ثم لا يحبط اجره على ما ابتلي به فحصل للصابر اذن الطاعة
ومنازلها الشريفة والتقوى والزهد والعوض والثواب الجزيل
من الله وتفصيل ذلك لا يعلمه الا الله واما دفع المضار فترجيه
اولا من هو دونه الجزع ومقاساته في الدنيا ثم وزره وعقوبته
في العقبى واما من ضعف عن الصبر وجزع فانه كل منفعة
وحقه كل مضرة اذ لا يصبر على مشقة الطاعة فلا يفعلها
او لا يصبر على حفظها فيحبطها او لا يصبر على المواظبة عليها
فلا يرتقي الى درجات الاستقامة فيها او لا يصبر عن معصية
منع منها او فضول فيشتغل به او لا يصبر على مصيبة فيحرم ثواب
الصبر وربما يكثر الجزع فيفوته العوض ويكون له مصيبتان
فوت الشي وفوت الاجر وحلول المكروه وحرمان الصبر وقد

قيل حرمان الصبر على المصيبة اشد منها واي فايدة في شئ يذهب
بالحاصل الموجود ولا يرد الذاهب المفقود ن وعزي علي عليه
السلام رجلا فقال ان صبرت جرت عليك المقادير وانت ماجور
وان جزعت جرت عليك المقادير وانت مازور وجملة الامر ان
قطع القلب عن العلايق المالوفة وقلع النفس عن العادات
الراسخة بالتوكل المحض على الله جل اسمه وترك التدبير في الامور
وتفويضها الى الله عز وجل وكف النفس عن السخط والجزع مع
تسارعها اليه واكراهها على لجام الرضا وجرع شربه الصبر مع نفرتها
عنه لامر مر وعلاج شديد ولكنه تدبير سديد وطريق مستقيم
انظر كيف يمنع الوالد الشفيق الغبي ولده الارمد تفاحه او
رطبه يأكلها وكيف يسلمه الى المعلم الغليظ السياسة ويحبسه
عنده طول النهار ويمكن الحجام من ايجاعه لاخلا على ولده ولا
بغضا له وهو انا به كيف وهو قرة عينه بل لانه علم ان صلاحه
في ذلك وانه يصل بهذا التعب القليل الى خير كثير وانظر الى
الطبيب الحاذق الناصح كيف يمنع المريض الضاوي شربه ماء
بطلبها ويكرهه على تناول شربة كريهة سفر منها نفسه لا معاداة
بل نصحا واحسانا فاذا حبس الله تعالى عنك رغيفا او درهما مع
علمه بحالك وقدرته على ملكه وجوده العام على كل موجود فاعلم
ان ذلك لما علمه من مصلحتك ن وفي الخبر المشهور ان الله

سبحانه وتعالى يقول اني لاذود اوليائي عن نعيم الدنيا كما يذود
الراعي الشفيق ابله عن مبارك العرة واذا ابتلاك بشدة
فاعلم يقينا انه غني عن امتحانك وابتلايك عالم بحالك رؤف بك
قال صلى الله عليه وسلم ما رحم بعبده من الوالدة الشفيقة
بولدها فما انزل بك هذا المكروه الا لصلاح علمه لك وجهلته انت
ولهذا تراه يكثر ابتلاء اوليائه الذين هم اعز عباده ن قال
صلى الله عليه وسلم اذا احب الله قوما ابتلاهم وقال اشد الناس
بلاء الانبياء ثم الشهداء ثم الامثل فالامثل فاذا رايت الله تعالى يحبس
عنك الدنيا او يكثر عليك الشدايد والبلوى فاعلم انه سلك بك
طريق اوليائه قال تعالى فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا فاعرف
منته عليك فيما حفظ عليك من صلاحك وكثر من اجرك ونزلك ن
منازل الابرار وبالجملة اذا علمت انه تعالى ملي بضمان رزقك
الذي لا بقاء لك ولا قيام لك بعبادته بدونه وانه قادر على ما يشا
وهو السميع البصير لحاجتك اتكلت على ضمانه الحق ووعده
الصدق وقطعت النظر عن العلايق والاسباب واذا علمت
انه مدبر السما والارض فتريح نفسك عن شئ لا يبلغه علمك وتركت
التدبير في امورك وتضييع وقتك فيما لا فايدة فيه قال
بعض الزهاد ن
سبقت مقادير الاله وحكمها فارح فوادك من لعل ومن لو

وقال آخر

سيكون ما هو كائن في وقته واخو الجهالة متعب محزون
فلعل ما تخشاه ليس بكائن ولعل ما ترجوه ليس يكون
وقلت قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وهو حسبنا ونعم
الوكيل ۞ واذا واظبت قلبك على ان ما قضى الله تعالى فهو الاوفق
والاصلح وان ذلك لا يبلغ علمك كيفيته وسره وحديث نفسك
بان المقدر كائن لا محاله تخلصت عن السخط وافانه التي عرفتها
واذا تذكرت عند اصابة المصيبة وحلول الشدايد بك ان انواع
البلا في خزاين الله كثيرة وان هذه ستنقضي ولا تبقى وامرت نفسك
بالتجلد لها واعرضت عليها ما وعده الله تعالى على الصبر وذكرت
صبر اولي العزم على المصايب الكبار من الانبيآء والاولياآء
هانت عليك الشدايد وحصلت على اجر الصابرين ان شآء الله تعالى

فقد قيل

توقع صنع ربك سوف ياتي بما تهواه من فرج قريب
ولا تيأس اذا ما ناب خطب فكم في الغيب من عجب عجيب

ولآخر

اذا اشتد بك العسري ففكره في الم نشرح
فعسر بين يسرين اذا ذكرته فافرح
فاذا واظبت على هذه الاذكار وكررتها هونت عليك الامور

ودفعت هذه العوارض عن نفسك وصرت عند الله من المؤكلين
المفوضين الراضين بقضايا الصابرين على بلايا وحصلت
لنفسك راحة القلب والبدن في الدنيا وعظيم الثواب والذخر
في العقبى وجليل العذر والمحبة عند رب العالمين فيجمع لك
خير الدارين ويستقيم لك طريق العبادة بقطع هذه العقبة
الشاقة امدنا الله واياكم باحسن توفيقه وارشدك واياكم الى
هداية طريقه فان الامر كله لله وبيده وهو ارحم الراحمين ۞
العقبة الخامسة وهي عقبة البواعث
فاذا استقام لك الطريق وارتفعت العوايق وزالت العوارض
فعليك بالسير ولا يحصل السير المستقيم الا باستشعار الخوف
والرجا والتزامهما جميعا على حدهما اما الخوف فيجب التزامه
لامرين احدهما الزجر عن المعاصي فان النفس لامارة بالسوء
ولا ينهى عن ذلك الا بتخويف عظيم وليست في طبعها حرة
تهمها الوفآ وميغها الحيآ وقد قيل

العبد يفزع بالعصا والحر تكفيه الملامة

والتدبير فيها ان يفزعها ابدا بسوط التخويف قولا وفعلا وفكرا
ذكر عن بعض الصالحين ان نفسه دعته الى معصية
فانطلق وترع ثيابه وجعل يتمرغ في الرمضآ ويقول لنفسه
ذوقي فنار جهنم اشد حرا اي جيفة بالليل بطاله بالنهار

والثاني ليلا تعجب بالطاعات فتهلك بل تمتعها بالذم والعيب
والنقص من الاستوا والاوزار التي فيها ضروب الاحظار
ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو اجدني انا وعيسى
اخذنا بما كسبت هاتان لعذبنا عذابا لم يعذب احدا واشار
باصبعيه وعن الحسن انه كان يقول ما يومن احدنا ان يكون
قد اصاب ذنبا فطبق باب المغفرة دونه فهو يعمل في غير معمل
وعن ابن السماك فيما يعاتب نفسه تتولين قول الزاهدين
وتعملين عمل المنافقين تطمعين في الجنة بطمعين هيهات هيهات
ان للجنة قوما اخرين ولهم اعمال غير ما تعملين فهذه
وامثالها مما يلزم العبد تذكيرها للنفس وتكريرها عليها ليلا
تعجب بطاعة او تقع في معصية واما الرجا فانما يلزمك استشعاره
لامرين احدهما للبعث على الطاعات لان الخير ثقيل والشيطان
عنه زاجر والهوى الى ضده داع وحال اهل الغفلة من عامة
الخلق في النفس منطبع مشاهد والثواب الذي يطلب بالطاعة
غايب عن العين وامد الوصول اليه فيما يحسب بعيد فاذن
لا ينبعث النفس للخير ولا ترغب فيه حقه ولا تشتاق له الا بامر
يقابل هذه الموانع ويساويها بل يزيد عليها وهو الرجا القوي
في رحمة الله تعالى والترغيب البالغ في حسن ثوابه ۞
قال امام الحرمين رحمه الله الجزوع يمنع من الطعام

والخوف يمنع من الذنوب والرجا يقوي على الطاعات وذكر
الخوف يزهد في الفضول والثاني ليهون عليك احتمال
شدايد والمشقات فمن عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل ومن
طاب له شي رغب فيه حق رغبته احتمل شدته ولم يبال بما يلقى
من مو ونته ومن احب احدا حق محبته احب ايضا احتمال محنته
حتى انه يجد بذلك المحنة ضروبا من اللذة الا ترى مشتار
العسل لا ينكر بلسع النحل والاجير لا سيما بالارتقاء في السلم
الطويل بالحمل الثقيل طول النهار الصايف والفلاح لا ينكر
بمقاساة الحر والبرد ومباشرة الشقا والكد طول السنة
لتوقع البيدر فكذلك العباد اهل الاجتهاد اذا ذكروا الجنة
وما فيها من طيب مقيلها وانواع نعيمها هان عليهم ما احتملوه من تعب في
عباده او قاسوه في الدنيا ن وقد حكي ان اصحاب سفين الثوري
رحمه الله كلموه فيما كانوا يرون من خوفه واجتهاده ورثه حاله
وقالوا لو تنقصت من هذا الجهد نلت مرادك ايضا ان شا الله
تعالى قال سفين وليف لا اجتهد وقد بلغني ان اهل
الجنة يكونون في منازلهم فيتجلى لهم نور تضي له الجنات الثمانية
فيظنون ان ذلك نور من جهة الرب سبحانه وتعالى فيخرون
ساجدين فينادي ان ارفعوا رؤوسكم ليس الذي تظنون انما
هو نور جاريه تبسمت في وجوه زوجها ثم انشا يقول

ماضر من كانت الفردوس مسكنه ماذا يحل من بوس والنار
تراه يمشي كيبيا خايفا وجلا الى المساجد يسعى بين اطمار
يا نفس مالك من صبر على النار قد جان ان تقبلي من بعد ادبار
فاذا كان مدار العبوديه على القيام بالطاعة والانتهاء عن المعصية
ولا يتم ذلك الا بترغيب وترهيب وتوجيه وتخويف لزم طالب
العبادة اشعار النفس بالامرين والا فلا تساعد النفس الجموح
على الطاعة فانها كالدابة الحرون تحتاج الى قايد يقودها
وسايق سايقا يسوقها واذا وقعت في هواه ضربت ناره
بالسوط ولوح لها الشعير من جانب لخر والخوف سوط
النفس وسايقها والرجا شعيرها وقايدها ولهذا المعنى
اتى الذكر الحكيم بمجموع الامرين بالوعد والوعيد والترغيب
والتهديد وذكر من الثواب اليوم ما لا صبر عنه ومن العذاب
الاليم ما لا صبر عليه فعليك بالتزام الامرين يحصل لك
مرادك ويسهل عليك المشقه واما حقيقه الخوف والرجا
وحكمهما فهما يرجعان عند العلماء الى قبيل الخواطر وانما
المقدور للعبد مقدماتهما قالوا الخوف رعده تحصل في
القلب عن ظن مكروه بناله والخشيه نحوه لكن الخشيه
يقتضي ضربا من الاستعظام والمهابه وضد الخوف الجراه
ولكن قد يقابل بالامن يقال خايف وامن وخوف وامن

لان الامن الذي يجري على الله والحقيقه ان الجراة تضاده
ومقدمات الخوف اربع الاول ذكر الذنوب الكثيره
سابقه وكثره الخصوم الذين مضوا الى المظالم واتت مرتهن
لم يتبين لك الخلاص بعد والثانيه ذكر شده عقوبه الله
تعالى ن والثالثه ذكر ضعف نفسك عن احتمالها ن
والرابعه ذكر قدره الله تعالى عليك متى شا واما الرجا
فهو ابتهاج القلب بمعرفه استعالي والاستراح الى سعه فصل
رحمه الله تعالى وهذا من جمله الخواطر غير مقدور للعبد ن
ورجا هو مقدور وهو تذكر فضل الله وسعه رحمته
ويسمى ايضا اراده المخاطره بالاستثناء رجا والمراد من هذا
الباب هو الاول وهو التذكر على حسب الابتهاج ن
والاستراح وضده اليايس وهو تذكر فوات رحمه الله
تعالى وفضله وقطع القلب عن ذلك وهو معصيه بمحض
وهذا الرجا فرض اذا لم يكن للعبد سبيل الى الامتناع عن
الناس الا به والا فهو تفعل بعد اعتقاد الجمله في فضل الله
وسعه رحمته ومقدمات الرجا اربعه ذكر سوابق فضله
اليك من غير قدم وشفيع ن والثانيه ذكر ما وعد الله
من جزيل ثوابه وعظيم كرامته على حسب فضله وكرمه
دون استحقاقك اياه بالفعل اذ لو كان على حسب الفعل

لكان اقل شيء واصغر امر ن والثالثه ذكر نعمه عليك في امر
دينك ودنياك في الحال من انواع الامداد والالطاف من غير
استحقاق ولا سوال ن والرابع ذكر سعة رحمه الله تعالى
وسبقها غضبه وانه الرحمن الرحيم الروف بعباده فاذا واظبت على
هذين النوعين من الاذكار افضى بك الى استشعار الخوف والرجا
بكل حال والله ولي التوفيق ن فعليك بقطع هذه العقبه باحتياط
وحرز فانها دقيقه المسلك خطره الطريق لان طريقها بين طريقين
مخوفين مهلكين احدهما طريق الامن والاخر طريق الياس
فطريق الرجا والخوف طريق عدل بين طريقين جايرين فان غلب
الرجا دون الخوف ووقع في الامن ولا يامن مكر الله الا القوم
الخاسرون وان غلب الخوف دون الرجا وقع في طريق الياس
ولا ييئس من روح الله الا القوم الكافرون واما الرجا والخوف
والاعتصام بهما فهو طريق عدل مستقيم هي في سبيل الله واصفيا
الذين وصفهم بقوله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات
ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين فقد ظهر لك في
هذه العقبه طرق ثلثه طريق الامن والجراه وطريق الياس
والقنوط وطريق الخوف والرجا والثالث ممتد بين
الاولين فان مال عليه يمينا او يسارا بقدم واحد وقع في احد
المهلكين وصار من اهالكين ثم الشان ان الطريقين الجايرين

اوسع مجالا واكثر داعيا واسهل سلوكا من الطريق العدل لانك اذا
خفت من جانب الامن رايت من سعة رحمة الله وكثره فضله
لا يبقى لك معه خوف فتكل على ذلك وتهلك وان رايت من جانب
الخوف رايت من عظم سياسته الله تعالى وكثره هيبته ودقه
امره وغايه مناقشته مع اوليايه واصفيايه ما لا يكاد يبقى معه رجا
فتبتئس بمره وتقنط فتحتاج اذن الانتظار الى سعة الرحمه فقط
حتى تتكل وتامن ولا الى عظم الهيبه والمناقشه فقط حتى تايس
وتقنط بل تنظر الى هذا وهذا جميعا وتاخذ من هذا بعضا ومن
هذا بعضا فتركب بينهما طريقا دقيقا وتسلكه لتسلم قال
تعالى في انباء هذه السبيل يدعونهم خوفا وطمعا ثم قال فلا
تعلم نفس ما اخفي لهم من قره اعين جزاء بما كانوا يعملون فتنبه
لهذه الجمله وشمر للامر فانه لا يجي بالهوينا ثم اعلم انه لا يتم
لك سلوك هذه الطريق الا بالتحفظ بثلثه اصول وتذكرها
على سبيل الدوام من عين فكره احدها ذكر اقواله تعالى في
الترغيب والترهيب والثاني ذكر افعاله سبحانه في
الاخذ والعفو والثالث ذكر جزايه سبحانه للعباد
في المعاد وتفسير كل اصل منها يحتاج الى صحف كثيره
وهذه اشاره الى كلمات توقف على المقصود ان شاء الله تعل
الاصل الاول تدبر اقواله سبحانه وتعالى فايات

اوليا

الرجا قوله تعالى لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا
ومن يغفر الذنوب الا الله ن غافر الذنب وقابل التوب ن وهو
الذي يقبل التوبه عن عباده ويعفوا عن السيئات ن كتب ربكم على
نفسه الرحمه ن ورحمتي وسعت كل شي فاسكنها للذين يتقون
ان الله بالناس لرؤف رحيم ن وكان بالمومنين رحيما ن فهذه
ايات الرجا واما ايات الخوف والسياسه فقوله تعالى يا عباد
فاتقون ن لخسنا اما خلقناكم عبثا ن احسب الانسان ان يترك
سدى ن ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوا يجز به
وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ن وبدا لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون ن وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا
نسئل الله تعالى ان يسلمنا واياكم برحمته ومن الايات اللطيفه
الجامعه بين الخوف والرجا قوله تعالى نبي عبادي اني انا الغفور
الرحيم ن ثم اعقبه بقوله وان عذابي هو العذاب الاليم ن ليلا
يستولي عليك الرجا بمره وقال شديد العقاب ثم قال عقبه
ذي الطول ليلا يستولي عليك الخوف بمره واعجب من ذلك
قوله تعالى ويحذركم الله نفسه ثم قال والله رؤف بالعباد
واعجب منه قوله من خشي الرحمن بالغيب جعل الخشيه من الرحمن
لا من الجبار او المنتقم او المتكبر ونحوه ليلا يطير القلب من سكره
الخوف بل جعله خوفا مع تاميل كل ذلك ليسلك طريق العدل

دون الامن والقنوط الجايرين وفقنا الله واياكم لذلك
الاصل الثاني في افعاله ومعاملاته اما من جانب الخوف
فان ابليس عبد الله تعالى ثمانين الف سنه ولم يترك فيما قيل موضع
قدم الا وسجد لله تعالى فيه ثم ترك له امرا واحدا فطرده من
بابه وضرب بوجهه عباده ثمانين الف سنه ولعنه الى يوم الدين
واعد له عذابا اليما ابد الابدين ن وروي ان النبي صلى الله عليه
وسلم راى جبريل عليه السلام متعلقا باستار الكعبه وهو يصرخ
الهي لا تغير اسمي ولا تبدل جسمي ثم ادم صلوات الله عليه صفيه
ونبيه الذي خلقه بيده واسجد له ملايكته وحمله على اعناقهم الى
جواره انبسط فاكل اكله واحده لم يوذن له فيها فنودي الا لا
يجاورني من عصاني وامر الملايكه الذين حملوا سريره بزحزحته من
سما الى سما حتى اوقفوه الى الارض ولم يقبل توبته فيما قيل
حتى بكى على ذلك ما بقي من سنه ولحقه من الهوان والبلا ما لحقه
وبقيت ذريته في تبعات ذلك الى الابد ثم ان نوحا شيخ المرسلين
صلوات الله عليهم اجمعين الذي احتمل في امر دينه ما احتمل لم
يقل الا كلمه واحده على عهد وجهها فنودي فلا تسالني ما ليس
لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين ن وروي في بعض
الاخبار انه لم يرفع راسه الى سما الدنيا حيا من الله تعالى اربعين
سنه ثم ابرهيم خليل الله لم يكن منه هفوه واحده فلم خاف وتضرع

وقال الذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين ٥ وروي انه كان
يبكي من شدة الخوف فارسل الله سبحانه وتعالى اليه الامين جبريل
صلوات الله عليه فقال يا ابرهيم هل رايت خليلا يعذب خليله يا جبار
فقال ياجبريل اذا ذكرت خطيئتي نسيت خلته موسى بن عمران
صلوات الله عليه لم يكن منه الا لطمه على خده كم خاف واستغفر
فقال رب اني ظلمت نفسي فاغفرلي ثم في زمانه بلعم بن باعور اكان
بحيث اذا نظر يرى العرش وهو المعنى بقوله تعالى واتل عليهم
نبا الذي اتيناه اياتنا ولم يغل به واحده فانسلخ منها مال الى
الدنيا واهلها ميله واحده فسلبه معرفته وجعله بمنزله الكلب
المطرود فقال فمثله كمثل الكلب واوقعه في بحر الضلال والهلاك
الى الابد حتى قيل انه كان في اول امره بحيث يكون في مجلسه
اثنا عشر الف مجبره للمتعلمين الذين يلتفون عنه ثم
صار بحيث كان اول من صنف كتابا ان ليس للعالم صانع نعوذ
بالله من سخطه وخذلانه فانظر الى حب الدنيا وشومها ماذا بلغ
للعلما خاصه ثم ان داود عليه السلام خليفته في ارضه اذنب ذنبا
واحدا فبكى على ذلك حتى نبت العشب في الارض من دموعه
وقال يارب اما ترحم بكائي وتضرعي فاجيب يا داود نسيت
ذنبك وذكرت بكاك ولم يقبل توبته اربعين يوما وقيل اربعين سنه
ثم يونس عليه السلام غضب غضبه واحده في غير موضعها فسجنه

في بطن الحوت اربعين يوما وهو ينادي سبحانك لا اله الا انت
ت من الظالمين وسمعت الملايكه صوته فقالت الهنا وسيدنا
لا نا صوت معروف في موضع مجهول فقال تعالى ذلك عبدي
يونس فتشفعت الملايكه فيه مع ذلك غيبا شمه فقال وذا النون
اذ ذهب مغاضبا الايه فنسبه الى سجنه ثم قال فالتقمه الحوت
وهو مليم فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون
ثم ذكر تعمته ومنته فقال لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعرا
وهو مذموم فانظر الى هذه السياسة ايها المسكين ولذلك هلم
جرا الى سيد المرسلين اكرم خلقه عليه قال له فاستقم كما امرت
ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير حتى كان يقول صلى الله
عليه وسلم شيبتني هود واخواتها قيل عني هذه الايه واشكالها
في القران وقال تعالى واستغفر لذنبك الى ان من الله عليه
بالغفران فقال ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك وقال
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وكان بعد ذلك يصلي
الليل حتى تورمت قدماه فيقولون اتفعل ذلك يا رسول الله
وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فيقول افلا اكون عبدا
شكورا وكان عليه السلام يقول لولا اني وعيسى اخذنا بما كسبت
هاتان لعذبنا عذابا لم يعذب به احدا من العالمين وكان يصلي الليل
ويبكي ويقول اعوذ بك بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك

واعوذ بك منك لا احصي ثنآ عليك انت كما اثنيت علي نفسك ثم
الصحابه الذين كانوا خير قرن من خير امه كان بيدوا منهم سيء من
المزاج حيني نزلت هذه الايه الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم
لذكر الله الايه ثم وضع في هذه الامه مع كونه مرحومه الجدو
والسياسات العظيمه والاداب حيني كان يونس بن عبيد يقول
لانا من قطع في خمسه دراهم حبر عصوه منك ان يكون عذابه هذي
غلا نسال الله العظيم ان يعاملنا بمحض كرمه انه ارحم الراحمين واما
جانب الرجا فحدث عن رحمة الله الواسعه ولا حرج ومن الذي يعرف
غايتها او يحسن وصفها فانه الذي يهب لكفر سبعين سنه بايمان ساعه
قال تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف اما
تري سحره فرعون الذين جاو الحربه وحلفوا بعزة عدوه كيف
قتلهم ووهبهم جميع ما سلف وجعلهم رووس الشهدا في الجنه ابد الابدين
بقولهم امنا بصدق قلوبهم هذا لمن وحده ساعه بعد ذلك الكفر
والضلال فكيف من افنى عمره في توحيده وانظر اصحاب الكهف وما
كانوا عليه من الكفر طول اعمارهم اذ قالوا ربنا رب السموات والارض
والتجوا اليه كيف قبلهم واكرمهم فقال ونقلبهم ذات اليمين وذات
الشمال وكيف اعظم لهم الحرمه والبسهم المهابه والخشيه حيني قال
لاكرم خلقه عليه لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم
رعبا بل كيف اكرم كلبا نبغم حيني ذكره في كتابه العزيز مرات

ثم جعله معهم في الدنيا محبوبا ويدخله الجنه في الاخره مكرما فهذا فضله
على خطى خطوات مع قوم عرفوه ووحدوه اياما معدوده من غير عباده
وكيف فضله مع عبده المومن الذي عبده ووحده مده عمره وانظر الى
معانيته ابرهيم عليه السلام لدعايه على المجرمين بالهلاك ومعانيته
موسى في امر فرعون كيف استغاث به فلم يغثه وقال فوعزتي لو
استغاث بي لاغثته وعفوت عنه وكيف عاتب يونس في شان قومه
وقال لاحزنن على شجره يقطين لبثتها في ساعه ولابيستها في ساعه
ولاحزنن على مايه الف او يزيدون ثم كيف قبل عذرهم وصرف عذابه
الشديد عنهم بعدما اضلهم ثم كيف عاتب سيد المرسلين فيما روي
انه دخل من باب بني شيبه فراي قوما يضحكون فقال لم تضحكون لا
اراكم حيني اذا كان عند الحجر رجع اليهم الفهقري فقال جاني جبريل
فقال يا محمد ان الله يقول تقنط عبادي من رحمتي بني عبادي
اني انا الغفور الرحيم وقال صلى الله عليه وسلم لله ارحم بالعبد
من الوالده الشفيقه بولدها وعنه صلى الله عليه وسلم ان لله مايه
رحمه واحده منها قسمها بين الانس والجن والبهايم بها يتعاطفون
ويتراحمون وذخر منها تسعه وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم
القيمه واذا قد اعطاك من الرحمه الواحده من العطايا الكريمه
العزيزه من معرفته سبحانه وكونك من هذه الامه ومن السنه
والجماعه الى غيرها من النعم الظاهره والباطنه ما اعطاك فارج من

فضله العظيم ان يتم نعمته عليك وتجعل لك من الشفعة والشفعين
حظا وافرا واما الاصل الثالث في ذكر ما وعد واوعد في المعاد
فلتذكر فيه ذلك الاحوال الاربعة الموت والقبر والقيامة والجنة والنار
وما في كل مقام منها من الخطر للمطيعين والعاصين والمقصرين
والمجتهدين ۞ اما الموت فاذكر فيه حال رجلين احدهما ما روي عن ابن
شبرمة انه قال دخلت مع الشعبي على مريض نعوده وهو لما به واذا
رجل يلقنه لا اله الا الله فقال الشعبي ارفق به فتكلم المريض وقال
ان يلقني اولم يلقني فاني لم ادعها ثم قرا والزمهم كلمة التقوى وكانوا
احق بها واهلها فقال الشعبي الحمد لله الذي نجا صاحبنا ۞
والاخر ما حكي ان تلميذ الفضيل ابن عياض حضرته الوفاه ففتح
الفضيل عند راسه سوره يس فقال يا استاذ لا تقرا هذه فسكت
ثم لقنه لا اله الا الله فقال لا اقولها لاني منها بري ومات على ذلك
فدخل الفضيل منزله وجعل يبكي اربعين يوما ثم راه في النوم وهو يسحب
الى نار جهنم فقال باي شي نزع الله المعرفه عنك وكنت اعظم
تلاميذي فقال بثلثه اشيا اولها النميمه فاني قلت لاصحابي خلاف
ما قلت لك والثاني حسدت اصحابي والثالث كان بي علة
فجيت الى طبيب فسالته عنها فقال تشرب في كل سنه قدحا
من خمر فان لم تشرب تبقى العلة بك فكنت اشربه نعوذ بالله من
سخطه الذي لا طاقه لنا به ثم اذكر حال رجلين احدهما ما حكي ان

٦٢

عبد الله بن المبارك لما حضرته الوفاه نظر الى السما فضحك وقال
لمثل هذا فليعمل العاملون ۞ وعن الاستاذ ابي بكر بن فورك
كان لي صاحب ايام التعليم وكان مبتدئا كثير الجهل في التعلم بقيا
بعيدا وكان لا يحصل له مع ذلك الاجتهاد الا القليل وكان عجيب
من حاله فمرض فلزم مكانه بين الاولياء في الرباط ولم يدخل بيت المرضى
مع كان يجتهد مع مرضه فاشتد الحال وانا الى جانبه فبينا هو اذ
شخص ببصره الى السما ثم قال يا ابن فورك لمثل هذا فليعمل العاملون
واما الاخر فنحو ما روي عن مالك بن دينار انه دخل على جار له احتضر
فقال يا مالك جبلان من نار بين يدي اكلف الصعود عليهما فسالت
اهله فقالوا كان له مكيالان يكيل احدهما و يكيل بالاخر فدعوت
بهما فضربت احدهما بالاخر حتى كسرتهما ثم سالت الرجل فقال لا
يزداد الامر على الاعظما واما القبر وما بعد الموت فاذكر فيه حال
رجلين احدهما ما ذكره بعض الصالحين قال رايت سفين الثوري في
النوم بعد موته فقلت كيف حالك يا ابا عبد الله فاعرض عني وقال ليس هذا
زمان الكلام فقلت كيف حالك يا سفين فانشا يقول
نظرت الى ربي عيانا فقال لي هنيئا رضائي عنك يا ابن سعيد
لقد كنت قواما اذا الليل قد دجا بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر اي قصر تريده وزرني فاني عنك غير بعيد
والرجل الثاني رايته في النوم بعد الموت شاحب اللون معلولا بداه

الى عنقه فقيل له ما فعل الله بك فانشا يقول ـــــ
تولى زمان لعبنا به وهذا زمان بنا يلعب ـــــ ن وقال
رجلين احدهما ما روي ان بعض الصالحين قال كان لي ابن استشهد
فلم اره في المنام حتى مات عمر بن عبد العزيز فرايته تلك الليله فقلت يا
بني الم تكن ميتا فقال ولكني استشهدت وانا حي عند الله ارزق فقلت
ما جابك قال فودي في اهل السما لا بقي بني ولا صديق ولا شهيد
الا وجبت الصلاه على عمر بن عبد العزيز فجيت لاصلي عليه ثم جيتكم لاسلم
عليكم واما الاخر فما روي عن هشام بن حسان قال ابن لي حدث
فرايته في المنام وهو اشيب فقلت يا بني ما هذا الشيب قال لما قدم
علينا فلان زفرت جهنم زفره لم يبق احد منا الا شاب نعوذ بالله
من ذلك واما القيامه فتامل قوله تعالى يوم نحشر المتقين
الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فواحد يخرج من
قبره فيري البراق على راس القبر والتاج والحلل فيلبس ويركب
الى جنات النعيم لا يخلى من عزه ان يمشي برجله ن واحد
يخرج من القبر فيري الزبانيه والانكال لا يترك البتة ان يمشي
برجله بل يسحب الى سواء الجحيم على وجهه نعوذ بالله من ذلك
وروي بعض العلما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا
كان يوم القيامه تخرج قوم من قبورهم لهم جنب يركبونها الجنه
خضر فتطير بهم في عرصات القيامة حتى اتوا على حيطان الجنة

فاذا راتهم الملايكه قال بعضهم لبعض من هؤلاء فقالوا لا ندري لعلهم
من امة محمد صلى الله عليه وسلم فياتيهم بعض الملايكه فيقول من
اين ومن اي الام فيقولون نحن من امة محمد صلى الله عليه وسلم
فتقول الملايكه هل حوسبتم فيقولون لا فيقولون هل وزنتم فيقولون
فيقولون هل قرانكتبكم فيقولون لا فتقول الملايكه ارجعوا
لكن ذلك وداكم فيقولون هل اعطيتمونا شيا فتحاسب عليه
وفي رواية اخري ما ملكنا فنعدل او نجور ولكن عبدنا ربنا حتى
دعانا فاجبناه فينادي منادٍ صدق عبادي ما على المحسنين من
سبيل والله غفور رحيم ن الم تسمع قوله تعالى افمن يلقى في النار
خير ام من ياتي امنا يوم القيمة ن فطوبى للامنين يوم الفزع الاكبر
واما الجنه والنار فتامل فيهما ابين من الكتاب العزيز قال
تعالى في حق قوم وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء
وكان سعيكم مشكورا وقال على لسان اخرين ربنا اخرجنا منها
فان عدنا فانا ظالمون قال اخسؤا فيها ولا تكلمون ن فروي
انهم يصيرون عند ذلك كلابا ينعاوون في النار نعوذ بالله
من اليم عذابه فان الامر كما قال يحيى بن معاذ لا ندري ايّ
المصيبتين اعظم فوات الجنان او دخول النيران اما الجنة
فلا صبر عليها ثم الطامه الكبري الخلود فيها ولذلك قال
عيسى عليه السلام ذكر الخالدين يقطع قلوب الخائفين

وذكر عند الحسن ان آخر من يخرج من النار رجل يقال له هناد
عذب الف عام ينادي ياحنان يامنان فبكى الحسن وقال
ليتني كنت هنادا فتعجبوا منه وقال وحكم السن يوما يخرج فيه
الامر اذن الى النكبة التي تقصم الظهر وتقطع القلوب وهي خوف
نزع المعرفه ن ولقد قال بعضهم العموم ثلثه غم الطاعه لا
يقبل وغم المعصيه لا تغفر وغم المعرفه تسلب ن وقال
المحصلون الغم كله غم واحد وهو غم المعرفه المسلوبه
وكل غم دونه فله انقضا وعن يوسف بن اسباط قال
دخلت على سفين فبكى ليله اجمع فقلت بكاوك على الذنوب
فاخذ تبنا وقال الذنوب عند الله اهون من هذا انما اخشى
ان يسلبني الله الاسلام نسئل الله لنا ولكم حسن الخاتمه
انه جواد كريم واعلم ان الاقتصار على احد الطريقين
مخوف كما تقدم ذكره بل كل واحد منهما انما يكون حقيقيا
اذا استلزم الاخر ولذلك قيل الرجا كله لاهل الخوف
الا الامن والخوف كله لاهل الرجا الا الياس ثم ان العبد
مادام صحيحا فالخوف اولى به فاذا مرض فالرجا اولى به
سيما اذا اشرف على الموت ن فقد روي انه قال تعالى
انا عند المنكسرة قلوبهم من مخافتي فاذا انكسر قلبه لخوفه
المتقدم زمان الصحه صار رجاوه اولى ولذلك يقال لهم لا

تقنطوا ولا تحزنوا واعلم ان الحذر من المعصيه والخوف من العقاب
والاجتهاد في الطاعه لا يخرج العبد عن حسن ظنه بالله تعالى
الذي توكده وههنا نكته عزيزه يغلظ فيها كثير من الناس وهي ان الرجا
يكون على اصل والامنيه لا تكون على اصل فان من زرع واجتهد
وجمع بيدرا وتوقع ان يجيء منه فايده فغير متلافذ لك رجا منه
ومن لم يزرع ولا عمل يوما واحدا في سنته وتوقع وقت البيدر مايه
فغير فذلك امنيه منه وكذلك حال العبد الطايع لامر ربه المنتهي
عن معصيته اذا توقع قبول هذا البشير منه فهو رجا ن والمهمل
للطاعات المنهمك في المعاصي اذا توقع حسن العاقبه معتمدا
على حسن الظن فذلك امنيه منه وما يوضح هذا الاصل ما
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما
بعد الموت والعاجز من يتبع نفسه هواها ويتمنى على الله عز وجل
وفي ذلك يقول الحسن البصري ان قوما الهتهم امانيهم المغفره
فخرجوا من الدنيا وليست لهم حسنه يقول اني احسن الظن بربي
وكذب لو احسن ظنه بربه لاحسن العمل له ثم تلى قوله تعالى
وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين
وعن جعفر الصيقل قال رايت مبشره العابد وقد بدت
اضلاعه من الاجتهاد فقلت يرحمك الله ان رحمة الله واسعه
فغضب وقال هل رايت ما يدل على القنوط ان رحمة الله قريب

المحسنين قال جعفر فابكاني قوله فاذن كل الرسل
والاولياء مع الاجتهاد في الطاعة والحذر من المعصية
ايظن ظان ان ليس لهم حسن ظن بالله بلى والله هم احسن ظنا
علموا ان ذلك دون الاجتهاد امنيه وغرور فاعتبر حالهم
تنتبه من رقدتك وجمله الامر انك اذا تذكرت سعة
رحمه الله تعالى التي سبقت غضبه ووسعت كل شيء وانه
اولاك فضلا كاملا وجودا كاملا من غير شفيع وقدم
سابقه لك وتذكرت من جانب اخر كمال جلاله وعظمته
وعظم سلطانه وهيبته وشده غضبه الذي لا يقوم له
السموات والارض مع غايه غفلتك وكثره ذنوبك وخطر
معاملته مع احاطة علمه بالغيوب مع حسن وعده ووعيده
وثوابه وشده وعيده وعقابه تارة تنظر الى فضله
وتاره الى عدله وتاره الى رحمته وتارة الى بقضيبك
وجنايتك تادبي بكل جميع ذلك الخوف والرجا فسلكت
طريقه وعدلت عن الجانبين المهلكين الامن واليأس
وشربت الشراب الممزوج العدل فلا تهلك ببرودة
الرجا او بحرارة الخوف الصرف ووصلت الى المقصود
وانقادت نفسك للطاعة واجتنبت المعاصي كما قال ذو
ان نوفا اذا ذكر الجنة طال شوقه واذا ذكر النار طار نومه

وصرت حينيذ من الاصفيا الخواص الذين قال تعالى فيهم
يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا
خاشعين وقطعت هذه العقبه الخطره باذن الله وحسن
توفيقه وفقنا الله واياك لذلك ن العقبه السادسه
عقبه القوادح ثم عليك امدك الله بمعونته بعد ما استبان
لك السبيل بتمييز سعيك وصيانته عما يفسده عليك باقامة
الاخلاص وذكر المنه والاجتناب عن ضده لامرين احدهما
ما في فعله من الفايده وهو حسن القبول من الله تعالى
ووفور الثواب عليه والا فيكون مردودا وروي عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى يقول انا اغنى
الاغنيا عن الشريك من عمل عملا فاشرك فيه غيري فنصيبي له
فاني لا اقبل الا ما كان لي خالصا ن وقيل ان الله تعالى
يقول لعبده يوم القيمه اذا التمس ثواب عمله الم يوسع لك في
المجالس الم تكن المروس في المجالس الم يرخص بيعك وشراؤك
الم تكرم هذا واشباهه من الخطر والذكر واعلم ان في الرياء
فضيحتين ومصيبتين فاحدى الفضيحتين فضيحة
الشر وهي اليوم على رؤس الملايكه فقد روي ان الملايكه
تصعد بعمل العبد مبتهجين فيقول الله تعالى ردوه الى
سجين فانه لم يردني فيفضح ذلك العمل والعبد والثانيه

فضيحه العلانيه وهي يوم القيامة على رؤس الخلايق ٥ عن
النبي صلى الله عليه وسلم ان المراي ينادي عليه يوم القيمة
باربعة اسماء يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر ضل سعيك
وبطل اجرك فلا خلاق لك التمس الاجر ممن كنت تعمل له يا
مخادع ٥ وعنه صلى الله عليه وسلم ينادي منادٍ يوم القيمة
سيع الخلايق اين الذين كانوا يعبدون الناس قوموا خذوا
اجوركم ممن عملتم له فاني لا اقبل عملا اخالطه شي واحدي
المصيبتين فوت الجنه قال صلى الله عليه وسلم ان الجنه
تكلمت وقالت انا حرام على كل بخيل ومراي والخبر يحمل
معنيين احدهما ان المراد بالبخيل من يبخل بافتح بخل وهو
قول لا اله الا الله محمد رسول الله و بالمراي من يراي بافتح
ديا وهو المنافق الذي يراي بايمانه وتوحيده والثاني
انه من لم ينته عن البخل والريا ولم يراع نفسه ففيه خطر
ان يلجمه شوم ذلك فيقع في الكفر فيفوته الجنه راسا
والمصيبه الثانيه دخول النار ٥ روي ابو هريره رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اول من يدعا
يوم القيامه رجل قد جمع القران ورجل قاتل في سبيل
الله ورجل كثير المال فيقول للقاري الم اعلمك ما
انزلت على رسولي فيقول بلى يا رب فيقول ما عملت

فيما علمت فيقول يا رب قمت به انا آناء الليل والنهار فيقول الله
كذبت وتقول الملايكه كذبت ويقول الله بل اردت ان يقال
فلان قاري فقد قيل ذلك ويقول لصاحب المال الم اوسع
عليك حتى لا ادعك تحتاج الى احد فيقول بلى يا رب فيقول
فما عملت فيما اتيتك فيقول كنت اصل الرحم واتصدق فيقول
الله كذبت وتقول الملايكه كذبت ويقول الله بل اردت
ان يقال فلان جواد فقد قيل ذلك ويقول للذي قتل
في سبيل الله ما فعلت فيقول امرت بالجهاد في سبيلك ٥
فقاتلت حتى قتلت فيقول الله كذبت وتقول الملايكه كذبت
ويقول الله بل اردت ان يقال فلان جري فقد قيل ذلك
قال ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على
ركبتي وقال يا ابا هريره اولئك اول خلق الله تسعر بهم
نار جهنم ٥ وعن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ان النار واهلها يعجون من اهل الريا قيل يا
رسول الله كيف يعج النار قال من حر النار التي يعذبون
بها وفي هذه الفصايح بلاغ لاولي الابصار واعلم ان الاخلاص
اخلاصان اخلاص في العمل واخلاص في طلب الاجر اما
اخلاص العمل فهو ارادة التقرب الى الله تعالى وبعظيم
امره واجابه دعوته والباعث عليه الاعتقاد الصحيح

وضد هذا الاخلاص النفاق وهو التقرب الى من دون الله
سبحانه قال امام الحرمين رحمه الله النفاق هو الاعتقاد
الفاسد الذي هو للمنافق في الله عز وجل وليس هو من جنس
الارادات واما الاخلاص في طلب الاخر فهو ارادة نفع الاخرة
بعمل الخير قال امام الحرمين انه ارادة نفع الاخرة لم يرد
ردا بعد زجره بحيث يرجى به تلك المنفعة وقال الحواريون
لعيسى ما الخالص من الاعمال قال الذي يعمل لله ولا يحب
ان يحمده عليه احد وهذا يعرض لترك الدنيا وانما خصه
بالذكر لانه اقوى الاسباب المشوشة للاخلاص وقال
الجنيد الاخلاص نصفيه الاعمال من الكدورات وقال
الفضيل الاخلاص دوام المراقبة ونسيان الخطوظ كلها وهذا
هو البيان الكامل والاقاويل في هذا كثيرة لا فايدة في تكثير
النقل بها بعد انكشاف الحقيقة وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن الاخلاص فقال تقول الله
ربي ثم تستقيم كما امرت اي لا تعبد هواك ونفسك ولا
تعبد الا ربك وتستقيم في عبادته كما امرت وهذه اشاره الى
قطع كل ما سوي الله عن مجرى النظر وهو الاخلاص حقا
وضده هو الريا وهو اراده نفع الدنيا بعمل الاخرة ثم الريا
ضربان رياء ثير محض تريد به نفع الدنيا لا غير وريا مخلط

به نفع الدنيا ونفع الاخرة واخلاص العمل ان يجعل الفعل
خالصا وتاثير اخلاص طلب الاجر ان يجعله مقبولا وافرا الاجر
والنفاق يحبط العمل ويخرجه عن كونه قربة مستحقا عليه
الثواب بالوعد من الله فالريا المحض لا يكون مع العارف عند
بعض العلما وان كان ابطل نصف الثواب وعند اخرين
قد يكون من العارف وانه يذهب بنصف الاضعاف والتخليط
يذهب بربع الاضعاف والصحيح عند امام الحرمين رحمه الله عليه
ان الريا المحض لا يكون من العارف مع تذكر الاخرة ويكون
مع السهو والمختار عند حجة الاسلام ان من تاثير الريا رفع
القبول ونقصان الثواب والا تقدير له بنصف او بربع وشرح
هذه المسايل يستدعي طولا لا يحتمله هذا الكتاب وبعض العلما
قسم الاعمال ثلثة اقسام قسم يقع فيه الاخلاص او الريا جميعا وهو
العبادات الظاهرة الاصليه وقسم لا يقع فيه شي منهما
وهو الاعمال الباطنه الاصليه وقسم يقع فيه اخلاص
طلب الاجر دون اخلاص العمل وهو المباحات المأخوذه
للعدة وقال امام الحرمين ان كل عمل يحتمل الصرف الى غير الله
من العبادات الاصليه يقع فيه اخلاص العمل فالعبادات
الباطنه اكثرها يقع فيها اخلاص العمل واما اخلاص طلب
الاجر قال مشايخ الكرامية لا يقع في العبادات الباطنه

اذ لا يطلع عليها احد الا الله فامتنع منها دواعي الرياء فلم
الى اخلاص طلب الاخر وقال امام الحرمين اذا اريد
بالعبادات الباطنه نفع الدنيا فهو ايضا رياء قال
الاسلام فلا يبعد اذن ان يقع في كثير من العبادات الباطنه
الاخلاص جميعا عند الشروع واما المباحات الملحوظ
للعده يقع فيها اخلاص طلب الاجر دون اخلاص العمل اذ
هي لا تصلح ان تكون بنفسها قربه بل هي عده على القربه واعلم
ان اخلاص العمل مع الفعل يقارن الفعل لا محاله ولا يتاخر
عنه واما اخلاص طلب الاجر فربما تاخر عنه ن وعند بعض
العلما يعتبر فيه وقت الفراغ من العمل فاذا فرغ على اخلاص
او رياء فقد انقضى الامر ولا يمكنه استدراكه بعد وعند عبدان
من مشايخ الكراميه ما لم تنل الفايده المطلوبه بالعمل يمكنه
اقامة الاخلاص فيه فاذا نال المطلوب فقد فات ن
وقال بعض العلما الفريضه يمكن اقامة الاخلاص فيها
الى الموت واما النوافل فلا سبيل الى ذلك والفرق بينهما ان الله
تعالى ادخل العبد الفريضه فما مول منه التفضل ن واما
ما ادخل العبد نفسه فيه من النوافل وتكلفه فهو مطالب بحق
ما تكلف وفايده هذه المسله ان من سبق منه رياء او عدم اخلاص
في عمل فيمكنه استدراكه وتلافيه في بعض الوجوه المذكوره

من تعلل مذاهب الناس فيها التقريب على من في عمله
او في سلوكه اضطراب او هو مبتدي في العباده فان لم
يجد لعلته دواء في قول وجده في آخر لاختلاف الاغراض وعلل
الاعمال وافانها فافهم ذلك وقد قيل انه يجب لكل عمل اخلاص
مفرد وقيل يكفي اخلاص واحد لجمله من العبادات فالعمل
ذو الاركان كالصلوه والوضوء يكفيها اخلاص واحد لان بعضها
متعلق ببعض صلاحا وفسادا فصارت كشيء واحد واعلم ان
الاعتبار في الرياء بالمراد لا بالذي تريد منه فان كان مرادك
الحيني نفعا دنيويا فهو رياء سوا اردته من الله تعالى او من الناس
قال تعالى من كان يريد

وليس الاعتبار بلفظة الرياء واشتقاقها من معنى
الرويه وانما سميت هذه الاراده بهذا الاسم لانها اكثر ما يقع يكون
من قبل الناس ورويتهم فان اراد بعمل الاخر الخير من الله
تعالى دنيا يتعفف بها ويعتد بها على عبادته فلا يلون ذلك رياء
والتعفف لا يكون بكثره المال والجاه بل بالقناعه والكفايه من
الله فافهمه ن وكذلك لو اراد ان يلون معظما عند الناس
او محبوبا عند المشايخ والايمه وكان قصده من ذلك التمكن
من تابيد مذهب والرد على البدع ونشر العلم والحض
على العباده دون ان يقصد شرف نفسه من حيث هي

اودنيا تنالها فتلك ارادة شديدة لا مدخل لها في باب الربا
اذ المقصود منها بالحقيقة الاخرة قال
الاسلام سالت بعض مشايخي عما اعتاده اوليا ونا من مداومة
سورة الواقعة في ايام العسرة اليس المراد بذلك ان يرفع
الله تعالى تلك الشدة عنهم ويوسع عليهم دنياهم فكيف يصح
ارادة الدنيا بعمل الاخرة فقال في جوابه ما معناه ان مرادهم
ان يرزقهم الله قناعة او قوتا يكون لهم عدة على عبادة الله وقوة
على درس العلم وهذه من جملة ارادات الخير دون الدنيا
واعلم ان قراءة هذه السورة في امر الرزق شيء وردت به
الاخبار المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وتداولته
الصحابة حتى ان ابن مسعود عوتب في امر ولده اذ لم يترك
لهم دنيا فقال قد خلفت لهم سورة الواقعة ومن هذا
الاصل في الشرع جرت هذه الخصلة في سير علماء الاخرة
والافلاس بالاة عندهم بشدة في امر الدنيا او سعة بل يرون
انو آء الدنيا غنيمة ويخافون سعتها ان يكون استدراجا وهذا
هو مذهب اهل التصوف ولا اعتبار بتقصير بعض المتاخرين
وانما بينا ذلك ليلا يغتر فيه مخالف جهلا بمقاصد القوم
او يغلط المبتدي لم ياخذه من العلم حقه فيقول كيف يليق
هذا بحال اهل الزهد والتجرد ولم يعلم ان هذا ماخوذ

من

من السنة ثم ان المقصود بحصول القناعة والعدة لا الشره
والشهوة والضعف عن احتمال العسرة والشدة واكثر ما ترى
عقيب ذلك قناعة في القلب وفقد كلب الجوع وهذا الطعام علم ذلك
من امتحنه فاعرفه ترشد ن القادح الثاني العجب
ويلزم اجتنابه لامرين احدهما انه يحجب عن التوفيق والتاييد من
الله تعالى فان المعجب مخذول قال صلى الله عليه وسلم ثلث
مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه والثاني
انه يفسد العمل الصالح ولذلك قال عيسى عليه السلام يا
معشر الحواريين كم من سروج قد اطفاته الريح وكم من عابد افسده
العجب واذا كان المقصود العباده وهذه الخصلة مذهبها فحقيق
بالمحترز عنها واعلم ان حقيقة العجب استعظام العمل الصالح وتفصيله
عند العلماء رحمهم الله ذكر العبد حصول شرف العمل الصالح بشيء
دون الله عز وجل او الناس او الشيء قالوا وقد يكون العجب
مثلثا بان يذكر ذلك من هذه الثلثة جميعا النفس والخلق
والشيء ومثنى بان يذكر انه من اثنين وموحدا بان يذكره من واحد
منها وضد العجب ذكر المنة وهو ان يذكر انه بتوفيق الله وانه
الذي شرفه وعظم ثوابه وقدره وهذا الذكر فرض عند دواعي
العجب نقل في سائر الاوقات ن واما تاثير العجب في العمل
قال بعض العلماء ينتظر الاحباط فان تاب قبل موته

سلم والاحبط واليه ذهب محمد بن صابر من شيوخ الكرامية
والاحباط عنده ان يذهب من العمل جميع الاسماء الحسنه حتى
يستحق بذلك ثوابا ولا مدحه البته وفي قول عنه هو ذهاب
الاضعاف لا عين واعلم ان الناس في العجب ثلثه اصناف صنف
هم المعجبون بكل حال وهم المعتزله والقدريه الذين لا يرون لله
عليهم منه في افعالهم وينكرون العون والتوفيق الخاص واللطف
لشبهة استولت عليهم وصنف هم الذاكرون المنه بكل حال وهم
المستقيمون لا يعجبون بشيء من الاعمال لبصيرة اكرموا بها وتلا يبد خصوا
به وصنف مخلطون وهم عامة اهل السنة تاره ينتبهون فيذكرون
منة الله وتاره يغفلون فيعجبون وذلك لمكان الغفلة العارضه
والفتره في الاجتهاد ثم هل يحبط العمل باعتقاد المعتزله والقدريه
ام لا قيل يحبط وقيل لا يحبط باعتقاد الجمله من فرق الاسلام
حتى يحبط كل عمل باعجاب كما ان اعتقاد اهل السنة لا يمنع العجب
في كل عمل حتى يخصه بذكر منه واعلم انه لا ينحصر القوادح في الريا
والعجب بل هما الاصل الذي يدور عليه معظم الباب ن ومنهم
من جعل القوادح عشره النفاق والريا والتخليط والمن
والاذى والعجب والندامه والحسره والتهاون وخوف ملامة
الناس وذكر امام الحرمين اضدادها واضرارها بالعمل فضد
النفاق اخلاص العمل وضد التخليط التفريد وضد المن تسليم

العمل لله وضد الاذى تخصيص العمل وضد الندامه تشت
التنفس وضد العجب ذكر المنه وضد الاذى تخصيص العمل
الحسره اغتنام الحين وضد التهاون تعظيم التوفيق وضد الخوف
الملامه الخشيه والنفاق يحبط العمل والريا يوجب رده والمن والاذى
يحبطان الصدقه اصلا في الوقت وعند بعضهم يحبطان اضعافها
والندامه يحبط العمل في قول الجميع والعجب يذهب اضعاف العمل
والحسره والندامه وخوف الملامه والتهاون يخفف العمل فيذهب
بذاته ن والقبول والرد يرجعان الى ضروب من التعظيم
والاستخفاف والاحباط ابطال منافع تكون بالفعل وبشبهه
ثم يكون تاره بابطال الثواب واخرى بابطال التضعيف
والثواب منفعه تقيضها الفعل بعينه وقرائنه واحواله والتضعيف
زياده على هذا والرزانه زياده تحصل بمقتضى قرائن واحوال اخر
كالاحسان الى احد من اهل الخير ثم الى الوالدين ثم الى بني من
الانبياء ففي السر يكون رزانه ولا يكون تضعيفا فافهم ذلك
وعليك بقطع هذه العقبه المخوفه ذات المقاطع والمتالف في عامة
المحترز فان صاحب بضاعة الطاعات قد قطع كل تلك العقبات
وتحمل تلك المشقات حتى حصلت له بضاعة من العبادة شريفه
لا يخاف عليها الا في هذه العقبة المتلفه واعظمها خطرا واعمها
وقوعا هذان المقطعان الريا والعجب فلنذكر في كل واحد منهما اصولا

متعه بجردها لك لعلك تكتفي موونتهما باذن الله اما الاول
فاذكر اولا قول الله تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض
مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير ذكانه
تعالى يقول اني خلقت السموات والارض وما بينهما في كل هذه
الصنايع والبدايع واكتفيت بنظرك لتعلم اني قادر عالم وانت
تصلي وكفيتني بما فيهما من المعايب والنقصين ولا يكتفي نظري
اليك وعلمي بك وثنائي عليك وشكري لك حتى يجب ان تعلم
الخلق ليمدحوك بذلك افيكون ذلك وفاء وعقلا يرضاه احد
لنفسه ذ الاصل الثاني ان من كان له جوهر نفيس يمكنه
بيعه بالف الف دينار وباعه بفلس الس ذلك خسرانا عظيما
وخسته همة ومانيا له العبد من الخلق من مدحه وحطام ذ
بالاضافة الى رضى رب العالمين وشكره وثوابه اقل من فلس من
جنب الف الف دينار بل في جنب الدنيا وما فيها فما اخسر من
فوت نفسه تلك الكرامات العزيزة بهذه الامور الحقيرة ثم ان كان
ولا بد فاقصد الاخرة تبعك الدنيا واطلب من الرب وجده
يعطيك الدارين لذ هو ما لكهما قال تعالى من كان يريد ثواب
الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة وقال عليه السلام ان
لله يعطي الدنيا بعمل الاخرة ولا يعطي الاخرة بعمل الدنيا ذ
الاصل الثالث ان المخلوق الذي تعمل لاجله وتطلب رضاه

بعمله

٧١

لما علم منك لا بغضك واستخف بك فكيف يعمل عاقل لمن لو علم به
هانه وسخط عليه ويترك العمل لمن اذا اخلص له احبه واكرمه
واعطاه حتى اغناه عن الكل الاصل الرابع ان من حصل له سعي
يمكن ان يكتسب به رضا اعظم ملك من ملوك الدنيا فطلب به رضا
كناس حنسيس كان دليلا على سفهه ورداءة رايه فهذا حال المراي
فان ضعفت الهمة وكلت البصيرة حتى رغبت في رضا مخلوق لا
محاله فسبيلك تجريد الارادة وخلوص السعي لله تعالى فان القلوب
والنواصي بيده فهو يميل اليك القلوب ويجمع لك النفوس ويشرح
الصدور نحبك وان لم تفعل وقصدت بعملك رضا المخلوقين
دونه سبحانه فانه يصرف عنك القلوب وينفر عنك النفوس
ويسخط عليك الخالق فتبوء بسخط من الله وسخط الناس جميعا
قال الحسن البصري رحمه الله كان رجل يقول والله لاعبدن
الله عبادة اذكر بها فكان اول داخل المسجد واخر خارج منه
لا يراه احد حين الصلوة الا قايما يصلي وصايما لا يفطر وجليس
الى حلق الذكر فمكث كذلك سبعة اشهر وكان لا يمر بقوم الا
قالوا ما فعل الله بهذا المراي وصنع فاقبل على نفسه وقال اراني في
غير شيء لاجعلن عملي كله لله فلم يزد على عمله الاول شيئا الا انه تغيرت
نيته الى الخير فكان بعد ذلك يمر بالناس فيقولون رحم الله فلانا الآن
قد اقبل على الخير ثم قرا الحسن ان الذين امنوا وعملوا الصالحات

سيجعل لهم الرحمن وداً قال يجمعهم ويجيئهم إلى المؤمنين ولقد

القائل

يا مبتغي الحمد والثواب في عمل ... يبتغي مجالا
قد خيب الله ذا رياء وابطل السعي والكلالا
من كان يرجوا لقاء رب اخلص من خوفه الفعالا
الخلد والنار في حديث فرآيه يعطك النوالا
والناس لا يملكون شيئا فكيف رأيتهم ضلالا

واما العجب فلنذكر فيه فصولا احدها ان فعل العبد انما صار له قيمة لما وقع من الله موقع الرضى والقبول والا فترى الاجير يعمل طول النهار بدرهمين والحارس يسهو طول الليل بدانقين فان صرفت الفعل الى الله تعالى فصمت يوما قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وفي الخبر اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فهذا يومك الذي قيمته درهمان مع احتمال التعب العظيم صار له هذه القيمة بل لو جعلت نفسا واحدا لله تعالى قلت فيه لا اله الا الله قال تعالى ومن يعمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب فهذا نفس من انفاسك لا قيمة له عند اهل الدنيا كم قد ضيعت مثله من غير فائدة قد جعل الله له هذا الثواب فعظم

٧٢

قدره من حيث وقع مرضيا له فحق اذن للعاقل ان يرى حقارة عمله وقلة مقداره من حيث هو وان يرى منة الله عليه بتشريف عمله وحسن الجزاء عليه وان يحذر على فعله من ان يقع على وجه لا يصلح ولا يقع موقع الرضا من الله تعالى فيذهب عنه القيمة التي كانت ويرجع الى القيمة الحقيرة ومثاله ان العنقود من العنب والاصباره من الريحان يكون قيمته دانقا فان اهداه انسان الى ملك دسيجته فوقع منه موقع الرضا وهب له على ذلك الف دينار فاذا لم يرضه الملك ورده عليه رجع الى قيمته الخسيسة فتنبه وابصر منة الله وصن فعلك عما يشينه الثاني ما تعلم ان الملك في الدنيا اذا اجرى على احد جرايه من طعام او كسوة او دراهم او دنانير معدوده فانه يستخدمه بضروب الخدمة انا آناء الليل والنهار مع ما في ذلك من الذل والصغار ويقوم على راسه حتى تحذر رجلاه ويسعى بين يديه اذا ركب وربما استعمله حارسا في بابه طول الليل او لقي به عدوا فيبذل روحه الذي لا خلف عنها لاجله كل ذلك لاجل المنفعة الحقيرة مع انها من الله تعالى بالحقيقة وذاك سبب قريب الذي خلقك ولم تك شيئا ثم ربك فاحسن التربية ثم انعم عليك بالنعم الباطنة والظاهرة في دينك ونفسك ومالك ودنياك ما لا يبلغ كنهها فهمك قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم انك تصلي ركعتين مع ما فيهما من

المعايب والافات ومع ما وعد الله عليها من جزيل الثواب وضروب
الكرامات في المستقبل فكيف نعجب بها ونستعظمها ما هذا فعل
عاقل فافهم ذلك ن الاصل الثالث ان الملك الذي من شانه
ان يقوم على راسه الملوك والامرا ويخدمه السادات والكبرا
ويتولى خدمته الاولياء والحكما ويطلب مدحته العلما والعقلا
ويمشي بين يديه الاكابر والروسا اذا اذن لسوقي بمقتضى رافه
وعنايه له في بابه حتى يزاحم اولئك الاعاظم في خدمته ومدحته
وجعل له مقاما من حضرته معلوما ونظرا في خدمته بعين
الرضا وان كانت مشوشه معيوبه ليس يقال له قد كثرت
على هذا الحقير المنه من الملك وعظمت عنايته به فان اخذ
هذا الحقير من على الملك بتلك الخدمة المعيوبه ويستعظم ذلك
ويتعجب به افلا يقال ان ذلك لسفيه جدا ومجنون لا يعقل
شيئا واذا تقرر هذا فان الهنا هو الملك الذي يسبح له السموات
السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده والمعبود
الذي يسجد له من في السموات والارض طوعا وكرها فمن الخدم
على بابه جبريل الامين وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وحملة العرش
والكروبيون والروحانيون وسائر الملايكة المقربين الذي لا يحصى
عددهم الا الله رب العالمين في منازلهم الرفيعه وانفسهم الطاهره
وعباداتهم العظيمه ثم من الخدم الذي على بابه ادم ونوح وابرهيم

وموسى وعيسى ومحمد خير العالمين مع سائر الانبيا والمرسلين
صلوات الله عليهم اجمعين في مراتبهم المنيفه ومناقبهم الشريفه
من العلما والابرار والايمه الزهاد في مراتبهم الفاخره وابداتهم
النقيه الطاهره وعباداتهم الخالصه المتطاهره واذل الخدم
على بابه ملوك الدنيا وجبابرتها يجرون له على الاذقان ساجدين
ويعفرون الوجوه في التراب خاضعين ويرفعون حوائجهم اليه
باكين ضارعين حتى انه ينظر اليهم تطهره ويقضي لهم حاجه ويتجاوز
عنهم بكرمه زله فمع هذه العظمه والجلال قد اذن لك مع حقارتك
وعيوبك وانتنا الذي لو استاذنت على بعض بلدك لم ياذن لك
وان كلمت اميرا ناحيتك لم يكلمك وان سجدت لسلطان بلدك
لم يلتفت اليك اذن لك جل جلاله ان تعبده وتثني عليه
وتخاطبه وتدل عليه بالمسئله وتباشطه فتستقضيه حاجاتك
وتستكفيه مهماتك ثم انه يرضى ركعتيك في معايبها وبعدلها
من الثواب ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر وانت مع ذلك تعجب بهتين الركعتين وتستعظمها
ولا ترى لله عليك منة في قبولها فما اسواك اذن من عبد
نعانا الله واياك عن هذا الخاطر المهلك انه سميع مجيب
وكذلك الملك العظيم اذا اذن باد خال الهدايا اليه فدخل
عليه العظما بانواع التحف من الجواهر الثمينه والذخاير

التغتيسه ودخل بقال بباقه بقل اوقروي بسلة عنب بساوي
دانقا اوحبه فراجم اولبك العظما فقبل الملك هديته ونظر اليه
بعين القبول وامر له بانفس خلعه وكرامه الايكون ذلك منه
غايه الفضل والكرم فان اخذ هذا المسكين بمن بذلك على الملك
يعجب به وسيسعطه وينسى منة الملك الا يقال انه مجنون مضروب
العقل اوسفيه سيئ الادب فاذا قمت ليله وصليت ركعات
فتفكر بعدها كم قام لله سبحانه في هذه الليلة في اقطار الارض
برها وبحرها وجبالها من اصناف المستقيمين والصديقين
والخاشعين وكم حضرت هذه الساعه بباب الله سبحانه وتعالى
من عباده صافيه خالصه عن انفس خاشعه والسن طاهره
وعيون باكيه وقلوب عامره وان صلواتك وان كنت بذلك المجهود
في حسنها فلا يكاد يصلح لحضره هذا الملك العظيم ولا يبين في
جنب تلك العبادات التي تعرض هنالك كيف وقد كانت منك
عن قلب غافل مختلط بانواع العيوب وبدن متنجس باقذار الذنوب
ولسان متلطخ بانواع المعصيه والفضول فكيف يصلح هذا ان يحمل
الى ذلك الحضره قال امام الحرمين انظر ايها العاقل
هل رجعت قط صلوه من صلواتك الى السماء كما بدئه بعثتها الى
بيوت الاغنياء وكان ابو بكر الوراق يقول ما وقعت من صلوه
الا استحييت منها اشد من حياء امراه فرغت من الزنا ثم ان الله قال

لبعض عظم قدرها بين الركعتين ووعد عليها الجزيل الثواب وانت عبده
في جرايته وعملت ما عملت بتوفيقه فكيف يعجب بذلك وينسى منه انه
عليك هذا والله من اعجب العجب ثم اقول تيقظ من رقدتك وهذه
العقبه والاكئ من الخاسرين فانها اشد واشق عقبه استقبلتك
اذ اليها منتهى ثمره كل ما مضى من العقبات فان سلمت وغنمت
وان كانت الاخرى فقد ضاع السعي كله ثم الشان كله انه قد اجتمع
في هذه العقبه ثلاثه امور الاول ان الامر دقيق جدا والغبن
شديد والحظر عظيم اما دقه الامر فان مجاري الرياء والعجب في
الاعمال الدقيقه خفيه فلا يكاد ينتبه لها الا كل خبير بدقايق امر الدين
حكي بعض العلماء ان عطا السلمي رحمة الله عليه نسج ثوبا فاحكمه و
وحسنه جدا ثم عرضه في السوق فاشترخصه البزاز وقال انه فيه
عيوبا كثيرة وكيت فاخذه عطا وجلس يبكي بكاء شديدا فدعم الرجل وجعل
يعتذر اليه ويبذل له في ثمنه ما يريد فقال عطا ليس ذلك ما تظن
انما انا عامل في هذه الصناعة وقد اجتهدت في احكام هذا الثوب
واصلاحه وتحسينه حتى لا يوجد به عيب فلما عرض على البصير بعيوبه
اظهر فيه عيوبا كثيرة عنها غافلا فكيف اعمالنا هذه اذا عرضت على الرب
فيها من العيوب والنقصان الذي نحن عنه اليوم غافلون وعن
بعض الصالحين قال كنت ليله في وقت السحر في غرفه لي شارعه اقرا سوره
طه فلما ان ختمتها غفوت غفوه فرايت شخصا نزل من السماء بيده صحيفه

فنشرها بين يدي واذا فيها سورة طه واذا تحت كل كلمة عشر
حسنات الا كلمه واحده فاني رايت مكانها محوًا فقلت ولساني
قرات هذه الكلمه ولا ارى لها ثوابًا ولا اراها اثبت فقال الشخص صدقت
فقد قرانها وكتبناها الا انا سمعنا منادٍ ينادي من قبل العرش
امحوها واسقطوا ثوابها فكبت في المنام وعلمت ذلك فقالوا
مر رجل فرفعت صوتك بها لاجله فذهب ثوابها ٥ واما شدة الغبن
فلان الرياء والعجب افه تقع في لحظة فربما افسدت عليك عباده سبعين
سنه ٥ حكي ان رجلًا اضاف سفيان الثوري واصحابه فقال
لاصحابه هاتوا الطبق لا الذي اتيت به في الحجة الاولى بل الذي
اتيت به في الحجة الثانية فقال سفين مسكين افسد عليه حجتين
ووجه اخر في الغبن ان اقل طاعة سلمت له من الرياء والعجب
يكون لها من الله تعالى من النعيم ما لا نهاية له واكبر طاعة
اصابتها هذه الافه بقيت لا قيمة لها الا ان يتداركها الله تعالى
على ما روي عن علي كرم الله وجهه انه قال لا يقبل عمل البته وكيف
يقبل عمل مقبول ٥ وسئل الحجي عن عمل كذي وكذي ما ثوابه
قال اذا قبل لا يحصى ثوابه ٥ وعن وهب قال كان فيما
قبلكم رجل عبد الله سبعين عامًا صائما يفطر السبت فقط
فطلب الى الله حاجه فلم تقض فاقبل على نفسه وقال من قبلك
اتيت لو كان عندك خير قضيت حاجتك فانزل الله ملكا وقال

يا ابن ادم ساعتك التي انت فيها بنفسك خير من عبادتك التي تمضت
نظر السيس من الغبن ان واحدًا يكدح سبعين عامًا ويكون فكر
ساعه ارجى منها ولمثل هذا المعنى وقع نظر اولي الابصار من العباد
في مثل هذه الدقايق واهموا المثل هذه الاسرار بمعرفتها اولا ثم رعايتها
والتحفظ عنها ثانيًا ولم يغبنهم كثرة الاعمال بالظاهر وقالوا الشان
في الصفوة لا في الكثرة وقالوا جوهرة واحدة خير من الف خرزة واما
الذين قل علمهم وكل في هذه المعاني نظرهم واعقلوا ما في القلوب من العيوب
واشتغلوا باتعاب النفوس في الركوع والسجود والامساك عن الطعام
والشراب ونحوه فغرهم العدد والكثرة ولم ينظروا ما فيها من المخ
والصفوة وما يعقل هذه الحقايق الا العارفون بالله المكاشفون
واما عظم الخطر فمن وجوه احدها ملك لا نهاية لجلاله وله عليك
نعم لا تعد وبدن معيوب بعيوب خفية معروف بافات كثيرة
ان وقع تسارع النفس اليه فتحتاج ان يستخرج عللا صافيا سالما من
بدن معيوب ونفس مياله الى الشر امارة بالسوء على وجه
يصلح لرب العالمين من جلاله وكثرة ايادية ويقع منه موقع الرضا
والا فيفوتك الربح العظيم الذي لا تسمح النفس بفوته وقد تقدم مرارًا
عظم جلال الله تعالى وكثرة نعمه عليك وعيوب بدنك وكون
النفس امارة بالسوء فلا فايدة في اعادته واعظم خطرًا من ذلك
انه ربما نظر الله تعالى فراى العبد يرائي الناس بعبادته ويجعل

ظاهره لله وباطنه للخلق فيطرده طردًا لامرد له والعياذ
بالله ن وعن بعض العلما انه راى الحسن البصري بعد وفاته في
المنام فسئل عن حاله فقال اقامني بين يديه وقال لي اتذكر وقت
تصلي في المسجد يوم كذا فمنعك الناس بابصارهم فزدت حسنًا في صلوتك
فلولا ان اول صلوتك كان لي خالصًا لطردتك اليوم عن بابي ولقطعتك
عني مره واحده ولما كان الامر في الجملة من الدقه والصعوبه الى حدٍ
عظيم تطرا ولوا الابصار فيه فخافوا على انفسهم حتى ان منهم من لا يلتفت
الى جميع ما يظهر للناس من اعماله ن حكي عن رابعه انها قالت ما
ظهر من اعمالي لا اعده شيًا وقال اخر اكم حسناتك كما
تكم سيّاتك واخر يقول ان امكنك ان تجعل لك جنًا من الحبب
فافعل ن وقيل لرابعه بم ترجين اكثر ما ترجين قالت ببياسي من
جل على ن واجتمع محمد بن واسع ومالك بن دينار فقال مالك اما
طاعه او النار فقال محمد اما رحمه او النار فقال مالك ما احوجني الى
معلم مثلك وقال ابو يزيد البسطامي كابدت العباده ثلاثين سنه
فرايت قابلًا يقول يا بايزيد خزاينه مملوه من العباده ان اردت الوصول
اليه فعليك بالذله والافتقار ن وحكي الاستاذ ابو الحسن عن
الاستاذ ابي الفضل انه كان يقول اني اعلم ان ما اعمله من الطاعات
غير مقبول عند الله فقيل له في ذلك فاجاب اني اعلم ما يحتاج اليه
الفعل حتى يكون مقبولا واعلم اني لست اقوم بذلك فعلمت انها غير

قيل له فلم تفعلها قال عسى ان يصلحني الله يومًا فيكون النفس
معوده لعمل الخير فلا احتاج ان اعودها ذلك من الراس فهذه حال
اولي الاعلام ذوي المجاهدات والاقدار
فاطلب لتمسك صحبة مع عزم وقع الاياس وخابت الامال
هيهات تدرك بالتواني ساده كدوا النفوس وساعد الاقبال
روى ابن المبارك عن رجل انه قال لمعاذ حدثني حديثًا سمعته من
رسول الله صلى الله عليه وسلم حفظته وذكرته في كل يوم من شدته
ورقته قال نعم وبكا طويلا ثم قال واشوقاه الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم قال بينما انا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ ركب وارتدف ثم شخصنا فرفع بصره الى السماء وقال الحمد لله
الذي يقضي في خلقه ما يشاء يا معاذ قلت لبيك يا رسول الله
قال احدثك حديث ان حفظته نفعك وان ضيعته انقطعت
حجتك عند الله عز وجل يا معاذ ان الله تعالى خلق سبعة املاك
قبل ان يخلق السموات لكل سماء ملكًا وجعل على كل باب من ابواب
السموات ملكا بوابًا على قدر الباب وجلالته فتصعد الحفظه
بعمل العبد وله نور وشعاع حتى اذا انتهى الى الباب الى السما الدنيا
والحفظه تستكثر العمل وتزكيه فاذا انتهى الى الباب قال الملك
للحفظه اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا صاحب الغيبه
امرني ربي الا ادع عمل من يغتاب الناس يتجاوز الى غيري

ثم يجي الحفظه من الغد معهم عمل صالح له نور تستنكره الحفظه
وتزكيه حتى اذا انتهوا به الى السماء الثانيه قال الملك قفوا واضربوا
بهذا العمل وجه صاحبه فانه اراد به عرض الدنيا وامرني ربي الا
ادع عمله يتجاوز الى غيري فتلعنه الملايكه حتى يمسي وتصعد الملايكه
بعمل العبد مبتهجا فيه صدقه وصيام وكنت من البر فتستكثره
الحفظه وتزكيه فاذا انتهوا به الى السماء الثالثه قال الملك للبواب
قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا الملك صاحب الكبر امرني
ربي الا ادع عمله يتجاوز الى غيري انه كان يتكبر على الناس في مجالسهم
وتصعد الحفظه بعمل العبد يزهر كما يزهر النجوم والكوكب الدري
له دوي وتسبيح بصوم وصلوه وحج وعمره فاذا انتهوا الى السماء
الرابعه قال الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه
صاحبه انا الملك صاحب الاعجاب امرني ربي الا ادع عمله يتجاوز الى غيري
انه كان اذا عمل عملا ادخل العجب فيه وتصعد الملايكه بعمل
العبد كما تزف العروس الى اهلها حتى اذا انتهوا الى السماء الخامسه
بذلك العمل الحسن من جهاد وحج له ضوء كضوء الشمس فيقول
الملك انا الملك صاحب الحسد انه كان يحسد الناس على ما اتاهم
الله من فضله فقد سخط ما رضي الله لمرني ربي الا ادع عمله
يتجاوز الى غيري وتصعد الملايكه بعمل العبد بوضوء تام وصلوه
كثيره وصيام وحج وعمره فيجاوزون به الى السماء السادسه فيقول

الملك الموكل بالباب انا صاحب الرحمه اضربوا بهذا العمل وجه
صاحبه انه كان لم يرحم قط انسانا وان اصيب عبد شمت به
مرني ربي الا ادع عمله يتجاوز الى غيري وتصعد الملايكه بعمل
العبد بنفقه كثيره وصوم وصلوه واجتهاد وورع له صوت كصوت
الرعد وضوء كضوء البرق فاذا انتهوا الى السماء السابعه يقول
الملك الموكل بالسماء انا صاحب الذكر ان صاحب هذا العمل اراد به
الذكر في المجالس والرفعه عند القرآء والجاه عند الكبرا مرني
ربي عز وجل الا ادع عمله يتجاوز الى غيري وكل عمل لم يكن لله
خالصا فهو رياء ولا يقبل الله عمل المرائي وتصعد الحفظه
بعمل العبد من صلوه وزكوه وصيام وحج وعمره وخلق حسن
وصمت وذكر الله تعالى وتشيعه الملايكه للسموات السبع
حتى تقطع الحجب كلها الى الله حتى يقف بين يدي الله جل جلاله
ويشهدون له بما العمل الصالح المخلص فيقول الله تعالى انتم الحفظه
على عمل عبدي وانا الرقيب على ما في نفسه انه لم يرد بي بهذا
العمل ولا اخلصه لي وانا اعلم بما اراد بعمله عليه لعنتي عز
الادميين وغرهم ولم يغرني وانا علام الغيوب المطلع على ما
في القلوب لا يخفى علي خافيه ولا يعزب عني عازبه علمي بما كان
كعلمي بما لم يكن وعلمي بما مضى كعلمي بما بقي وعلمي بالاولين كعلمي
بالآخرين لعلم السر واخفى فكيف يغرني عبدي بعمله انما يغر

المخلوقين الذين لا يعلمون وانا علام الغيوب عليه لعنتي فتقول
الملايكه السبعه والثلثه الاف المشيعون يا ربنا عليه لعنتك ٥
ولعنتنا فتقول اهل السما عليه لعنة الله ولعنة اللاعنين فانجب
معاذ بكا به شديدا وقال يا رسول الله كيف النجاة مما ذكرت
قال يا معاذ اقتد بنبيك في اليقين قلت انت رسول الله وانا
معاذ بن جبل كيف لي النجاة والخلاص قال نعم يا معاذ ان كان في عملك
تقصير فاقطع لسانك عن الوقيعة في الناس وعن اخوانك في حملة القران
خاصه ولير دك عن الوقيعة في ما يقلمه من عيب نفسك ولا تزك
نفسك بذم اخوانك ولا ترفع نفسك بوضع اخوانك ولا تر آي بعملك
كي تعرف في الناس ولا تدخل في الدنيا دخولا ينسيك امر الاخرة
ولا تاج رحلا وعندك اخر ولا تعظم على الناس فيقطع عنك خيرات
الدنيا والاخره ولا تفحش في مجلسك حتى يحذروك من سوء خلقك
ولا تمزق الناس بلسانك فتمزقك كلاب جهنم قوله والنا شطات
نشطا يقول تنزع اللحم عن العظم قلت يا رسول الله من يطيق هذه
الخصال قال يا معاذ ان الذي وصفت لك يسير على من يسره
الله تعالى عليه انما يكفيك من ذلك ان تحب للناس ما تحب لنفسك
وتكره لهم ما تكره لنفسك فاذا انت قد سلمت قال خالد بن معدان ٥
وكان معاذ لا يكثر من تلاوة القران كما يكثر من تلاوة هذا الحديث
وذكره في مجلسه فاعتبر لنفسك ايها العاقل وانظر في خطر

ما تضمنه هذا الحديث واعتصم بالله واخلص له واعترف بالمنة له
وا قطع هذه العقبه والاكثر لها لكن نعوذ بالله من سيات
اعمالنا وشرور انفسنا ونساله النجاه لنا ولكم ولسايرالمسلمين
العقبه السابعه عقبه الحمد والشكر عليك وفقك الله
واياانا بعد قطع هذه العقبات الشاقه والظفر بالمقصود من العباده
السالمه من الافات بالحمد والشكر سبحانه تعالى على هذه النعم العظيمه
ويلزمك ذلك لامرين لدوام النعمه ولحصول الزياده اما دوام
النعمه فلان الشكر قيد النعم به ندوم وبتركه تزول قال تعالى
ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ٥ فكفرت بانعم الله
فاذاقها الله لباس الجوع والخوف ٥ ما يفعل الله بعذابكم ان
شكرتم وامنتم وقال صلى الله عليه وسلم ان للنعم اوابد كاوابد
الوحش فقيدوها بالشكر واما حصول الزياده قال تعالى
لان شكرتم لازيدنكم ٥ والذين اهتدوا زادهم هدى ٥ والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ٥ فالسيد الحكيم اذا راى العبد قد
قام بحق نعمه من عليه باحدى وراه اهلالها والاقطع ذلك عنه
ثم النعم قسمان دنيويه ودينيه والدينويه ضربان نعمة نفع ونعمه
دفع فنعمة النفع ان اعطاك المنافع والمصالح وهي ضربان الخلقه
السويه في سلامتها وعافيتها والملاذ الشهيه من المطعم والمشرب
والملبس والمنكح وغيرها ونعمة الدفع ان صرف عنك المفاسد

والمضار وهي ضربان احدهما في النفس بان تسلمك من زمانها علما وشايرا فاتها والثاني دفع ما يلحقك من ضرر من انواع العوا او يقصدك بسوء من انس او جن او سباع وهوام ونحوها والنعم الدينية ضربان نعمه التوفيق بان وفقك للاسلام ثم للسنه ثم للطاعة ونعمة العصمة ان عصمك اولا عن الكفر والشرك ثم عن البدعة والضلاله ثم عن المعاصي وتفصيل ذلك لا يحصيه الا الله الذي انعم عليك به وقال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واعلم ان دوام هذه النعم كلها بعد ما من عليك بها والزيادة عليها من كل نوع منها ما لا يبلغه وهم كل ذلك متعلق بالشكر والحمد لله تعالى وان خصله لها كل هذه الفوايد لحقيق ان يتمسك بها وتواظب عليها من عني اعقال واعلم ان العلما فرقوا بين الحمد والشكر عند التحصيل بان الحمد من اشكال الصبر والتفويض فهو من المساعي الباطنه لان الشكر يقابل الكفران والحمد يقابل اللوم ولان الحمد اعم واكثر والشكر اخص واقل قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور فثبت انهما معنيان متميزان ثم الحمد هو الثنا على احد بالفعل الحسن واما الشكر فتكلموا في معناه فاكثروا فعن ابن عباس هو الطاعه بجميع الجوارح لرب الخلايق في السر والعلانيه واليه ذهب من قال الشكر هو اداء الطاعات في الباطن والظاهر ثم رجع الى انه اجتناب المعاصي ظاهرا وباطنا وقال عمرو الشكر الاحتراس عن اختيار

معاصي

تعالى الله يحترس على قلبك ولسانك واركانك حتى لا تعصي الله تعالى بشي من هذه الثلثه بوجه من الوجوه والفرق بينه وبين ما قبله انه جعل الاحتراس امرا مثبتا زايدا على اجتناب المعاصي فان اجتناب المعصيه ليس هو الا ان لا يفعل المعصيه عند دواعيها ولا يكون في نفسه معنى محصلا يكون العبد مشتغلا به معتصما عن الكفران وقال الامام الحرمين الشكر تعظيم المنعم على مقابله بنعمه على حد يمنعه عن جفاء المنعم وكفرانه ولو قلت تعظيم المحسن على مقابله احسانه ليصح ان يكون من الله الشكر للعبد فحسن وفي شرح ذلك تفاصيل مذكوره في الكتب المطوله ولكن التحصيل ان الشكر من العبد تعظيم يمنع من جفا من احسن اليه وذلك بتذكر احسانه وحسن حال الشاكر في شكره وفي قبح حال الكافر في كفرانه فاقل ما يتوجه المنعم بنعمته ان لا يتوصل بها الى معصيته وما اقبح حال من جعل نعمه المنعم سلاحا على عصيانه فعلى العبد اذن من فرض الشكر في حقيقه ان يكون له من تعظيم الله سبحانه وتعالى ما يحول به بينه وبين معصيته على حسب تذكر نعمه فاذا اتى بذلك فقد اتى بما هو الاصل فيه ثم يقابل ذلك بجد في الطاعة وجد في القيام بالخدمة اذ هو من حقوق النعمه ولا بد من الاحتراس عن المعصيه واعلم ان موضع الشكر النعم الدينيه والدنيويه على اقدارها واما الشدايد والمصايب في الدنيا في نفس او اهل او مال فقال

بعضهم لا يلزم العبد عليها الشكر من حيث كلي وانما يجب فيها
الصبر والشكر يجب على النعمه لا غير قالوا ولا شده الا وفي جنبها
نعم اذ لم تكن في ديني واذ لم يكن اعظم منها واذ لم اجرم الرضا
واذ رجوت الثواب عليها وقيل ايضا من تلك النعم ان تلك
الشده زايله غير دايمه وانها من الله تعالى دون غيره وان
كانت بسبب مخلوق فان لك عليه لا له عليك فاذن يلزم العبد
الشكر على النعم المقترنه بالشده وقال اخرون وهو الاولى
عندا ئمتنا الحرمين ان شدايد الدنيا مما يلزم العبد الشكر عليها
فان تلك الشدايد نعم بالحقيقه فانها تعرض العبد لمنافع عظيمه
في العاقبه تتلاشى في جنبها مشقه الشده كمن شرب دوا مر
الدوا شديدا وفصد واحتجم لعله عظيمه مخوفه الخطر فادّاه
ذلك الى سلامه النفس وصحه البدن فيكون مرارة الدوا
وايلام الجراحه نعمه بالغه بالحقيقه وان كانت في صوره مكروه
ينفر عنه الطبع والنبي صلى الله عليه وسلم حمد الله على الشدايد
حمده على المسار قال صلى الله عليه وسلم الحمد لله على ما سآء
وسر وقال الله تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا
كثيرا ويؤكد هذا ان النعمه ليست خيرا عن اللذه وما تشتهيه النفس
بمقتضى الطبع ولكن النعمه ما تزيد في رفعه الدرجه لان معناها
الزياده واذا كانت الشده تصيب سببا في زياده شرف العبد

ورفعه درجته تكون نعمه بالحقيقه وان سميت شده فافهم ذلك
وقيل ان الشاكر افضل من الصابر قال تعالى وقليل من عبادي
الشكور فجعله اخص الخواص وقال في نوح انه كان عبدا
شكورا وقال في ابرهيم شاكرا لانعمه ن ولانه في منزله الانعام
والعافيه ولذلك قيل لان انعم فاشكر احب الي من ان ابتلي
فاصبر وقيل بل الصابر افضل لانه اعظم مشقه فيكون اعظم ثوابا
قال تعالى انا وجدناه صابرا نعم العبد ن انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب ن والله يحب الصابرين ن والتحقيق
ان الشكر والصبر متلازمان لا ينفك احدهما عن الاخر فان
الشاكرين في دار المحنه لا يخلوا من محنه يصبر عليها ولا يجزع
فان الشكر تعظيم المنعم على حد يمنع من عصيانه والجزع عصيان
والصابر لا يخلوا من نعمه كما ذكرنا ولان البصير هو حبس النفس
عن الجزع تعظيما لله تعالى وهو معنى الشكر بعينه والشاكر
يمنع نفسه عن المعصيه فهو صابر بالحقيقه ولان البصيره الباعثه
عليهما واحده وهي بصيره الاستقامه فعليك ببذل المجهود في قطع
هذه العقبه اليسيره المونه الكثيره الجدوى وتامل اصلين احدهما
ان النعمه انما يعطاها الشاكر قال تعالى حكايه عن الكفار
وردا عليهم ن اهؤلاي من الله عليهم من بيننا اليس الله باعلم بالشاكرين
ظن اولئك الجهال ان النعمه العظيمه انما تحصل لمن هو اكرم

ما لا واشرفهم حسبا ونسبا فقالوا ما بال هؤلاء الفقراء بزعمهم
من العبيد والاحرار اعطوا هذه النعمة العظيمه بزعمكم من دوننا
فقالوا على طريق الاستكبار ومجري الاستهزاء اهؤلاء من الله
عليهم من بيننا فاجابهم الله تعالى بهذه النكته الزاهره اليس الله
باعلم بالشاكرين تفكر يره ان السيد الكريم انما يعطي نعمته من
يعرف قدرها وانما يعرف قدرها من اقبل بنفسه وقلبه فاختارها
على غيرها ولا يعبا بما يتحمل من اعبا المؤونة في تحصيلها ثم لا يزال
قايما بالباب يودي شكرها وكان في علمنا السابق ان هاؤلاء
الضعفا يعرفون هذه النعمه ويقومون بشكرها فكانوا اولى بها
منكم فلا اعتبار بثروتكم ولا نسبكم ولا حسبكم وانتم تحسبون
ان الدنيا وحطامها والحسب والنسب هو النعمة لا الدين الحق
ومعرفته فانما تعظمون ذلك وتتفاخرون به ولا يكادون
تمتلون هذا الدين الحق الا بمنة على من انالكم به وهؤلاء الضعفا
يمتلون انفسهم عليه ويبذلون مهجهم فيه ولا يبالون بما فاتهم
وبمن عاداهم فاعلموا انهم هم الذين عرفوا قدر هذه النعمه ورسخ
في قلوبهم تعظيمها وهان عليهم فوت كل شي دونها وطاب لهم احتمال
كل شده وقطعوا العمر في شكرها فلذلك استحقوها دونكم وكذلك
كل فريق خصهم الله بنعمه من نعم الدين علم او عمل فانك تجدهم بالحقيقه
اعرف الناس بقدرها واشدهم تعظيما لها واجدهم في تحصيلها

٦١

قوم بشكرها والذين حرمهم الله ذلك فلقله احتفالهم بها وتعظيمهم
لشعنها بعد القدر السابق فلو كان تعظيم العلم والعباده في قلوب
لسوقه كما هو في قلوب العلما والعباد لما اتوا سوقهم عليه وهان
مسله ٣ عليهم تركه وانظر الى الفقيه اذا ظفر بتعليم ملتبسه عليه كيف يرتاح
قلبه ويعظم سروره حتى انه لو وجد الف دينار فاعدل ذلك عنده
ولو بين مثل هذه المسله لسوقي او متعلم كسلان يظن انه كالاول
في الرغبة في العلم لاستمع الى مبتغاها حق الاستماع وان اطال
الكلام عليه نام وان تبين ذلك له لا يعده كثير امر وكذلك
المنيب الى الله تعالى كم يجتهد ويذاب بالرياضة وصيانة النفس
عن الشهوات واللذات عسى الله ان يتم له ركعتين بادب وطهارة
وكم يتضرع الى الله عسى ان يرزقه ساعة مناجاه بصفوة وحلاوة
فان ظفر بذلك في كل شهر مره بل في كل سنة مره بل في العمر كله
مره عد ذلك من اكبر المنن عليه فلم يسر وكم يشكر ولا يكترث
بما ساه من المشقات وهجره من اللذات فيها ثم ترى كثيرا ممن يزعم
انه راغب في العباده ومحب لتحصيل شي منها لو احتاج في تحصيل مثل هذه
العباده الصافيه الى نقصان لقمه من عشايه او ترك كلمه لا تغنيه
او دفع نوم ساعه عن عينه لا يسمح نفسه بذلك فان اتفق له في النادر
حصول عباده في صفو لا يعده امرا خطيرا وانما يعظم سروره لو حصل
له درهم او كسوه او طابت له مرقه من طعام او طالت له في سلامة البدن

رقده فيقول عند ذلك الحمد لله هذا من فضل الله فاني سيأوي هاولاء
الغافلون العاجزون اولئك السعداء المجدين المجتهدين ولذلك
صار هولاي المساكين عن هذا الخير محرومين واولئك الموبدون
به ظافرين فلن يحرم الانسان الخير الا من نفسه وتقصيره بعد
تقدير الله تعالى ن الاصل الثاني ان النعمه انما تسلب ممن
لا يعرف قدرها الذي كفرها ولم يود شكرها قال تعالى
واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان
فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها الآيه تقدير الكلام
انا انعمنا على هذا العبد بالنعم العظام في باب الدين ومكناه
بذلك من تحصيل الرتبه العاليه على بانا فصار رفيعا عندنا
لكنه جهل قدر نعمتنا فمال الى الدنيا الحقيره واتر شهوه نفسه
الدنيه ولم يعلم ان الدنيا كلها لا تزن عند الله جناح بعوضه
فكان ذلك بمنزلة الكلب الذي لا يعرف الاكرام من الاهانه وانما
النعمه عنده في كسره يطعمها او عراق مايده ترمى اليه سوا عنده
ان اجلسته على السرير معك او امته في الرباب والقذر بين يديك
فهذا العبد السوا ذ جهل حق نعمتنا ولم يعرف قدر ما اتيناه من
كرامتنا كلت بصيرته وسا في مقام القربه ادبه بالالتفات الى
غيرنا والاشتغال عن ذكر نعمتنا بدنيا حقيره ولذه خسيسه
فنظرنا اليه نظر السياسه واحضرناه ميدان العدل وامرنا فيه

بحكم الجبروت فسلبناه جميع خلعنا وكرامتنا وترعنا من قلبه معرفتنا
فانسلخ عاريا عن جميع ما اتيناه من فضلنا فصار كلبا طريدا وشيطانا
رجيما نعوذ بالله من سخطه واليم عقابه انه رووف رحيم ن ثم
اقنع بمثال ملك يلزم عبدا له فيخلع عليه خاصه ثيابه ويقربه منه
ويجعله فوق سايرخدامه وحجابه وامره بملازمة بابه ثم ان بنى له
في موضع اخر القصور وتوضع له الاسره وتنصب له الموايد
وتزين له الجواري ويقام له الغلمان حتى اذا رجع من الخدمه
اجلس هنالك ملكا مخدوما وما بين حال خدمته الى ملكه وولايته
الا ساعه من نهار فان ابصر هذا العبد بجانب باب الملك سايسا
للدواب ياكل رغيفا او كلبا يمضغ عظما فاشتغل عن خدمة الملك بنظره
اليه واقباله عليه ولا التفت الى ما هو فيه من النعم بل سعى الى السايس
وساله كسره من رغيفه او زاحم الكلب على عظمه وعبطهما وعظم ما
هما فيه اليس ذلك الملك اذا نظر اليه في هذه الحال يقول ان هذا
السفيه لم يعرف حق كرامتي واعزازي اياه وتقريبه من حضرتي
واعدادي الذخاير النفيسه له اسلبوه خلعي واطردوه عن بابي فانه
ساقط عظيم الجهل لا يليق بخدمتي فهذا مثل العالم الذي مال الى الدنيا
او العابد اذا اتبع الهوى فانهما بعدا خصهما الله به من معرفة ايانه
وشريعته واحكامه والناهل لعبادته ومناجاته لم يعرفا قدر ذلك
وصارا الى احقر شي عند الله فرغبا فيه وحرصا عليه فيطردهما

عن بابه فيهلكا مع الهالكين فنسال الله البر الرحيم ان يصلحنا
واياكم بعظيم فضله وسعة رحمته فعليك اسعدك الله تعالى بمداد
يدل المجهود ولتعرف قدر نعم الله عليك واذا انعم عليك بنعمة
الدين فاياك ان تلتفت الى الدنيا وحطامها فان ذلك ضرب من
الممانعة بما اولاك به من نعم الدين اما سمعت قوله تعالى لسيد
المرسلين ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم
لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم وتقديره ان كل من اوتي
القران العظيم حق له ان لا ينظر الى الدنيا الحقيرة نظره باستحلاء
فضلا ان يكون له فيها رغبة وليلزم الشكر على ذلك فانه الكرامة
التي حرص ابرهيم الخليل ان يمن بها على ابيه فلم يفعل وحرص المصطفى
صلى الله عليه وسلم ان يمن بها على عمه ابي طالب فلم يفعل واما
حطام الدنيا فانه يصبه على كل كافر وفرعون وملحد وزنديق وجاهل
وفاسق الذين هم اهون خلقه عليه حتى غرقوا فيه ويصرفه عن كل
نبي وصفي وصديق وعالم وعابد الذين هم اعز خلقه عليه حتى
انهم لا يصيبون كسرة وخرقة ويمن عليهم حتى لا يلطخهم بقذرها
حتى قال عز من قايل لموسى وهرون عليهما السلام ولو اشاء لزينتكما
بزينة علم فرعون حتى يراها ان معدنه يعجز عنها لفعلت ولكني
ازوي ذلك عنكما وارغب بكما عنه وكذلك افعل باوليائي واني لاذودهم
عن نعيمها كما يذود الراعي الشفيق ابله عن مبارك العرة واني لاجنبهم

شهواتها وعيشها وليس ذلك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا حظهم من كرامتي
وقال تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن
لبيوتهم سقفا من فضة الآية فانظر الفرق بين الامرين ان كنت مبصرا
وقل الحمد لله الذي من علي بمن اوليائه واصفيائه وصرف عني فتنة اعدائه
ولتخص بالشكر الاوفر والحمد الاكبر والمنة الكبرى والنعمة العظمى
التي هي الاسلام فانها الاولى والاحرى ان لا تفتر لسانك وجنانك
عن شكرها فان كنت عاجزا عن عرفان قدرها فاعلم بالحقيقة انك
لو خلقت من اول الدنيا واخذت في شكر الاسلام من اول الوقت
الى الابد لما كنت تقوم بذلك ولما قضيت بعض الحق لما هنالك
من الفوز العظيم ولا يحتمل هذا الموضع ان يذكر فيه ما يمكن من شرح
هذه النعمة فانه ما يستقصى الم تسمع قوله تعالى لسيد المرسلين
ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان الى ان قال وعلمك ما لم تكن تعلم
وكان فضل الله عليك عظيما وقال للقوم بل الله يمن عليكم ان هداكم
للايمان وقال صلى الله عليه وسلم وقد سمع رجلا يقول الحمد لله على
الاسلام انك لتحمد الله على نعمة عظيمة ن ولما قدم البشير على يعقوب
عليه السلام بيوسف قال على دين تركته قال على الاسلام قال الان
تمت النعمة وقيل ما من كلمة احب الى الله تعالى ولا ابلغ عنده في الشكر
من ان يقول الحمد لله على ما انعم علينا وهدانا الى الاسلام واياك ان تغفل
الشكر وتفتر بما انت عليه من الاسلام والمعرفة والتوفيق والعصمة

اي ٤

فان الامور بالعواقب وكان سفين يقول ما امن احد على دينه
الا سلب ن وقال امام الحرمين رحمه الله اذا سمعت خال الكفار
وخلودهم في النار فلا تامن على نفسك فان الامر على الخطر ولا تدري
ماذا يلون من العاقبة ولا ما سبق لك في حكم الغيب فلا تغتر بصفاوة
الاوقات فان تحتها غوامض الافات ن وقال بعضهم يا معشر
المغترين بالعصم ان تحتها انواع النقم زين الله ابليس بانواع عصمته
وهو عنده في حقايق لعنته وزين بلعم بن باعورا بانوار ولايته وهو
عنده في حقايق عداوته وعن علي عليه السلام كم من مستدرج بالاحسان
وكم من مفتون بحسن القول فيه وكم من مغرور بالستر عليه ن
وقيل لذي النون ما ابقى ما يخدع به العبد قال بالالطاف والكرامات
لذلك قال سبحانه سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ن يشنع عليهم
النعم ويسميهم الشكر ن

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ولم تخف سوء ما يابى به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي تحدث الكدر
واعلم انك كلما قربت من الله كنت اخوف واصعب والمعامله اشد
وادق فان البعد يحسب القرب والانخفاض يحسب الارتفاع
كما قيل ما طار طاير فارتفع الا كما طار وقع
فاذن لا سبيل الى الامن واغفال الشكر محال وكان ابرهيم بن ادهم
يقول كيف نامن وابرهيم الخليل عليه السلام يقول واجنبني وبني

لا يزال ص

ان نعبد الاصنام ويوسف الصديق يقول توفني مسلما ن وكان
سفين الثوري يقول اللهم سلم سلم كانه في سفينة خاف الغرق ن وعن
بعض العارفين ان نبيا من الانبيا سال الله تعالى عن طرد بلعم بعد
تلك الكرامة فقال انه لم يشكرني يوما من الايام ولو شكرني مرة لما
سلبته فتيقظ لنفسك واخش الاهانة بعد الاكرام والطرد بعد
التقريب والفراق بعد الوصال والله المعين ن وجملة الامر انك اذا
احسنت النظر في نعم الله الظاهرة والباطنة عليك وما خولك به من
الملك الجسام وشكرت الله جل جلاله على قدر طاقتك بان يشغل لسانك
بحمده وثنايه وتملا قلبك بعظمته وبلغك ذلك مبلغا يحل بينك وبين
عصيانه وبعثك على الخدمة ما امكنك ووسعت طاقتك مع اعترافك
بالتقصير عما يجب عليك من حق انعامه وكلما اغفلت ذلك عاودته مع
التضرع والسوال وناديته بنداء الاولياء الذين وجدوا تاج هدايته
وذاقوا حلاوة معرفته فخافوا على انفسهم حرقة الطرد ووحشة البعد
فتضرعوا مستغيثين ومدوا اليه الاكف في الخلوات مستصرخين
ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت
الوهاب فربما ان نعمته عليك وثبتك على هدايتك واعلم ان اول دعاء
علمه رب العالمين لعباده الذين اصطفاهم من خلقه اهدنا الصراط
المستقيم اي ثبتنا عليه وادمه لنا ن وقيل ان الحكما نظروا فردوا
مصايب العالم ومحنها الى خمس المرض في الغربة والفقر في الشيب

والموت في الشباب والعمى بعد البصر والنكره بعد المعرفه والحسن
من ذلك قول من قال

لكل شئ اذا فارقته عوض وليس لله ان فارقت من عوض ٥
ولغيره اذا ابقت الدنيا على المرء دينه فما فاته منها فليس بضائر
وكذلك كل نعمة انعم بها عليك وتاييد ايدك به في قطع عقبه من
العقبات ليثيب عليك ما اعطى ويزيدك فوق ما تود وتتمنى فاذا
فعلت ذلك فقد ظفرت بكنزين عظيمين الاستقامه والاستزاده
فتدوم ذلك النعم الموجوده فلا تخشى زوالها ويزيدك من النعم المفقوده
التي لا تحسن ان تسالها وتتمناها فلا تخشى فواتها وكنت حينيذ
من العارفين العلماء بالدين الثابتين الظاهرين الزاهدين في
الدنيا المتجردين للخدمة القاهرين للشيطان المتقين حق التقوى
بالقلب والاركان والقاصرين للامل الناصحين الخاشعين ٥
المتواضعين المتوكلين المفوضين الراضين الصابرين الخائفين
الموحدين الراجين المخلصين الذاكرين المنه الشاكرين لانعم الله رب
العالمين ثم تصبي بعد ذلك من المستقيمين المكرمين المصدقين
فتامل ذلك واحمد فيه توفيك الله تعالى وذلك وان كان مطلباً
خطيراً قليلاً اهله الا انه يسير على من يسره الله عليه وعلى العبد
الاجتهاد وعلى الله الهدايه قال تعالى والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا فاذا قام العبد الضعيف بما عليه من الاجتهاد

فيما طلبك بالرب القدير من الهدايه وهذه العقبات وان كانت طويله
الا ان الله تعالى يقصرها على العبد اذا اجتباه وتهون شدتها عليه
حتى يقول ما اقرب هذا الطريق وما اهون هذا الامر ٥

ولحجة الاسلام في هذا المعنى

علم المحجه واضح لمريده واري القلوب عن المحجه في عمى
ولقد عجبت لها لك وبجاته موجودة ولقد عجبت لمن نجا
فمن السالكين من يقطع هذه العقبات في سبعين سنه ومنهم
من يقطعها في عشرين سنه ومنهم من يقطعها في سنة واحدة
بل في شهر واحد بل في اسبوع واحد بل في يوم واحد بل في ساعة
واحدة بل في لحظة واحدة كاصحاب الكهف فان مدتهم كانت
خطره حيث راوا الشمس في وجه ملكهم دقيانوس قالوا ربنا رب
رب السموات والارض وابصروا ما في هذه الطريق من هذه
الحقايق وقطعوها بتوفيق الله تعالى فصاروا مفوضين متوكلين
مستقيمين اذ قالوا فاووا الى الكهف ينشر لكم من رحمته وكل ذلك
حصل لهم في لحظة واحدة ولذلك سحرة فرعون كانت مدتهم لحظه
واحده حيث راوا معجز موسى قالوا امنا برب العالمين فابصروا
الطريق وقطعوه حتمه فصاروا في ساعة واحدة بل اقل من العارفين
بالله الراضين بقضايه الصابرين على بلايه الشاكرين لالايه
المشتاقين الى لقايه فنادوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون ٥

حكي عن ابرهيم بن ادهم انه كان على ما كان عليه من امر الدنيا فعدل عن
ذلك وقصد هذا الطريق فلم يكن الا مقدار سيره من بلخ الى مرو
الرود حتى صار بحيث اشار الى رجل سقط من قطره في الماء الكبير
هنالك ان قف فوقف الرجل مكانه في الهوا فتخلص وان رابعة
البصريه كانت امة كبيره يطاف بها في سوق البصره لا يرغب في شرائها
احد لكبر سنها فرحمها بعض التجار فاشتراها بنحو مايه درهم واعتقها
فاختارت هذا الطريق واقبلت على العباده فمات لها سنه حتى زارها
زهاد البصره وقراؤها وعلماؤها لعظم منزلتها واما الذي لم يسبق له
العنايه ولم يعامل بالفضل فيكل الى نفسه فيبقى في شعب من عقبة
واحده سبعين سنة لا يقطعه ذلك تقدير العزيز العليم
لا يسال عما يفعل وهم يسالون ٥ وهذا الطريق في الدنيا كالصراط
في الاخره منهم من يمر عليه كالبرق الخاطف ومنهم من يمر عليه
كالريح العاصف واخر كالطاير واخر كالفرس الجواد واخر
يمشي واخر يزحف حتى يصيبه في جهنم واخر يسمع حسيسها واخر
يوخذ بكلاليب فتطرح في جهنم فهما شراطان الدنيا للقلوب
يري احوالها ذوو البصاير والالباب وشراط الاخره الانفس
يري اهوالها اهل الابصار وانما اختلفت احوال السالكين في
الاخره لاختلاف احوالهم في الدنيا ونفس التحقيق في هذا الباب
ان هذا الطريق ليس مما يقطع بالاقدام فيلون على حسب قوه

الانفس وضعفها انما هو طريق روحاني تقطعه القلوب بالافكار
على حسب العقايد والبصاير اصله نور سماي وتطر الهي يقع في
قلب العبد يتطرب به فيري بها امر الدارين بالحقيقه ثم هذا النور
يطلبه العبد ما يه سنه فلا يجده لحظا به في الطلب واخر يجده
في لحظه بعنايه رب العزه وليس الي في ذلك الا بذل الاجتهاد
وانما الهدايه من الله كما تقدم القول فيه وقد سبق القول في خطر
هذا الطريق وشده الامر بما فيه مقنع ونزيده ها هنا حكايات
عن جماعه من السلف فمن ذلك عن ابي بكر رضي الله عنه وددت
اني خضيرتا كلتني الدواب مخافه العذاب ك وعن الفضيل رحمه الله
اني لا اعبط ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ولا عبدا صالحا اليس
هاولاء يعاينون العيمه انما اعبط من لم يخلق ن وعن عطا السلمي
لوان نارا اوقدت فقيل لي الق نفسك فيها صار لاني لحشيت ان
اموت من الفزع قبل ان اصل الى النار ن لكن هذا الخطر العظيم
قليل في جنب ما يطلبه العابد العارف اعني السلامة في الدارين
والملك في الدارين اما عظم السلامه في الدنيا فقد روي انه اذا
عرج بروح العبد الى السماء تقول ملايكه السموات متعجبين كيف
نجا هذا من دار مفسد فيها خيارنا يعنون بذلك قصه هاروت وماروت
واما اهوال الاخره فهي من الشده بحيث تصرخ فيها الانبيا والرسل
نفسي نفسي حتى روي انه لو كان للرجل عمل سبعين نبيا لظن انه لا

بنجوا واما الملك والكرامه فانه عباره عن نفاذ التصرف والمشيه
وذلك في الحقيقه لايكون الا لاولياء الله واصفيايه الراضين
بقضايه البر والبحر وجعله الارض لهم قدم والحجر والمدر لهم ذهبا
وفضه والجن والانس والبهايم والطيور لهم مسخرون لايشاؤن
شيئا الا وهو كاين لانهم لايشاؤون الا ما شاء الله وما شاء الله
كان لايهابون احدا من الخلق وتهابهم كل الخلق ولايخدمون
احدا الا الله ويخدمهم كل من دون الله واما ملك الاخره فقال
تعالى واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا ان وانت تعلم ان الدنيا
باسرها قليله وان بقاها من اولها الى اخرها لقليل ونصيب
احدنا من هذا القليل قليل ثم ان الواحد منا قد يبذل ماله
وروحه حتى انه يظفر بقدر قليل من هذا القليل في بقا قليل
وان حصل له ذلك فيعذر بل يغبط ولا يستكثر ما بذل من المال
والنفس نحو ما قاله امرؤ القيس

بكى صاحبي لما راى الدرب دونه وظن بانا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك انما نحاول ملكا او نموت فنعذرا

فكيف حال من يطلب الملك الكبير في دار النعيم ايستكثر انفاق عمره
في الطاعه والاستقامه مع انها ملك مجمل في الدنيا كما سبق بيانه
قال حجه الاسلام ولقد تامل ما يعطيه الله سبحانه وتعالى
للعبد اذا اطاعه وسلك هذا الطريق عمره فوجدها على الجمله

اربعين كرامه عشرين في الدنيا وعشرين في العقبى اما التي في
الدنيا فالاولى ان يذكره الله تعالى ويثني عليه ن والثانيه
ان يشكره جل جلاله ويعظمه ن الثالثه ان يحببه ن الرابعه
ان يكون له وكيلا يدبر امره ن الخامسه ان يكون كفيلا برزقه
السادسه ان يكون له نصيرا يكفيه كل عدو ن السابعه ان يكون
له انيسا ن الثامنه عز النفس فلا يلحقه ذل خدمة الدنيا
واهلها التاسعه رفع الهمة فيترفع عن التلطخ بمفاذير الدنيا
واهلها ولا يلتفت الى زخارفها وملاهيها ن العاشره غنى
القلب فيكون اغنى من كل غني في الدنيا لا يزال طيب النفس فسيح
الصدر لا يفزعه حدث ولا يهمه عدم ن الاحدى عشره
نور القلب فيهتدي الى الاسرار وعلوم وحكم لا يهتدي الى بعضها
غيره الا بجهد جهيد وعمر مديد ن الثانيه عشره المهابه
شرح الصدر فلا يضيق ذرعا بشيء من محن الدنيا ومصايبها
الثالثه عشره المهابه والموقع في النفوس تحترمه الاخيار والاشرار
ويهابه كل فرعون جبار ن الرابعه عشره المحبه في القلوب
يجعل لهم الرحمن ودا ن الخامسه عشره البركه في كل شيء من
كلام او نفس او ثوب او فعل حتى يتبرك بتراب وطيه ومكان جلس
فيه وبانسان صحبه ن السادسه عشره تسخير الارض من
البر والبحر حتى ان شاء سار في الهوا او مشى على الماء او قطع وجه

قطع وجه الارض باقل من ساعة ن السابعه عشره تسيير
الحيوان من السباع والوحوش والهوام فتجيبه الوحوش وتبضع
له الاسود ن الثامنه عشره ملك مفاتيح الارض فحيث ما
تضرب يده كنز ان اراد وحيث ما تضرب رجله عين ان وجد
احتاج واين ما نزل فله مايده تحضره ان قصد ن التاسعه
عشره القياده والوجاهه على باب رب العزه فيشفع الخلق
الوسيله الى الله تخدمته ويستنجح الحاجات منه تعالى بوجاهته
وبركته ن العشرون اجابه الدعوه من الله تعالى فلا يسال الله
سبحانه شيا الا اعطاه ولا يشفع لاحد الا شفع ولو اقسم على
الله لابره بما شاء ن واما النجاه من العقبى ان يهون عليه
سكرات الموت قال تعالى الذين تتوفاهم الملايكه طيبين ن
والثانيه التثبت على المعرفه والايمان قال تعالى يثبت الله
الذين امنوا بالقول الثابت ن والثالثه الروح والريحان والبشر
والامان قال تعالى الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنه
والرابعه الخلود في الجنان ن الخامسه الحبوه في النشر لروحه
على ملايكه السموات بالاكرام والالطاف والانعام ولبدنه في العلانيه
بتعظيم جنازته والمزاحمه على الصلوه عليه ن والسادسه الامان
من فتنه سوال القبر وتلقين الصواب ن والسابعه توسيع
القبر وتنويره فيكون في روضه من رياض الجنه الى يوم القيمه

والثامنه ايناس وجهه ونسمته واكرامها فتجعل في اجواف طير
خضر مع الاخوان الصالحين فرحين مستبشرين بما اتاهم الله
من فضله ن التاسعه الحشر في العز والكرامه من حلل
وتاج وبراق ن العاشره بياض الوجه ونوره قال
تعالى وجوه يومئذ مسفره ضاحكه مستبشره ن الحاديه
عشره الامن من اهوال يوم القيمه قال تعالى امن ياتي امنا يوم
القيمه ن الثانيه عشره الكتاب باليمين ومنهم من كفي الكتاب راسا
والثالثه عشره تيسير الحساب ومنهم من لا يوقف للحساب اصلا
والرابعه عشره ثقل الميزان ومنهم من لا يوقف للوزن اصلا ن
الخامسه عشره ورود الحوض على النبي صلى الله عليه وسلم فيشرب
شربه لا يظما بعدها ابدا ن السادسه عشره جواز الصراط
والنجاه من النار ومنهم من لا يسمع حسيسها ن السابعه عشره
الشفاعه في عرصه القيمه كشفاعه الانبيا والرسل ن الثامنه
عشره ملك الابد في الجنه ن التاسعه عشره الرضوان الاكبر
العشرون لقاء رب العالمين قال وانما اعددت ذلك على
حسب فهمي ومبلغ علمي في قصوره وتقصيره ومع ذلك فقد اجملت
واوجزت ولو فصلت بعض ذلك لما احتمله الكتاب الا تري اني جعلت
ملك الابد كرامه واحده ولو فصلتها لبلغت اربعين كرامه من الحور
والقصور واللباس وغيرها ثم كل واحد منها يشتمل على تفاصيل لا

يعلمها الا عالم الغيب والشهاده واي مطمع لنا في معرفه ذلك
والله سبحانه وتعالى يقول فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قره
اعين والنبي صلى الله عليه وسلم يقول فيما لا عين رات ولا
اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وكيف لا يكون كذلك وهو
عطا العزيز العليم على مقتضى الفضل العظيم الا لمثل هذا فليعمل
العاملون ن واعلم ان العبد لا بد له في الحمله من اربعه العلم
والعمل والاخلاص والخوف فيعلم اولا الطريق والا فهو اعمى
ثم يعمل العلم والا فهو محجوب ثم يخلص العمل والا فهو مغبون
ثم لا يزال خايفا حذرا من الافات الى ان يجي الامان والا فهو مغرور
ولقد صدق ذو النون حيث قال الخلق كلهم موتى الا العلما
والعلما كلهم نيام الا العاملون والعاملون كلهم مغترون الا
المخلصون والمخلصون على خطر عظيم والعجب كل العجب من اربعه
من عاقل غير عالم كيف لا يهتم لمعرفه ما بين يديه ولا يتعرف ما
هو مطلع عليه بعد الموت بالنظر في الدلايل القاطعه والبراهين الساطعه
قال تعالى اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق
الله من شي ن الايه ولينذرهم مبعوثون ليوم عظيم ن والثاني
من عالم غير عامل كيف لا يتذكر ما يعلمه يقينا مما بين يديه من
الاهوال العظام وهذا هو النبا العظيم الذي انتم عنه معرضون
والثالث من عامل غير مخلص كيف لا يتامل قوله تعالى فمن كان يرجوا

لقا ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعباده ربه احدا ن والرابع من
مخلص غير خايف كيف لا ينظر الى معاملة عز وجل مع اوليايه
واصفيايه ودقه مناقشته ايام حيي قال لاكرم خلقه عليه ولقد اوحي
اليك والى الذين من قبلك لايات حيي قال عليه السلم شيبتني هود
واخواتها ثم جمله الامر وتفصيله ما قاله رب العالمين في اربع ايات من
الكتاب العزيز قوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون
ثم قال تعالى ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما
تعملون ثم قال جل من قايل والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ثم اجمل
الكل فقال وهو اصدق القايلين ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان
الله لغني عن العالمين ونحن نستغفر الله من كل ما زل به القدم او
طغى به القلم ونستغفره من اقاويلنا التي لا توافق اعمالنا ونستغفره
مما اظهرناه وادعيناه من العلم بدين الله تعالى مع التقصير فيه
ونستغفره من كل خطره دعتنا الى تصنع وتزين ونسئله ان يجعلنا
واياكم بما علمناه عاملين ولوجهه مريدين وان لا يجعله وبالا
علينا وان يضعه في ميزان الصالحات اذا ردت اعمالنا على
انه جواد كريم وصلى الله على خير مولود دعي الى افضل معبود
محمد واله الطيبين الطاهرين وصحبه اجمعين

عفر الله لكاتبه ولمصنفه ولقاريه وللعامل به ولسايرالمسلمين
اجمعين يارب العالمين د تم الكتاب الحكيم اربعين العلم

وتيلوه كتاب
الاخيرة لاهل البصيرة فيه نقص في اوله
يكمل
وصلوه على سيدنا محمد الله
وصحبه وسلم
تسليما كثيرا
ضعيف
اللهم اني فقوي رضاك ضعفي وخذ
الى الخير بناصيتي واجعل الاسلام منتهى
رضاي اللهم اني ضعيف فقوني واني ذليل
فاعزني واني فقير فاغنني

نسخة
٧٦ درحمود

٩٢٨٩

الذخيره لاهل البصيرة

لابي سعيد محمد بن علي العراقي القرافي

بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد حمد الله تعالى على
نعمائها انوار الكواكب اشراقها وادرار السحاب انسكابها
وانسياقها والصلوة على نبيه محمد المبعوث بافصل الملل
لافصل الامم المبعوث بطلاقه الوجه وطهاره الشيم
والمشرف جنبيه في الظلم والمعدو يمنه محاسن يمنه ان
تباريه الديم اما بعد قال الشيخ الامام الاجل
حامد العراقي رحمه الله تعالى عليه ان صنفت كتاب الذخيره
لاهل البصيره وجعلته نورا للابصار ليجتلي
به تمر الجنان ويكتشف به علم البيان وينال
به الفوز والغفران والرحمه والرضوان
والتجنب من سخط الرحمان ورحمن ينصر ما
فيه من الامور المهمات قال المصنف رحمه الله
تعالى الفصل في جمله التحصيل

التحصيل

لتحصيل معرفه عجايب صنع الله فيها يعرف بها جمله الحواس
خادم العقل والعقل مخلوق للقلب ليكون له كالسراج
ليشاهد بنوره تلك الحضره التي هي عبد وخادم للحضره الالهيه
كما قال الله تعالى فانه اراد
بهذا المعنى انه سبحانه خلق القلب وجعل هذه المملكه وهولاء
الجنود وسلم اليه هذا المركب الذي هو البدن ليسافر من
العالم السفلي الى اعلا عليين فان اراد فصاحب هذه الخدمه
واما شرط البريد فينبغي ان يجلس كالملك في صدر المملكه
ويجعل له الحضره الالهيه معضدا وقبله ويتخذ الاخره
موصلا ومستقرا ويتخذ البدن له مركبا والجوارح والاعضا
احوانا والغضب شحنه والحواس صاحب البريد فيوكل
كل واحد بعالم على حده ليتجسسوا ويأتوا باخبار كل عالم
على الوجه فاذا اتوا بالاخبار اودعوها في خزانه المتوه
الحافظه التي هي اخر الدماغ واخذوها في خريطه يجمع فيها
كل بريد وجاسوس ما عنده من ارفاع عالمه الذي وكل
به ويحفظها ليعرضها في اوقاتها على الوزير الذي هو العقل
فيدبر المملكه الوزير على وفق ما يتصل به من الاخبار ويرتب

اخبارهم

امر سفر الملك نحو مقصده بحسب ذلك فاذا راي ان بعض
العساكر كالشهوه مثلا او الغضب قد نزع عنه لباس الطاعه
ونقض يد المخالفه في وجه اتباعه ونبذ اوامر الملك وراء
ظهره وهم ان يشن الغاره على البلاد ويسعى في الممالك بانواع
الفساد اشتغل بتدبير كيفيه استمالة والسعي في اصلاحه
ولا يطمع في قتله اذ لا مندوحه بالملك عنه ولا غنا بالدوله
عن الجنود فيجهد في اشتمالة العاصي من الجنود ليسير في خدمة
الملك ويكثر سواده في سفره ويعينه على ما يقصده ويوافقه
فاذا فعل ذلك كان سعيدا واستحق من استوزره الاحسان
اليه والانعام عليه حين قام بما يجب عليه من حراسه الملك
وحفظ العساكر وان خالف هذا التدبير ووافق العساكر
في الفساد واسمز معهم على البغي والعناد فقد كفر النعمه
واستوجب النكال والنقمه وكان شيئا محرما فاستحق
عذابا اليما ن فصل اعلم ان للادمي مع كل واحد
من عسكر باطنه علاقه وله من كل واحد منهم خلق وصفه
منها اخلاق سوء يهلكه ويكون سببا لشقاوته ويرده الى
اخر حال ومنها اخلاق جميله تكون سببا لسعادته ووصوله

الى

واتلافه
ع

91

90

الى اعلا رتبه وهذه الاخلاق كثيره لكنها ترجع الى اربعة
اصول اخلاق البهايم واخلاق السباع واخلاق الشياطين
واخلاق الملايكه فهو لكون الشهوه المركبه فيه يعمل اعمال
البهايم كالشره في الاكل وغير ذلك ولكون الغضب الموضوع
فيه يفعل افعال الذيب والكلب والسبع كالقتل والضرب
والعض وغير ذلك من المخاصمه والوقيعه في الناس ومن حيث
انه وضع في جبلته اخلاق الشياطين يوجد منه المكر
والحيله والتلبيس واتباع الفتن ومن حيث انه في طبيعته اخلاق
الملايكه يوجد منه العلم والتعلم والمعرفه وطلب الصلاح
بين الناس وعزه النفس والتباعد من الافعال الخسيسه والترفع
عن الرذايل والسرور بمعرفه الامور وتقبيح الجهل فاذن
في جمله كل ادمي على الحقيقه هذه الاصول الاربعه البهيميه
والسبعيه والشيطانيه والملكيه فان الكلب لم يكن خبيثا
لصورته انما كان حقيرا مبعدا نجسا مذموما لما في باطنه
من الخصال الذميمه والوقيعه في الناس وكذلك الخنزير
ليس بمذموم لصورته انما كان حقيرا لما في طبعه من الحرص
على الاشيا القبيحه والشره وحقيقه روح الكلبيه

والسبعيه والخنزيريه انما هو هذا المعنى وهو موجود
في الادمي وهكذا حقيقة الشيطانيه والملكيه انما هو
ذكرناه والادمي مامور ان يكشف بنور العقل الذي هو
اثر الملايكه ويرفع التلبيس والمكر والخديعه الذي هو اثر
الشيطان ليقتضح فلا يجد السبيل الى لقاح الفتن والخصام
بين الناس كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لكل ادمي
شيطان يتحكم فيه ولي شيطان الا ان الله نصرني
عليه فهو مقهور لي لا يقدر ان يفسد علي حالا من
الاحوال وقد امر بتاديب خنزير الحرص والشهوه و
وكلب الغضب وان يجعلهما تحت حكم العقل وطوع امره
بحيث لا يتصرفان في شي الا باذنه فاذا فعل ذلك
حصل له من هذه الاخلاق والصفات حظ وافر ونصيب
صالح وكان ذلك بذر سعادته وان اهمل امرهما وخالف
الواجب في حقهما وتمنطق بمنطقه خدمتهما استولت
اخلاقهما عليه وكان ذلك بذر شقاوته وسببا لهلكته
ولو كشف له الغطا عن نفسه حينيذ وحاله لراى نفسه
وقد ربط في وسطه منطقه خدمه الشيطان او الكلب

او

والخنزير وجعل الاخلاق الملكيه اسبيه في قبضه الشيطان
او السبع او البهيمه ولا شك من اوقع مسلما في اسر كافر تبوا
اثما عظيما وخزي وافر فكيف بحال من اوقع ملكا في يد خنزير
او كلب او شيطان وجعله اسيرا فلا شك انه يكون اعظم اثما
واكبر وزرا ولو انصف الخلق فطالعوا احوالهم وحاسبوا انفسهم
لراوها وقد تمنطق كل منهم بمنطقه العبوديه لاتباع هوى النفس
ومرادها فهو لا وان كانت صورهم الادميه فانهم اذا كشف
الغطا عنهم يوم القيمه وظهرت السرايرو صارت الصوره
هبا لا يعتد بها وكانت المعاني هي المعتبره راى نفسه من
استحوذت عليه الشهوات وكانه في صوره خنزير ومن كان
الغضب مستوليا عليه راى نفسه كانه في صوره ذيب وهذا
من راى في منامه ذيبا كان تاويله رويه رجل قذر مخالس شرير
فان النوم انموذج الموت وبقدر نسبه النوم وبعده من هذا
العالم وقربه من العالم الاخر يصير الصوره تبعا للمعنى حتى
يشاهد كل واحد على شبه الصوره التي تبطنها وهذا سر
عظيم لا يحتمل هذا المختصر شرحه فيه فصل
فاذا عرفت ان في باطنك اربعه امر اكل اميد وقهرمان

يامرك بشيء يحضه ويريده منك فراقب حركاتك وسكناتك
حتى يبين لك ما طاعه ابهرات وموافقه ايهم اصلح وفي اي
حال واعلم انه لابد ان يحصل في قلبك اثر على الحقيقه
وصفه من كل حركه يوجدها وتلك الصفه والاثر يلازمانك
في تبرك ويعرضان عليك في صحيفتك يوم القيمه ويسميان تلك
اخلاقك وصفاتك وكل ذلك انما يفتح به عليك من جمله
هولاء الامرا الاربعه فان كنت مطيعا لخنزير الشهوه
كانت صفتك التقذر والفحه والحرص والخسه والتذبذب
والنفاق والحسد والشمانه وغير ذلك فيظهر عليك في القيمه
اثر ذلك وان جعلته مقهورا لك وكمنته بيد القناعه ظهرت
عليك صفه الحيا والصدق وشرف النفس وغير ذلك
وان لم تؤدب هذا الكلب لكن تركته وشوم طبعه واتبعت
هواه واطعته ظهر عليك اثر الفجور وقله المبالاه والكبر
والافتخار والتعظم واحتقار الناس والاستحقاق بهم
والايتاع فيهم وان ربطته بساجور الادب وصددته
عن اتباع طبعه ظهر عليك اثر الخير والتواضع والعفو
والتثبت والشجاعه والسكون والكرم والشهامه وغير

ذلك

ذلك وان اطعت ذلك الشيطان الذي سميته اسدا
الكلب والخنزير وتاسيدهما وتعليمهما المكر والحيله ظهر
عليك اثر الخيانه والتخليط والتداخل والخديعه والتلبيس
والتملق وان كنت ممن قاده برهان الفهر وربطه بسلسله
الادب وجعله بحكم عسكر العقل ونصر جنود العقل
على ذلك الشيطان ظهر عليك اثر الفطنه والمعرفه
والحلم والحكمه والصلاح وحسن الخلق والحشمه
والرياسه واذا بقيت مع هذه الاخلاق كانت بيت سعاده
وعدت من جمله الباقيات الصالحات وتلك الافعال
تورث اخلاقا مذمومه تسمى معصيه وما كان منها تورث
اخلاقا محموده تسمى طاعه وحركات الادبي وسكناته
لا يخرج من هاتين الحالتين والقلب يضي كالمراه فيحدث
من المعاصي اخلاقا مذمومه تتصل بالقلب فهي دخان وظلمه
يتصل به فيظلم القلب فلا شاهد الجلال يوم القيمه
لكونه محجوبا بدخان المعاصي وظلمه الاخلاق المذمومه
فاما الاخلاق المحموده فهي نور وضيا يتصل بالقلب
ويكف عنه ظلمه المعصيه ولهذا قال النبي صلى الله

عليه وسلم اتبع السيه الحسنه تمحها فاذا كان في الصبي
ظهر القلب اما مضيا واما مظلما ولا ينجوا الا من اتى الله
بقلب سليم ن واعلم ان قلب الادمي في ابتداء الخلقه كالحديد
يتخذ منه مرآه مصيبه يشاهد فيها كل مدرك من العالم بحاسة
البصر ان حفظها مما يذهب ضوءها وان اهملت حفظها
استولى عليها الصدي وانتهت الى حال لا تصلح بعدها
تتخذ مراه كما قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما
كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ن ن ن
فصل عساك تقول اذا كان في الادمي صفات
السباع والبهايم والشياطين والملايكه فباي شي يعلم
ان اصله الجوهر الملكي وبقيه الصفات غريبه غير
اصليه وكيف يعلم انه خلق لاجل اخلاق الملايكه فيحصلها
دون بقيه الاخلاق والصفات فاعلم انك انما تعرف
ذلك اذا صح عندك ان الادمي اشرف واكمل من البهايم
والسباع وغيرها فان كل شي اعطي كمالا هو غايه درجته
ونهايه منزلته كان مخلوقا لذلك مثاله الفرس اشرف
من الحمار من اجل ان الحمار خلق للحمل والفرس خلق للعدو

في

في الجهاد والمحاربه ليصرفه الفارس تحته كيف يشا وحيث
شا وله طاقه بالحمل ايضا كالحمار وبفضله بالحري الذي يقصر
الحمار عنه فاذا عجز الفرس عن كماله الذي خلق له اعيد الى
درجه الحمار في نقل الاحمال ووضع عليه الاكاف لحمل الاثقال
فيكون ذلك هلاكا له ونقصا في حقه بسبب فوات كماله
الذي خلق له وتمييز به واعلم ان قوما اعتقدوا ان الادمي
مخلوق للاكل واللوم والتمتع بالجماع فيذهبون حيايهم في ذلك
وقوم اعتقدوا انهم مخلوقون للقهر والغلبه كالترك والعرب
والاكراد فيذهبون مدة حيايهم في ذلك وكل هذا خطا
فان الاكل والجماع يكونان من الشهوه وهذا شي مبخته البهايم
لم يختص به الادمي دونها فان الحمل مثلا اكثر اكلا من الادمي
والعصفور اكثر جماعا منه فكيف يكون الادمي اشرف
من هذه الاشيا ولما كان اشرف علمنا انه لامر وراء الاكل
والشرب والجماع واما الغلبه والاستيلا الصادر عن
الغضب فقد مبخته السباع والادمي فقد اعطي ما اوتيه
البهايم والسباع واختص بزيادة هي كماله وذلك انما هي العقل
الذي به يعرف خالقه ويقف على عجايب صنعه ويخلص نفسه

من بيد الشهوه التي هي للبهايم والغضب الذي هو للسباع وهذه
صفه الملايكه فهو مستول بها على السباع والبهايم والكل مسخر
له مع كل ما على وجه الارض كما قال الله تعالى وسخر لكم ما في
السموات وما في الارض جميعا منه فاذن حقيقه الادمي
ما كان به كماله وشرفه وما سوى ذلك فصفه غريبه جعلت
مدركا له وعونا على مصالحه ولهذا اذا مات وقد لف غضبه
وشهوته بقي جوهره نورانيا مضيا محليا مزينا بمعرفه الله
سبحانه وتعالى على صوره الملايكه ليكون رفيقا لهم وهاولاء
بالحضره الالهيه لا يغيبون عنها كما قال الله تعالى في بعد
صدق عند مليك مقتدر واما ان لم يكف الاوصاف الذميمه
فتستولي ظلمه المعصيه وصدا الحلال الذميمه الحاصله من
ميله الى الشهوه والغضب وسكونه اليها والى غيرها مما كان
يميل اليه في الدنيا فاذا مات كان تطلعه الى ما كان خلفه
فيها ووجه قلبه الى ما كان يحبه فيها ويهواه منها وهذه
الدنيا تحت الاخره فينكس ويخر على وجهه وهذا معنى
قول الله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند
ربهم وهذا يطلبون الرجعه الى دار الدنيا ومن كانت هذه
حاله

حاله كان مع الشيطان في سجين ولا يكاد يعرف معنى كل
احد ولهذا قال الله تعالى وما ادراك ما سجين ٥
فصل اعلم انه ليس لعجايب القلب نهايه وشرفه
انما هو بكونه اعجب الاشيا واكثر الخلق غافلون عنه وشرفه
من وجهين احدهما من جهه العلم والثاني من حيث القدره
فاما من جهه العلم فمن نوعين احدهما يعرفه جميع الخلق
والاخر قد يخفى عنهم فلا يكاد يعرفه كل احد وهذا اعز
فاما من جهه الظاهر الذي يعرفه الخلق فهو ان للقلب
قوه يعرف بها جمله العلوم والصناعات فيعلم كيفيه الحرف
وقرآه الكتب وكيفيه الهندسه والحساب وعلم النجوم وعلم
الشرايع وهو مع كونه شيا واحدا لا يقبل القسمه فانه
يحوي كلها بل العالم كله فيه في لحظه واحده
يذهب بفكرته وحركته من الثرى الى العلى ومن المشرق
الى المغرب ومع كونه مسجونا في العالم الترابي فهو يقدر
ان يمسح السموات ويذرعها ويعلم مقدار كل كوكب وذرعه
بطريق المساحه فيقول كم ذراع وهو يستخرج السمك
بحيلته من قعر الماء وياخذ الصيد بحسن تدبيره من جو الهوا

وفضا السما ويصرف الحيوانات مع قوتها كالفيل والاسد
والفرس والجمل بين امره ونهيه فهي مسخره له وكل عجايب العالم
فبين بديه وبحكمه وهذا كله من جمله العلوم التي تحصل له من
جهه الحواس الخمس ولهذا السبب كان ظاهرا فبدرك علمه
كل احد واعجب من هذا ان في باطن القلب روزنه مفتوحه
نحو عالم المحسوسات الذي يسمى بالعالم الجسماني كما يسمى
عالم الملكوت بالعالم الروحاني واكثر الناس يعرفون
العالم الجسماني محسوسا وهذا في جنب غيره والدليل على
ان للعلوم روزنه اخرى من باطن القلب شيان احدهما
النوم فانه اذا انسدت بالنوم طرق الحواس انفتحت تلك
الروزنه فتخبر بما في عالم الملكوت واللوح المحفوظ من الغيب
ويعرف ما يأتي في المستقبل ويحدث فيه ويراه اما على
جليه الحال التي تكون عليها ويحدث كذلك واما على مثال
يتصرف فيه الى تعبير تلك الرويا من وجهه الظاهر حسب
الناس ان المستيقظ اولى من النايم وهم يرون المستيقظ
لا يرى الغيب وفي حال النوم يراه ولكن لانه طريق الحواس
ومن وقع على شرح حقيقه النوم علم الحال ولكن لذلك كتب

المصنفه فلا نطول بذكر ذلك هاهنا وقد صنفنا بحمد الله في
ذلك كتبا بالعربيه والفارسيه اما ينبغي ان يعرف هذا
القدر وهو ان مثل القلب كالمراه الصقيله اذا كانت صافيه
من الكدورات متهيئه لقبول الاشيا فانه يظهر فيها اثر قوه
قبول شيء ومثل عالم الغيب كالمراه التي فيها صور جميع الاشيا
الموجودات على وجه يقع منها الصور فيما قوبل بها كذلك صوره
اللوح المحفوظ يظهر في القلب اذا كان صافيا من الشوايب
فارغا من المحسوسات ويصير بينهما مناسبه ومادام
مشغولا بالمحسوسات يحجب عن مناسبه عالم الملكوت
وفي حال النوم يكون فارغا من المحسوسات فلا جرم يظهر
في جوهره من مطالعه الملكوت ولكن الحواس وان كانت
واقفه عن التصرف بسبب النوم مرجعه الباب فالخيال بحاله
لم يزل ولهذا كله يراه انما يراه في كسوه الخيال غير صريح
ولا مكشوف ولا عار من غطاء وستر فاما اذا مات لم
يبق حواس ولا خيال فيري الاشيا خاليه عن الخيال
عاريه عن الغطا والستر فيقال له فكشفنا عنك غطاك
فبصرك اليوم حديد فحينيذ يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا

فارجعنا نعمل صالحا ان الدليل الثاني هو انه ليس احد
وله فراسات وخواطر تطرق قلبه على سبيل الالهام لا من
طريق الحواس ولكن يظهر في القلب بحيث يعلم من اين جاء
ذلك فنبسيحق بهذا الطريق ان العلوم كلها ليست من طريق
الحواس فقط فاذا عرف ذلك علم ان القلب من عالم الملكوت
لا من عالم المحسوسات والحواس المخلوقة لهذا العالم
تصير حجابا للقلب عن مطالعة عالم الملكوت فالم يتفرغ من
المحسوسات والحواس فلا يهتدي سبيلا الى عالم الملكوت
بحال ن فصل لا تظن ان روزنة القلب لا
تنفتح نحو عالم الملكوت بغير طريق النوم والموت فليس كما
تظن فان من راض نفسه في يقظته وخلص قلبه عن
يد الغضب والشهوة والاخلاق الذميمة وتجرد عن طلب
رياسة هذه الدنيا يجلس مكانا خاليا وينيخ بصره
ويعطل حواسه ويجعل بين قلبه وبين عالم الملكوت مناسبة
بان يقول على الدوام الله الله بقلبه لا بلسانه الى ان يغيب
عن نفسه ويعقل عن جملته وعن جميع العالم فلا يشعر
بشيء غير الله فاذا انتهت حاله في يقظته الى مثل هذا

انتهت رؤيته القلب وان كان مستيقظا فيشاهد
حينئذ ما يشاهد غيره في المنام وتظهر له ارواح الملائكة
بصوره فيستحسنه ويرى الانبيا ويستفيد منهم
ويجد مددا من لطف الله تعالى به ويعرض عليه ملكوت
السموات والارض ومن فتح له هذا الباب راى امورا
عظيمة لا تدخل تحت حد الوصف وعن هذه الحال اخبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله زويت لي الارض
فاريت مشارقها ومغاربها وذلك قول الله تعالى
وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض وجميع علوم
الانبيا عليهم السلام انما كان من هذا الطريق لا من طريق
الحواس والتعلم واول كل ذلك انما هو المجاهدة كما قال الله
تعالى واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا يعني اقطع عن
الكل قلبك وفوض اليه كليتك ولا تشتغل بتدبير الدنيا
فان الله سبحانه وتعالى يدبر ذلك كما ينبغي فاكتف به
وكيلا كما قال الله تعالى رب المشرق والمغرب لا اله
الا هو فاتخذه وكيلا فاذا اتخذته وكيلا فاكتف به
وفرغ قلبك من الاسباب ولا تقف مع المخلوقات ولا تظن

بقلبك نحو المحدثات واصبر على ما يقولون هذا كله تحت
له كيف يروض نفسه ويجاهد ليصفوا قلبه من عدو
الشيطان المحلوقات وينطف عن الميل الى الشهوات
ويقرع من اعراض الدنيا وما يشغل عن المحسوسات وهذا
الطريق للصوفيه وهو طريق الانبيا والنبوات ○ اما
تحصيل العلم بطريق التعلم فذلك سبيل العلما وهو طريق
عظيم في نفسه وبالاضافه الى غيره من اسباب الدنيا لكنه
قليل مختصر بالاضافه الى طريق النبوه وعلم الانبياء
والاوليا الحاصل بعيني واسطه تعليم الادميين فانه
تصل الى قلوبهم من حضره الحق وقد عرف خلق كثير صحه ذلك
بالتجربه وبالبرهان العقلي ومن لم يصل له من ذلك شيء
بالذوق ولا بطريق التعلم بالبرهان العقلي فلا اقل من ان
يؤمن به ويصدق به ليلا يحرم الدرجات العلى فيكفر
وهذا من علوم القلب وبه يتبين شرف قلب الادمي
فصل لا تظن ان هذا الشيء المخصوص الذي
هو جوهر الادمي باصل الفطره غير صالح لهذا من حيث
حصول ذلك ان يحكي صوره العالم الامر غائر الصدى

وصوره فاخرجه عن مشاهده الاشيا فان المراه اذا استولى
عليها الصدي تعطلي جوهرها وامتزج بذاتها خرجت عن المقصود
منها باستيلاء ذلك عليها ولا يتبين فيها شيء عند مقابلتها به
فكذلك كل قلب غلب عليه حرص الدنيا وشهوات المعاصي
وتمكن فيه بحيث يبقى الى درجة الطبع والرين فانه يعدم
تلك الصلاحيه وتبطل منه تلك الخاصيه وكل مولود يولد
على الفطره وانما ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه
فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بهذا عن عموم هذه الصلاحيه
وقوله الست بربكم قالوا بلى عباره عن حال يكون الفطره
كذلك مستعده للتصديق الذي لا يعتريه شك ولا
يداخله شبهه كما انه لو سئل عاقل عن اثنين هل هما
اكثر من واحد فيقول العاقل بلى فقد اجاب بالصحيح
ويكون باطنه مشحونا بتصديق ذلك بحسب تحقيقه
وهذه فطره جميع الادميين فهذي معرفه الربوبيه
فطره كل شيء كما قال تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله وكما قال تعالى فطره الله التي فطر
الناس عليها وقد عرف بطريق التجربه وبالبرهان العقلي

ان النبي صلى الله عليه وسلم آدمي كغيره من الادميين
قال الله تعالى لنبيه عليه السلام قل انما انا بشر مثلكم
غير انه من فتح له الطريق واطلع على صلاح الخلق وامر
بالدعا الى ذلك فالذى اراه ووقف عليه سيبي شريعه
ويسمى هو رسولا وسمي حاله تلك معجزه ومن لم يومر
بدعوة الخلق وقد وقف واطلع على ذلك يسمى وليا ويسمى
حاله تلك كرامه وليس بواجب على من فتح له هذا الباب
وكان له هذا الحال ان يشتغل بدعوة الخلق لكن في الغالب
ان لا يشتغل بدعوة الخلق اما بسبب ان هذا الشخص
يكون في وقت يكون تلك الشريعه فيه متبعه طريقه فلا
يحتاج الى دعوة اخرى واما بسبب ان يكون للدعوة شرايط
اخر ليست في هذا الولي موجوده فاذن يجب التصديق
والايمان بالولايه وبكرامات الاولياء ويعلم ان دخل هذا
الامر يتعلق بالمجاهده والاختيار طريق نحو ولكن ليس كل
طالب يجد بل كل امر كان اعز من غيره كانت شرايطه
اكثر من شرايط غيره ووجوده اكثر تعذرا من وجود غيره
وهذا اشرف حال للادمي في مقام المعرفه فلا يصح طلب ذلك

غير مجاهده وشيخ قد عرف كيفيه السلوك فاذا وجد هذان
الشيئان لم يصل الى مراده ما لم يساعده التوفيق والحكم له
السعاده في الازل وكذلك تحصيل درجه الامامه في الظاهر
وسايرا الامور الاختياريه ان نصل هذا المقدم ذكره
انموذج شرف جوهر الادمي اعني قلبه في طريق علم المعرفه فاما
من طريق القدره وهو الوجه الثاني من شرف القلب فاعلم
ان للقلب من جهه القدره شرفا آخر يختص به لا يشاركه
شيء من الحيوان وذلك انه كما ان عالم الاجسام مسخره
للملايكه باذن الله تعالى حتى لذا استصوبوا ورأوا ان حاجه
الخلق الى المطر انوابه في وقت الربيع ولذلك الرياح والحيوانات
في الارحام والنبات في الارض فيحسنون تزيين ذلك
وتزيينه ولكل جنس من هذه الامور جماعه من الملايكه خلقهم
الله سبحانه وشغلهم بذلك فكذلك قلب الادمي الذي هو
جوهر ملكي له قدره حتى سخر له بعض الاجسام والعلم
الخاص لكل احد جسده وبدنه والبدن مسخر للقلوب
ومعلوم ان القلب اذا امر الاصبع بالحركه تحرك فاذا
ظهر في القلب صوره الغضب تحرك العرق من جميع اعضاء

وهذا مثل المطر واذا ظهرت صورة الشهوة في القلب ظهر
فحينئذ يذهب الى جانب اله الشهوة واذا انهضت هم
اكل الطعام قامت في الحدمة تلك القوة التي تحت اللسان
فيدر الماء ليسيل به الطعام فيمكن اكله ولولا ذلك لما امكن ويسر
يخاف تعود تصرف القلب في البدن وكون البدن مسخرا له ولكن
ينبغي ان يعلم انه يجوز ان يكون بعض القلوب اشرف واقوى
من بعض واقرب الى جواهر الملايكة من غيره ويكون من الاجسام
الاخر ما يشبه بدنه فيكون مطيعا له يتعذر فيه تصرفه وان
كانت غير بدنه الخاص واذا كانت همته مصروفة ببعض شيء
وصلح واذا القى وهمه في صحيح مرض واذا علق همته بحي مطر
جا واذا خطر وهم طلب انسان شخص اليه وجد في
باطن ذلك الشخص حركة تزعجه اليه حكى عن الجنيد
رحمه الله عليه انه قال ارقت ليلة وثقلت علي اورادي ۞
فعالجت نفسي بكل منع فلم يمنعها الا الخروج فخرجت تحت
ليلتي فبينما انا امشي في بعض السكك اذ بصرت بشاب
ملتف بعباءة ملقى على الارض فلما دنوت منه رفع راسه
نحوي وقال لي الان يا ابا القسم قلت حبيبي من غير موعد

فقال اردت من الله ان يحرك قلبك الي فقلت قد فعل فما حاجتك
قال يا با القسم متى يصيب داء النفس دواها قلت اذا خالفت
النفس هواها صار دواها فنظر الي نفسه وقال يا نفس قد
اجبتك بهذا الجواب سبع مرات فابيت ان تسمعي الا من الجنيد
ثم نهض من مكانه وانصرف قال ما لبثت اجده من الانزعاج
والاستثقال للاوراد وقد ورد في مثل ذلك اخبار كثيرة وحكايات
لا يحصرها عدد وهذا كله مما يبرهان العقل معلوم بالتجربة
ومن هذا الباب يكون ذلك الامر المسمى سحرا ويسمى اصابة
العين مثلا يشاهد ذاته بحكم الحسد فيري هلاكها في الوهم
ويخطر سيا له فيهلك في الوقت كما جا في الخبر العين تدخل
الرجل القبر والجمل القدر وهذا ايضا من عجايب قدر القلب
وهذه الخاصية اذا ظهرت لشخص فان دعا الخلق سميت
هذه الخاصية معجزة وان لم يدع سميت كرامة وان كانت في
افعال الخير يسمى ذلك الشخص وليا او نبيا وان كانت في
افعال الشر يسمى ذلك الشخص ساحرا واعلم ان السحر
والكرامات والمعجزات من خواص قدرة قلب الادمي وان
كان بين كل واحد منها وبين غيره فروق كثيرة لا يحتمل

هذا المختصر شرحها فصل من قصر فهمه عن معرفة
هذه الجمله المقدم ذكرها لم يكن له خبر من حقيقة ذلك الامر
الصور والسماع ان النبوه والولايه مرد رجات قلب الادمي
حاصل ذلك ثلث خواص احدها انما ينكشف لعموم الخلق في
المنام ينكشف له في اليقظه الثانيه ان قلب عموم الخلق انما يعمل في
البدن الخاص به وقلب النبي او الولي يعمل في بدنه الخاص به وفي
الابدان المختصه بغيره الخارجه عنه فيوثر فيها بطريق يكون
فيه صلاح الخلق ولا يكون فيه فساد لحال الثالثه
ان ما يحصل من علوم عموم الخلق بطريق التعليم والتعلم يحصل
له من باطنه من غير تعلم فاذا جاز لمن كان ذكيا فطنا كيسا
صافي الذهن ان يحصل بعض العلوم او الصنايع بطريق
خاطره وجوده فطنته من غير تعلم فلذلك يجوز لمن كان اصفا
قلبا واخلص ذهنا واقوى فطنه ان يعرف جميع العلوم من
تلقاء قلبه فانه لو امتنع في الكل لامتنع في البعض وهذا النوع من
العلم يسمى اللدني كما قال الله تعالى وعلمناه من لدنا علما
فمن اجتمعت له هذه الخواص الثلث كان من اكابر الانبيا
او الاولياء ومن وجدت فيه احداها كان قد حصلت له درجه

من

الثلثه وفي كل واحد من ذلك تفاوت كثيرا يضا فقد يعطي
الواحد من الاشخاص اقل مما يعطي غيره وكان كمال ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم لجمع هذه الخواص الثلث له في نهايه
كمالها وغايه رتبتها ولما اراد الله تعالى من الخلق ان يهديهم
بالنبوه ليتبعوه ويعلموا منه طريق سعادتهم اعطى كل منهم
انموذجا من هذه الخواص الثلث ليتوصلوا الى ذلك بالمراد فالنوم
انموذج احد الخواص والصحه والاستقامه والصدق انموذج من
الخاصيه الاخرى والصدق والاستقامه اثر في الاشياء
الخارجه عن ذات الصدق حكي عن ابي عمر الزجاجي انه قال ورثت
من ابي دارا بنيسابور فبعتها بخمسين دينارا وتوجهت بخوارزم
فلما وصلت ارض بابل استقبلني بعض الغيافه فقال لي ما معك
فقلت في نفسي الصدق خير فقلت معي خمسون دينارا فقال هاتها
فناولته الصره فاخذها وعدها ثم ردها الي وقال خذها فقد غلبني
صدقك فاخذتها وركبتها فقال اذا كان في العام القابل فكن
منتظري هاهنا ثم ذهب فلما كان في العام الثاني رجعت فاذا
هو منتظري هناك فقلت ما منعك في العام الماضي فقال انه لما
غلبني صدقك ذكرت مظالم وجموقا كانت علي فذهبت حتى اذا

ودعني ج

خلصت منها جيبك وليس على تبعيه فيحنا جميعا ولا زمني حتى ان
وقد جا في ذلك اثار كثيره وما ثيره ظاهره وذلك مما يطول شرحه
وتعداده واما الانموذج من الخاصيه الثالثه فهو خاصيه الاديب
في العلوم ولا يمكن الاديبي ان يؤمن ويصدق بشي ليس من جنسه
فان كل ما لم يكن له انموذج منه لا يعرفه احد بكماله الا الله
تعالى وشرح ذلك يخرج الكتاب عن المقصود ويجوز ان يكون
للانبيا والاوليا خواص اخر لا علم لنا بها اذ ليس عندنا انموذج
منها كما انا نقول لا يعرف الله تعالى احد بنعت الكمال الا
الله وكذلك نقول لا يعرف احد من البشر الرسول صلى الله عليه
وسلم بمعرفه الكمال الا الرسول ومن كان درجته اعلا من درجته
فاذن لا يعرف قدر الرسول من الادميين الا الرسول وليس
لنا علم باكثر من هذا القدر فانه لو لم يعرف النوم مثلا وقيل
لنا ان شخصا لا يسمع ولا يبصر ولا يتحرك ولا ينطق الى ما
يكون غدا ويعلمه وحين كان يرى ذلك ويبصر ويسمع كان
عنده راي له ولا عالما به لم نجز قط ولم نصدق ذلك فان الاديبي
لا يكاد يصدق ما لم يره ويعلمه كما قال الله تعالى بل كذبوا
بما لم يحيطوا بعلمه ولما لم يعتدوا به فسيقولون هذا افك قديم

ولا

يستبعد ان يكون للانبيا والاوليا صفه لا يعلمها غيرهم ولهم
فيها احوال شريفه ولذات حاصله فانك ترى من ليس له ذوق
في الشعر فانه لا يجد لذه وزن السماع فاذا اراد احد تفهيمه
معنى ذلك لم يقدر لان ذلك ليس عنده خبر من جنسه وكذلك
الاكمه في معنى الالوان ولذه النظر اليها فانه لا يستطيع فهمها
اذ ليس له خبر من جنس ذلك فلا يعجب ولا تستبعد ان يكون
في قدره الله تعالى ان يخلق بعض الادراكات بعد درجة النبوه
ولم يكن لاحد قبله من علم به فصل قد وضح بما تقدم
ذكره شرف جوهر الاديبي وعرف طريق الصوفيه وممكن ان يكون
قد سمعت من بعض الصوفيه قولهم العلم حجاب عن هذا الطريق
وانكرت ذلك منهم فلا تبادر الى الانكار فان ذلك حق فان المحسوسات
وكل علم حصل بها ومنها اذا اشتغلت به واستغرقت كليتك
فيه كان حجابا عن هذا ومثل القلب كحوض ماء ومثل الحواس
كانهار خمسه ترمي الماء في الحوض من خارج فاذا اردت ان تستخرج
الماء صافيا من الحوض فتحتاج ان تدبر فيه تخرج الماء جميعه من
قعر الحوض والحماه وما اجتمع فيه من اثر الماء وطريقه
ان تسد سبيل الانهار الخمسه حتى لا يرمي في الحوض ثم تنزح

المآ من قعر الحوض حتى لا يبقى فيه شيء من مآء ولا عين ويجعل
الحوض حتى ينبع الماء فحينئذ يخرج المآء صافيا من داخل الحوض
ومادام الحوض مشغولا بذلك المآء الذي يقع فيه من الانهار
فلا يمكن استخراج المآء الصافي من باطن الحوض فكذلك هذا
العلم الذي ينبع من باطن القلب فلا يمكن حصوله حتى ينظف القلب
مما يدخل فيه من خارج وامّا العالم اذا خلا قلبه عن العلم الذي
يعلمه ولم يعلق قلبه به ولم يشغله لم يكن ذلك العلم الذاهب
حجابا له ويمكن ان يحصل له هذا الفتح كانه اذا خلى قلبه
من الخيالات والمحسوسات فلا تصير الخيالات السالفه
حجابا له وسببه ذلك انه اذا تعلم احد اعتقاد اهل السنه
وادلتهم نحوما اوردناه في كتاب اصطحاب المنقول والمعقول في علم
الاصول وكما تذكر في المناظره والجدل وجعل كليته مشغولا
بذلك واعتقد ان ليس وراء ذلك شيء من المعلوم وان خطر بقلبه
شيء آخر قال هذا خلاف ذلك الذي سمعته وكل ما يكون بخلافه
فهو باطل فان هذا الرجل لا يمكن قط ان يعلم حقيقه الامور
فان ذلك الاعتقاد الذي يعلمه العوام قالب الحقيقه
وتمام ذلك انما هو المعرفه بعين الحقيقه بحيث ينكشف

الحقايق

حقايق من قوالبها كما ينكشف العظم عن المخ والقشر عن اللب
ومن حفظ طريق الجدل ونصره اعتقادا لم ينكشف له
الاعتقاد على حقيقته اذ ذلك طريق نصرته لا طريق حقيقته
فاذا ظن ان الكل انما هو ذلك الذي حفظه صار الظن حجابا
له ويحكم غلبه هذا الظن على الشخص الذي يعلم لا محالة يكون
محجوبا من هذه الدرجه بهذا الطريق فاما اذا خرج الشخص
عن هذا الظن وتعدى هذه الرتبه فلا يصير العلم حجابا له
لكن اذا ظهر له هذا الفتح كانت درجته في غايه الكمال وطريقه
اعظم واكثر امنا فان من رسخت قدمه في العلم اذا اعترضته
شبهه سهل عليه حلها فلا يصير له حجابا وغيره اذا اعترضت
عليه ادنى شبهه حجبته وبقي مدة في قيد الخيال والراسخ
في العلم على الوجه المعتدم ذكره آمن من ذلك فاذن قد
بان معنى قولهم العلم حجاب عن هذا الطريق فافهمه ولا
تنكره اذا سمعته ممن وصل الى درجه المكاشفه لما من سوى
هذا من الاباحيه والطوافين الذين لا حاصل لهم ولا دين ظهروا
في هذا الزمان ولم يكن لاحدهم هذه الحال لكن حفظوا عبارات
من كلام الصوفيه مزوقه وتعلقوا بالفاظ من طامات القوم

مزينه وجعلوا شغلهم التغسل بالمياة والتزين بلبس الفوط
والمرقعات والتحلي ببسط السجادات واقبلوا على ذم العلم
والعلما فهم شياطين الخلق واعدا الله ورسوله فينبغي قتلهم
وتطهير القلب منهم فان الله سبحانه ورسوله عليه السلام مدحا
العلم والعلما ودعيا الناس الى العلم وهذا المدبر الخسيس اذا
لم يكن صاحب حال ولا محصلا للعلوم فيتي يجوز له ان يتلفظ
بلفظه في حق اهل العلم وارباب الاحوال ومثل هذا الخسيس
مثل رجل سمع ان الكيميا خير من الذهب لانه يعمل منه من
الذهب ما لا نهاية له فاذا وضعت كنوز الذهب بين يديه لا يمد
يده اليها ويقول لماذا يصلح المال والذهب واي قدر له
وانا اريد الكيميا الذي هو اصل لهذا فلا ياخذ الذهب ولا
يكون واصلا للكيميا قط فهو الخسيس لا يزال مفلسا
مدبرا عريانا جايعا ومن سروره بهذا الكلام الذي ذكره
ان الكيميا خير من الذهب يتداخله طرب ويتبختر ولا يعني
عنه دلك شيا فاذن مثال كشف الانبيا والاوليا
مثل الكيميا ومثال علم العلما مثل كنوز الذهب ولصاحب
الكيميا فضل على صاحب الذهب على سبيل الجملة لكن هاهنا

دقيقه

دقيقه اخري وهي ان له من الكيميا قدر يحي منه ما يه دينار لا يكون
له فضل على من معه الف دينار وكما ان كتب الكيميا وحديثه
وطلابه كثير ولا يكاد يحصل لاحد حقيقه ذلك مع طول المده
واكثر من تعمق في طلبه لا يحصل الا على البهرجة والقلب
فكذلك امر الصوفيه عزيز جدا وما يلوح هو قليل ونادر ان
يصل فيه الى درجه الكمال فاذن قد عرفت من هذا ان من
ظهر له من حال الصوفيه شي لا يكون له فضل به على جميع
العالم فان التزهو لا يظهر عليه اثر من نور اوايل هذا
الامر ثم يسقط من تلك الرتبه فلا يجري الى تمامها ومنهم
من يستولي عليه خيال او سودا فلا يكون له حقيقه
وهو يعتقد ان ذلك شي ولعل من العشره واحدا
لا يكون له كذلك وكما ان في النوم حقيقه واضغاث فكذلك
فكذلك في ملك الحال المذكوره التي هي طريق التصوف
فيكون الفضل على العلما لشخص كمل في ملك الحال وانتهى
الى درجه التمام بحيث ان ما يحصل لغيره من العلوم بطريق
التعلم يحصل له ذلك لا بطريق التعلم وهذا الشخص
نادر جدا فاذن يجب الايمان والتصديق باصل الفطره

طريق التصوف وفضل الصوفيه ولا سيما الظن بهم لاجل
ما نشاهده من خسيس دخيل يتزيا بزيهم ظاهرا ولا يحلي
باطنه بحليتهم فدل من تراه منهم ومن غيرهم يطعن في العلم والعلما
فاعلم انه يفعل ذلك من عدم الدين وفقد التحصيل وانه
عدو لله ولرسوله ولشريعته فاجتنبه فصل
عساك تقول باي شيء نعلم ان سعادة الادمي انما هي معرفه
معرفه الله تعالى فاعلم بان طريق ذلك ان نعلم ان سعاده كل شيء
فيما خلق من اجله كما ان لذة الشهوة في الوصول اليها ولذة الغضب
في الانتقام من العدو ولذة العين في النظر الى الصور والاشيا
المستحسنه ولذة السمع في الاصغا الى الاصوات والالحان
الطيبه وكذلك لذة القلب انما يكون فيما هو خاصيته وهو
مخلوق من اجله وذلك انما هو المعرفة الحقيقه الامور فان
ذلك خاصيه لقلب الادمي اما الشهوة والغضب المدركان
بالحواس الخمس فان للبهايم ذلك ولهذا يفرح الادمي
ويبتهج بما يعلمه ويفهمه ويبتهج بما يعرفه ويفتخر به وان
كان بشيء خسيس كالشطرنج مثلا فانه لو قيل لمن يعرف مثل
ذلك اذا لعب في حضرته بالشطرنج لا تعلم شق عليه الصبر
خصوصا

خصوصا اذا لاحت له لعبة غريبة فانه ينبغي ان تظهر معرفته
ويفتخر بدرايته فاذا عرفت ان لذة القلب في معرفه الامور بان ذلك
ان المعرفه مما كانت حاصلة باشرف الاشيآء واعظمها كانت
اللذة اكثر فان من كان له علم باسرار الوزير يبتهج بذلك وان علم
اسرار الملك وفكرته في تدبير امر المملكه كان سروره وفرحه
اكثر ومن علم بعلم الهندسه شكل السموات ومقاديرها كان
سروره وفرحه بذلك اكثر منه بعلم الشطرنج ومن عرف علم
الشطرنج كيف يوضع ووضعه لذلك كانت لذته بذلك اكثر
من لذة من عرف كيف يوضع ولم يضع وهلم جرا كلما كان المعلوم
اشرف من غيره كان العلم به اشرف من العلم بغيره واللذة
الحاصلة من العلم به اكثر من اللذة الحاصله من العلم بما هو
دونه وليس موجود اشرف من شرف الموجودات كلها به
وهو سلطان العالمين وملكها وجميع عجايب العالم انما هي اثار
فاذا لا معرفه اشرف من المعرفه بالله تعالى ولا لذه كاللذة
بمعرفته ولا نظر الذ من النظر الى جمال حضرة الربوبيه
فمقتضى طبع القلب انما هو هذا الان مقتضى كل شيء خاصيته
التي خلق من اجلها فان وجد قلب ليس فيه اقتضا هذه المعرفه

فقد بطل منه طلب ذلك فهو كبدن مريض بطل عنه الاقتضاء
بالغذا وربما كانت شهوته الى اكل الطين غالبه اكثر من شهوته
الغذا فمتى لم يعالج لتعود شهوته الطبيعيه الى ما كانت وتذهب
عنه هذه الشهوه الفاسده كان معرضا للهلاك وقد خسر
قلبه ح دنياه وفقد حيوته ومن غلب على شهوته الاشيا الاخر وبطلت
عنه شهوه معرفه الحضره الالهيه من قلبه فقلبه مريض يحتاج
الى معالجه فان لم يعالج حتى خرج عن كونه قابلا للعلاج فقد
هلك وخسر آخرته وجميع شهوات المحسوسات ولذاتها
تتعلق ببني آدم فلا جرم تبطل بالموت ولذه المعرفه المتعلقه
بالقلب تتضاعف بالموت فان القلب لا يهلك بالموت لكن
يزيله نورا وضيا وتضاعف لذته حينيذ اكثر مما كانت عند
بقيه الشهوات وسياتي تمته شرح هذا في اصل المحبه من آخر
هذا الكتاب وبالله التوفيق ☜ فصل هذا القدر
المقدم ذكره في جمال جوهر الادمي كاف في مثل هذا المختصر وان
كان الادمي لا يصير به عارفا بنفسه بكمال المعرفه ولا
باضعاف هذا الشرح لانه شرح لبعض صفات القلب وهذا
ركن واحد من الاركان الاخر الادمي وهو البدن وفي خلق البدن ايضا

عجايب كثيره وفي كل عضو من ظاهره وباطنه عجايب من المعاني
وفي كل منها حكم عزيزه وفي بدن الادمي عروق واعصاب
وعظام كل واحد منها على شكل آخر وصفه اخرى ومخلوق
لغرض خاص به وانت غافل عن ذلك لا علم لك به ولا خبر
عندك منه ولا تعرف الا هذا القدر وهو ان اليد للقبض
والرجل للسعي واللسان للنطق اما تركيب العين من عشر
طبقات مختلفه بحيث لو نقصت طبقه واحده من عشره اختل
النظر فانك لا تعرف ذلك ولا كل طبقه مما خلقت ولماذا
ومن اي وجه يحتاج اليه النظر هذا شكل العين وقد رصورتها
ظاهر وشرح علمها مذكور في مجلدات كثيره بل ان لم يعرف ذلك
فليس بعجيب فانك لا تعلم احشا باطنك وهو اهون كالكبد
والطحال والمرارة والكليه وغير ذلك ولا تعرف لماذا هو فان
الكبد جعلت لتصل اليها الاطعمه من المعده فيجعل الله على
صفه واحده ولون واحد في لون الدم حتى يصير صالحا لغذاء
الاعضا السبعه فاذا استحكم نضج الدم في الكبد واستوى بقي منه
رغوه سوداء في الكبد فجعل الطحال لاجتذاب ذلك من الكبد اليه
وهو قوت الطحال ويربى على ذلك الدم رغوه صفراء جعلت المراره

جاذبه لها لكونها قويتها وبقي في الدم مابيه جعلت الكليه
لاجتذابه وتلك المابيه قويتها فحينئذ يبقى الدم خالصا من السوداء
والصفرآ والمابيه فيصل الى العروق وله قوام فان ادرك
المراره اوفه منعتها عن اجتذاب السوداء حتى يقيت مع الدم
حدث من ذلك امراض سوداويه وان عرض للكليه اوفه منعتها
عن اجتذاب المابيه من الدم فبقيت حدث من ذلك استسقا
وغيره وهكذا كل جزو من الاجزآء الظاهره والباطنه مخلوقه
لفايده وعمل لبدوم صلاح الجسم وقوامه بها فلو فقد جزو منها
او بطل عن عمله اختل البدن او فسد نظامه وعرض ما يفضي
الى تلفه كيف وبدن الادمي مع صغر شكله مثالا لجميع
العالم وليس في العالم شي الا وفي الادمي انموذج منه
فعظامه انموذج من الجبل وعرقه كالمطر وشعره كالشجر
ودماغه كالسما وحواسه كالنجوم والاشتغال بتفصيله
يطول ويخرج الكتاب عن الغرض المطلوب فان لكل جنس
من المخلوقات مثالا في الادمي كالخنزير والكلب والذيب
والفرس والشيطان والملك كما تقدم ذكره بل فيه انموذج من
كل صناعه في العالم فالقوه الهاضمه التي في المعده مثل الطباخ

والقوه التي تصفي الطعام وترسله الى الكبد وترسل الثفل الى
المعا كالعصار والقوه التي تهضم الطعام في الكبد حتى تحيله
دما او في لون الدم مثل الصباغ والقوه التي تجعل الدم في الصدر
احمر وابيض وتجعله في الانيتين نظيفه مثل القصار والغسال
والقوه الجاذبه التي في كل عضو تجذب الغذا من الكبد الى العضو
مثل الحلاب والقوه التي في الكليه تستقي ما بيه الدم من الكبد
حتى يذهب به المثانه مثل السقا والقوه التي ترمي الثفل الى خارج
مثل الكناس والقوه المحدثه للصفرا والسودا في الباطن
حتى تلف به البدن مثل العيار المفسد والقوه الدافعه للصفرا
والسودا مثل الرئيس العادل وهذا ايضا مما يطول شرحه
فان المقصود من الاشاره الى ذلك ولمثاله ان تعلم ان في
باطن الادمي عوالم كثيره مختلفه كل عالم منها مشغول بما
يصلحه وخدمته لا يقرون عن خدمته وشغله وهو غافل
عنهم نايم في لذته رقدته لا يعرفهم ولا يودي شكرهم شغلهم به
وسخرهم له وجعلهم ملازمين خدمته فلو ارسل بعض ارباب
الدينا ولده او غلامه ليخدمك افنيت عمرك في شكره وذهب
وقتك في الثنآ عليه وانت مقصر في حق من سخر لك كذي

كدبي الف صانع في باطنك وخادم بحيث لا يفترون لحظه
واحده عن شغلك في جميع عمرك ومشتغل عنه بما لا يرضيه
وينهى عن ذكره وعباده تنه واعلم ان لمعرفه البدن ومعرفه
الاعضا كتبا كثيره يسمى علم التشريح وهو علم عظيم غفل عنه
اكثر الخلق فلا يكادون يقرونه ومن قراه منهم فانما يقرؤه
ليكون استاذا حاذقا في علم الطب علما شريفا يحتاج اليه
لكن ليس له تعلق كثير بطريق الدين ومن امعن النظر في علم
التشريح ليقف على عجايب صنع الله تعالى ويشاهد غرايب
قدرته حصل له العلم بثلث صفات من الصفات الالهيه
وصار ذلك ضروريا له تعلم ان باني هذا القلب خالق هذا
الشخص قادر كامل لا يتطرق الى قدرته نقص ولا عجز
مقتدر على كل ما يريد فانه ليس في الدنيا اعجب من خلق شخص
على هذا الوصف من قطره مآء ومن قد رعلى ذلك قدر على
الاحيآ بعد الموت وكل ذلك اسهل كما قال الله تعالى وهو
اهون عليه الصفه الثانيه يعلم انه عالم وعلمه محيط
بجميع الامور فان مثل هذه الحكم للغرايب لا يمكن ايجادها
الا بكمال الصفه الثالثه ان تعلم انه لا نهايه لرحمته

ولطفه وعنايته بعبيده من حيث انه لا يفتقر الى شئ الا وقد
خلق له ذلك ولم يدخره عنه بل اعطاه كلما يحتاج اليه ضروره
كالقلب والكبد والدماغ واصول الحيوان وكذلك ما يحتاج
اليه ويبقى بدونه فلا يضطر وجود حيوته اليه كاليد والرجل
والعين واللسان فانه غير مضطر اليه فان البقا والحيوه
يحصل بدونه لكنه زينه ومعونه وكذلك اعطاه ذلك على
الوجه الاحسن كسواد الشعر وحمره الشفه وكثافه الحاجب
واعتدال شعرا لاجفان وغير ذلك وليس هذا اللطف مقصورا
منه على الادمي لكن لطفه عم جميع المخلوقات حتى الزنبور والذباب
فانه اعطى كل واحد من مخلوقاته ما يحتاج اليه لبقايه وقوامه
وزينته قرين ظاهر كل جنس من بنيه ولونه وجعل له قرينا من
جنسه وشكله يسكن اليه فاذن النظر في تفاصيل بدن الادمي
مفتاح معرفه الصفات الالهيه على هذا الوجه ولهذا المعنى
كان العلم شريفا لا من حيث انه يحتاج اليه الطبيب فكما
ان غرايب الشعر والتصانيف والصنايع كلما عرفته
واطلعت على دقايقه اكثر كان تعظيمك للشاعر والمصنف
والصانع اكثر وحرمته في قلبك اوفر وكذلك عجايب صنع الله

تعالى هي مفتاح العلم بعظمة الصانع جل جلاله وهذا ايضا
باب معرفة النفس لكنه مختصر بالاضافة الى علم القلب لان
هذا علم البدن والبدن مثل المركوب والقلب مثل الراكب
والمقصود انما هو الراكب فان المركوب معد للراكب لا الراكب معد
للمركوب ولكن هذا المقدار ذكرته ايضا لتعلم انك عاجز عن معرفة
نفسك بغتة التمام مع انها اقرب اليك من غيرها فليس شيء اقرب
اليك من نفسك ومن جهل نفسه ولم يعرفها وادعى معرفة شيء
اخر فهو مثل رجل مفلس لا يقدر على الطعام نفسه واشباعها
يدعي انه مقيم بمونة فقراء البلد كلهم وذلك محال وقبح جدا
فافهمه ن فصل الان اذ عرفت شرف جوهر الادمي
وقدره وجرمه وعزته من هذه الجملة المقدم ذكرها فاعلم
انك اوتيت هذه الجوهرة النفيسة على وصف هي مستورة
مخفية عنك فاذا لم تظلها بل ضيعتها او غفلت عنها كان ذلك
في نهاية العيب والخسران فاجتهد في طلب قلبك وابذل طاقتك
وجهدك في تحصيله من مشغلات الدنيا واستخراجه من غمارها
وتوصله الى نهاية شرفه وعزه وغايه كماله وراحته
وذلك انما يظهر له ويجده في الدار الاخرة سرور لا يشوبه غم

ابدا لا يعتريه فناء وقدره لا يعتوره عجز ومعرفه لا يتداخلها
شبهه ومشاهده جمال الحضره الالهيه من غير حجاب وصفا
حال من غير كدورة اما في هذه الدنيا فشرف القلب انما هو بكونه
مستعدا صالحا لبلوغ ذلك الكمال والشرف الحقيقي والا فليس
شيء انقص ولا احقر ولا اقل حيله منه في هذه الدنيا فانه تارة اسير
الجوع والعطش واخرى اسير المرض وتاره اسير الحر واخرى
اسير البرد وهكذا مع الغم والهم والتعب والنصب والغضب
فكلما له فيه راحه او لذه فهو مضرته وكلما كان له فيه منفعه
فهو مع المرارة والتعب والكراهه ثم شرف الشيء وعزه وزينته
يكون اما بعلمه او بقوته او بقدرته او بهمته او بارادته او
بحسن صورته فان نظرت في علمه فمن اجهل منه فانه لو فسد
او تقلص عرق في الدماغ منه فانه يصبي في خطر الهلاك
ويشرف على الجنون وهو لا يعلم من اي شيء ناله ذلك ولا بما
ذا يكون علاجه وربما كان داؤه ملقى بين يديه بحيث يراه وهو
لا يعلم انه ينفعه وان نظرت في قوته وقدرته لم يكن شيء اعجز
منه فانه لا يطيق الذبابه فلو سلطت عليه بعوضه اهلكته
ولو اصابته ابره زنبور او جمه عقرب منعه ذلك لذيذ نومه

وسلبه القرار وان نظرت في همته وجدتها لا شيء ادني واخس
منها فانه يتغير حاله بتلف درهم وبتأذي بيسير شيء فلو فاته
لقمه في وقت جوعه لدهش وتحير وطاش وشق عليه فاي
شيء يكون اخس من هذا وان نظرت الى جمال صورته وجدته
جلدا على عظم مزبله فلو ترك نفسه يوما لم يغتسل لظهر
عليه من القذاره والقبح ما يعاف نفسه ويكرهها على انه اي
شيء اقبح واجيف واقذر مما هو حامل له في باطنه ابدا ويغسله
بيده في كل يوم مرتين او مرات حتى ان الشيخ ابا سعيد رحمه
الله عليه كان ماشيا مع جماعه من الصوفيه فاجتازوا بكنيف
ينظف وقد اخرجوا منه النجاسه الى الطريق فهرب الجماعه
كلهم وغطوا وجوههم وانوفهم من نتن ريحه فوقف الشيخ
ابو سعيد رحمه الله عليه ثم قال يا قوم ائتدرون ما تقول يا
هذه النجاسه فقالوا وما عساها تقول فقال الشيخ انها تقول
بالامس كنت في السوق وانتم تبذلون دنانيركم وتشترون
دراهمكم علي حتى حصلت بايديكم فلم ابق في صحبتكم الا ليله
حتى انتهى حالي الى ما ترون فانا اولى بالهرب منكم من هربكم مني
وعلى الحقيقه فالادمي في هذه الدنيا على غايه العجز والنقص

والمسكنه ويوم شرفه وسعادته انما هو غدا في القيمه فان
الذي كميا السعاده على جوهر قلبه ارتفع عن درجه البهايم
الى درجه الملايكه وان اقبل بوجهه نحو الدنيا وشهواتها
كان الكلب والخنزير في القيامه افضل منه واحسن حاله منه
فانهما يصيران ترابا فيخلصان من تعب الدنيا وعذاب الاخره
وهو يبقى هو في العذاب الاليم فاذا عرفت شرف الادمي وكرامته
وعزته فاعرف ضعفه ونقصه ومسكنته فان معرفه النفس
من هذا الوجه مفتاح من مفاتيح معرفه الله تعالى وهذا
القدر كاف في معرفه النفس ولا يكاد يخل هذا المختصر اكثر
مما ذكرناه فلنختمه ولنأت بما شرطناه بعده في اول
الكتاب والله الموفق للصواب ن الباب
الثاني في معرفه الله تعالى من طريق معرفه النفس حتى
في كتب انزلها الله سبحانه وتعالى على من تقدم من الانبيا اعرف
نفسك تعرف ربك وفي الاخبار والاثار المشهوره من عرف
نفسه عرف ربه وهذا دليل على ان نفس الادمي مثل المراه
كلما نظر فيها راى الله سبحانه وتعالى وكثير من العالم يرى
ويظن في نفسه ولا يعرف ربه فاذن لا بد للمعرفه من وجه

من المنظر هو مرآه المعرفه وذلك من وجهين احدهما اغمض
من الاخر ولا يكاد يحتمله كثير من افهام العلماء الذين لم يشتغلوا
برياضه نفوسهم ولم يجمعوا بين العلم والعمل فكيف بالعوام الذين
يجهلون الظواهر ولا شك نعرف من عز ذكره صيانه للقوم عن
التسرع الى ما لا يجوز فالانسان عدو ما جهل ونشتغل بذكر
طرف من الوجه الاخر فيه بما ادركه المميز من العوام وذلك
ان الاديب يعلم من وجود ذاته وجود ذات الحق سبحانه ومن
صفات نفسه صفات الحق جل جلاله ويعرف من تصرفه
في مملكته وهي بدنه واعضاوه تصرف الخلق في جمله العالم
وبيان ذلك انه اذا عرف وجود نفسه بعد ان لم يكن له اثر
ولا خبر قال الله تعالى هل اتى على الانسان حين من
الدهر لم يكن شيئا مذكورا اجاب في تفسيره ان هل بمعنى قد
والانسان اريد به ادم عليه السلام فاذا احتفى الاديب الطلب
ودقق النظر في اصل خلقته قبل وجود ذاته وجدها نطفه
من ماء مهين ليس لها عقل ولا سمع ولا بصر ولا يد ولا رجل ولا
عين ولا لسان ولا عرق ولا عظام ولا لحم ولا جلد ثم ظهرت
فيه هذه العجايب الباطنه والظاهره فلا يخلوا اما ان يكون هو

الذي

الذي اوجد نفسه او اوجده غيره واذا نظر بعين الحقيقه فهو الآن
الكل من وقت كونه نطفه ثم هو الآن مع كماله يعجز عن خلق شعره
واحده فهو في تلك الحال الضعيفه الحقيره الخسيسه اعجز وانقص
واقصر عن ايجاد شعره فضلا عن ايجاد نفسه او غيره فيعلم
بهذا الضروره ان له خالقا اوجده وذلك انما هو الله تعالى
فيحصل له معرفه وجود الخالق من طريق الضروره الذي لا يمكن دفعه
واذا نظر في عجايب بدنه من جهة الظاهر ومن جهة الباطن كما
اشرنا الى شرح بعضه في الباب الاول عرف من ذلك قدره
صانعه وموجده قدره معرفه ضروريه لا يمكن دفعها ويتحقق
ان لا قدره احل وانم من قدره توجد من ماء مهين خلقا وشخصا
على هذا الوجه من الكمال والجمال وكثره البدايع والعجايب التي
واذا نظر في غرايب صفاته ومنافع اعضايه ولاي حكمه خلق كل
عضو وجارحه كاليد والرجل والعين واللسان والاسنان
وكذلك الاعضا الباطنه كالكبد والطحال والمراره وغير ذلك
علم خلقته وان خالقه عالم وعلمه في نهايه الكمال محيط بكل شيء
فلا يغيب عنه شيء فانه لو اعمل جميع العقلا عقولهم وتدبروا
اراهم وافكروا في نفوسهم ومده اعمارهم طولا واجتهدوا ان يخلقوا

عضوا من هذه الاعضا اوجد واله وجها في الخلقه احسن من
وضعه خارجا عن خلقته لا يستطيعون ذلك فانهم لو اراد وا مثلا
ان يخلقوا للانسان صوره اخري اجود مما وضعه الله تعالى لم
يقدروا على ذلك فان الاسنان التي تلي باب الفم حاده الراس ليقطع
الطعام والتي تلي داخل الفم عريضه ليطحن الطعام واللسان كالمجرفه
التي للطحان تلقي الطعام بما في الرحا والقوه التي تحت اللسان
كالجفان تصب الماء وقت الحاجه بقدر الحاجه التي حتى تبل الطعام
فيعجن ويتهيا في الحلق ولولا ذلك لبقي في الحلق ولم يمكن بلعه
فلو اعملوا فكرهم وطولت اعمارهم اضعافا مضاعفه لما استطاعوا
ان يوجدوا او يضعوا صوره اكمل ولا اجود من هذه الصوره في
الترتيب وكذلك اليد فيها خمس اصابع اربع منهم في صف واحد
والابهام ناحيه عنها اقصر منها بحيث يعيني كل اصبع ويطوف
عليها ولكل اصبع ثلث مفاصل والابهام مفصلان فاذا شا
قبض بها مع الاصبع وان شا جعل منها كالمجرفه او المغرفه
وان شا جمع بها وان شا اتخذها سلاحا وان شا بسطها
فجعلها طبقا او مغرفه الى غير ذلك من الوجوه التي ينتفع بها
فلو اجتمع الخلق كلهم واراد وا ان يضعوا لذلك وجها غير ما وضعه

لتصوروا

عجزوا عنه فانه لو كانت الاصابع الخمس في صف واحد او ثلثه
منها في صف واثنتان في صف او كانت ستا عوض الخمس او اربعا
او ثلثه او ما له ثلثه مفاصل يجعل له مفصلان الى غير ذلك
من الوضع لكانت ناقصه عن ادا ما هو حاصل من المنفعه والزينه
بهذا الوضع الذي وضعه الله سبحانه وتعالى ولكن الكمال فيما
رتبه جل جلاله فاذا نظر في ذلك عرف ان علم الخالق جل جلاله محيط
بهذا الشخص وغيره مطلع على كل شي وفي كل جزو من اجزاء
الادبي من الحكم هادي ولما ازداد معرفه الانسان بالحكم
التي في اعضايه والغرايب التي في خلقته ازداد تعظيما لله
تعالى في نفسه واذا نظر الانسان فيما يحتاج اليه اولا في لا عضا
ثم الطعام ثم اللباس ثم المسكن ثم راي حاجه الطعام الى المطر
والريح والغيم والبرد والحر ثم الى الصنايع التي يجلب صلاح ذلك
ثم الى ما يحتاج اليه الصنايع من الالات كالحديد والخشب
والمس والصفر وغير ذلك ثم حاجه الالات الى كيفيه الاهتدا
الى عملها ومعرفه عملها ثم ينظر حينيذ فيراها مخلوقه معموله على
اتم الوجوه واجملها واجودها من كل نوع كثيره ولو لم يخلقها لم يمكن
ان يخطر ببال احد ان يلتمسها او يعلم ما الذي يحتاج اليه فاذا

راها مهيأه مصنوعه مخلوقه له من غير ان يتقدمها طلبه لها
او تشوق معرفته بها علم حينيذ ان ذلك كله مخلوق بلطف الله
ورحمته فيحصل له من هذا النظر معرفه صفه اخري من صفات
الله تعالى بها جيوه جميع الاولياء وهي صفه لطفه ورحمته وعنايته
بمخلوقاته كما قال تعالى رحمتي سبقت غضبي وكما قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله ارؤف بعبده من الام البره
بولدها الرضيع فحصل مما ذكرنا ان الانسان يعرف من نظره
في وجوده وجود الحق سبحانه وتعالى ومن نظره في تفاصيل
اجزايه واطرافه كمال قدره الخالق جل جلاله وفي عجايب الحكم
والمنافع في اعضايه واطرافه بشاهد كمال خالقه واذا نظر
فيما احتاج اليه لبقايه ولحاجته اولزينته فوجده مخلوقا معه
من غير مسئله ولا علم سابق منه به فانه يعرف بذلك كمال لطف
الله تعالى ومعرفته فاذن معرفه نفس الادمي مفتاح
معرفه الله تعالى ومراة لها على هذا الوجه فصل
كما عرفت صفات الله تعالى من صفاتك فينبغي ان تعرف
ايضا تنزيه الحق وتقديسه من تنزيه نفسك وتقديسها
فاعلم ان معني تنزيه الله تعالى وتقديسه هو انه منزه عما

يخطر

يخطر في الوهم او يحصل في الخيال او ان يضاف الى مكان يقيم
فيه وان كان لا يخلو امكان من تصرفه وهذا لا يستبعد فان
في الادمي انموذجا من ذلك وهو ان حقيقه روحه التي عبرنا عنها
بلفظ القلب فيما سلف منزهه عن ان يدخل في وهم او خيال فانها
ليس لها مقدار ولا كميه ولا تقبل القسمه واذا كانت الروح كذلك
لم يكن لها لون وكما لا لون له لون ولا مقدار فانه لا يدخل تحت
الوهم والخيال لانه انما يدخل تحت الخيال ما يدرك بحاسه البصر
فيكون اللون قد راته او جنسه فحينيذ يدخل تحت الخيال
كالالوان والاشكال التي هي من قبيل المدركات بالبصر فيدخل
تحت الخيال وما يقتضيه الطبع ابدا فيقول كيف هو معناه
اي شكل هو صغير او كبير وما لا يطرق الصفه نحوه فالكيفيه
في حقه محال فان شئت ان تعرف شيا لا سبيل الى الكيفيه
نحوه فانظر في ذلك الشئ مثل الذي هو حقيقتك وهو محل
المعرفه فانه لا يقبل القسمه والمقدار ولا الكميه والكيفيه
فلو سال سايل عن كيفيه الروح ما هي لكان جوابه ان للروح لا
تكيف ولا طريق للتكييف نحوها فاذا عرفت نفسك على هذا
الوجه فاعلم ان الباري سبحانه اولى بهذا التنزيه

والتقديس من المخلوق ولعلك يعجب من وجود موجود
لا يتكيف ولا تعلم ان روحك بهذه الصفة عرفت انه اذا جاز
وجود موجود هكذي فالله سبحانه اولى على ان من طلب مثل
الاشياء هذا من نفسه فانه يجد كثيرا من هذه الصفة لا تكيف ولا يمكن
طلب كيفيته فلما كانت هذه الاشياء غير ذوات اشكال لم يلن
السؤال سائغا عن كيفيتها وايضا فانك لو طلبت حقيقة
الصوت او حقيقة الطعم وارد ت معرفة كيفيته لا عجزك درك
ذلك والعلة فيه ان اللون والكيفية من تقاضي الخيال اذ كان
قد حصل بحاسة البصر فالخيال يطلب من كل شيء نصيب حاسة
البصر فالخيال يطلب من كل شيء نصيب حاسة البصر وما هو جار
في خاصية الاذن كالصوت مثلا فليس للبصر فيه نصيب
واذا تمثل بالكيفية كان ذلك محالا فان الصوت منزه
عن اللون والكيفية وعن نصيب العين كما ان اللون منزه
عن درك السمع له وهكذي ما كان نصيب القلب ويعرف
بالعقل فانه منزه عن درك الحواس كلها ولا يتطرق اليه تكيف
المحسوسات ولهذا غور عميق وغوص وتحقيق لا يحتمله هذا
المختصر فان مد الله في عمرنا وايدنا بالتوفيق منه شرحنا

ذلك

ذلك في كتاب مفرد يحتمله والا في كتب اماماتنا ابي حامد رحمه
الله عليه وتصانيفه في المعقولات ما يعف الفطن منه عند
تصفحها على المقصود والله الموفق وغرضنا في هذا المختصر ان
يقف الادبي من معرفة جواز صفة الله تعالى بانه لا يجوز عليه
ولا على شيء من صفاته التكييف فكما ان روحه موجوده وهي ملك
بدنه ولما له كيفية من بدنه بحكم روحه وهي لا تكيف فكذلك
ملك العالم جل جلاله لا يتكيف فلما تكيف كالمحسوسات مملوكات
له جاريه تحت حكمه من نوع آخر من التنزيه وهو انه
لا يجوز اضافة الله تعالى الى مكان كما انه لا تضاف الروح
الى شيء من البدن والاعضاء فلا يجوز ان يقال هي في البدن او
غيره فان جميع اجزاء البدن وتوابعه قابل للنسمة وما لا يقبل
النسمة لا يجوز ولا يصح ان يحل فيما يقبل النسمة فانه يصير
محلولا له في ذلك قابلا للنسمة وهو محال ومع ان الروح لا تضاف
الى شيء من الاعضاء فليس يخلو اشيء من الاعضاء من تصرفها
بل الجميع بحكم تصرف الروح وهو ملك جميع البدن وهما ان عالم
البدن كله في تصرف الروح وهي منزهة عن الاضافة الى محل
من الاعضاء وكذلك مالك العالم جل جلاله وموجدهم يجوز ان

بلون تصرفه واقعا في المحل وهو منزه عن الاضافه الى جهه
خاصه فهذا نوع من التنزيه فلا يمكن ذكر حقيقه التنزيه بكماله
الا باظهار سر الروح وخاصيتها ولا رخصه في ذلك من جهه
الشرع وليس لنا مد الباع بحوما خطره علينا الشارع وكذلك
قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق ادم على صورته انما
يظهر معناه حقيقه اذا كشف القناع عن ذكر سر الروح وماهيتها
وذلك ممنوع منه فصل قد بينا كيفيه التوصل
الى معرفه ووجوده تعالى تقدس ذاته وصفاته عن التكييف
والتشبيه وتنزهه عن الاضافه الى جهه او مكان واوضحنا
ان مفتاح ذلك كله نفس الادمي فقد بقي علينا بيان معرفه
سلطنته وكيفيه تصرفه في المملكه وتنفيذ امره كل ذلك كيف
يكون وعلى اي وجه يامر ملايكته وعلى اي وجه يكون طاعتهم
له وامتثالهم لامره وكيف تجري الامور على ايدي الملايكه
وكيف يرسل الاوامر من السما الى الارض وكيفيه تحريك السموات
والكواكب وكيف يتعلق امور اهل الارض بالسما واجاله مفاتيح
الارزاق الى السما وهذا باب عظيم في معرفه الله تعالى ويسمى
معرفه الافعال ومعرفه الصفات ايضا ومفتاحه معرفه

النفس

النفس ايضا فانك اذا لم تعلم كيف تتصرف في نفسك ومملكه
بدنك كيف تعلم كيفيه تصرف الله تعالى في خلقه فاعرف نفسك اولا
وفعلا واحدا من افعالك مثلا اذا اردت ان تكتب بسم الله على
كاغد فانه يظهر في قلبك اولا رغبه وارادة لذلك ثم تتبعها حركه
في قلبك لا اعني به قلب ظاهرك الذي هو قطعه لحم في الجانب
الايسر من صدرك انما اريد به القلب المتقدم ذكره ثم يتحرك
من القلب نحو الدماغ جسم لطيف تسميه الاطبا روحا حاملا له
لقوه الحس والحركه وهذه روح مشتركه في الادمي والبهايم
وهو الذي يتطرق اليه الموت والروح التي سميناها قلبا ليس
للبهايم انما ذلك للادمي ولا يتطرق اليها الموت فانها محل معرفه
الله تعالى ثم اذا وصلت الروح المشتركه الى الدماغ ظهر صوره
بسم الله في خزانه اول الدماغ التي هي موضع قوه الخيال ويصل
اثر من الدماغ الى الاعصاب فاذا ظهر من الدماغ الى الاعصا
اتصل بجمله الاطراف حتى يقف في منتهى رؤس الاصابع كالخيوط وقد
تشاهد صوره ذلك في ساعد من يلون نحيف الجسم ثم تحرك
الاعصاب على وفق مراده فرقم صوره بسم الله على الكاغد مثل
وفق ما في خزانه الخيال بمعاونه الحواس خصوصا حاسه البصر

فانه يكون بين يديها الحاجب فاذا كان اول هذا الامر رغبه
ظهرت فيك وكذلك اول الامور كلها يكون صفه من صفات الله
تعالى يعبر عنها بالارادة وكما ان اول اثر تلك الرغبه والارادة انما
ظهر في قلبك ثم تعدي بواسطته الى المواضع المذكوره فكذلك
اول اثر ارادة الله تعالى انما يظهر على العرش ثم بعد ذلك
يتصل بالاعيان وكما انه يرتقي جسم لطيف مثل البخار سمي هذا
الجسم روحا في عرف الاطبا فيوصل ذلك الاثر الى الدماغ وكذلك
لله تعالى من خلقه جوهر لطيف يوصل ذلك الاثر من العرش
الى الكرسي وذلك الجوهر يسمى الملك ويسمى الروح ويسمى روح
القدس وكما يصل الاثر من القلب الى الدماغ والدماغ تحت يدي
القلب وفي ولايته وتحكم تصرفه فكذلك الاثر الاتي يصل من
العرش الى الكرسي والكرسي تحت العرش وكما ان صوره
بسم الله المشبي فعلك ومرادك تظهر في الخزانه الاولى من
الدماغ وتظهر الفعل على وفقه كذلك صوره كلما يريد ان
يظهر في العالم يظهر نقشه اولا في اللوح المحفوظ وكما ان القوه
اللطيفه التي هي في الدماغ تحرك الاعصاب حتى تحرك اعصاب
اليد والاصابع بالروابط حتى تحرك الاصابع بالقلم فكذلك الجواهر

اللطيفه الموكله بالعرش والكرسي تحركون السما والنجوم وكما
ان قوه الدماغ تحرك الاصابع بالروابط والاثار والاعصاب
كذلك تلك الجواهر اللطيفه المسماه بالملايكه تحركون طبايع الامهات
للعالم السفلي بواسطه الكواكب والروابط وشعاعاتها المتصله
بالعالم السفلي والطبايع وهي اربعه الحراره والبروده والرطوبه
واليبوسه وكما ان القلم يمتلي بالمداد ويجمعه حتى يظهر به صوره
بسم الله كذلك الحراره والبروده تحرك الما والتراب وامهات
هذه المركبات وكما ان الماعد يكون قابلا للمداد كما يفرقه
او يجمعه كذلك الرطوبه تجعل هذه المركبات قابله للاشكال
حافظه له بحيث لا تتركه فانه لو لم تكن الرطوبه لما تشكل ولولا
اليبوسه لما احتفظ الشكل وكما ان القلم لما تم فعله وحركته
جات صوره بسم الله على وفق النقش الذي يكون في خزانه
الخيال بمعاونه حاسه البصر كذلك الحراره والبروده تحرك
امهات المركبات بمعاونه الملايكه فيظهر في العالم صوره
الحيوان والنبات وغير ذلك على وفق تلك الصوره التي في
اللوح المحفوظ وكما ان اول الامر في البدن انتهض من القلب
ثم تفرق في جميع الاعضا كذلك اول الامر في عالم الاجسام

يظهر في العرش اولا وكما ان تلك الخاصيه المشاهده اولا هي
القلب والباقي دونه يضاف القلب الى الجمله فيعتقد انه سلك
ذلك لذلك لما كان الاستيلا على جميع الموجودات بواسطه العرش
ظنوا انه ساكن العرش وكما انك اذا استويت على القلب
واستقام امره وقدرت ان تقوم بتدبير امر مملكه بدنك بواسطه
كون القلب يحكمك يقال استوى على قلبه حتى قيل لسان العاقل
ورا قلبه وقلب الجاهل ورا لسانه وذلك ان العاقل اذا اراد
ان يقول شيا فانه يعتبره بعقله ويلحظه بقلبه فان صلح قاله
وان لم يصلح لم يقله والجاهل انما يفكر فيما قال بعد فوت القول
خطا كان او صوابا فاذن العاقل مستول على قلبه ومستو
وكذلك الباري جل جلاله لما استوى على العرش خلق العرش
واستقام العرش واستوى واستقر ترتيب المملكه واستب
ونهيا عبر عن ذلك بقوله تعالى ثم استوى على العرش يدبر
الامر وهذا كله حقيقه وقد ظهر ذلك لاهل البصاير بالمكاشفه
فعلموه وعرفوا المعنى على الحقيقه ان الله خلق ادم على صورته
واعلم ان الملك وامر المالك لا يعرفه الا المملوك ولولا انك اوتيت
مملكه بدنك وفوضت اليك سلطنه التصرف في جملتك واعطيت

نسخه مختصره من مملكه الحق والا فمتى كنت تعرف اله الخلق
فينبغي ان تشكر ملكا خلقك واتاك سلطنه ومملكه انموذجا
من مملكته والى هذا اشار يوسف الصديق عليه السلم فيما اخبرنا
الله تعالى عنه بقوله رب قد اتيتني من الملك ولم يرد ملك
مصر فان ذلك حقير في جنب ملك الدنيا وملك الدنيا حقير
في جنب هذه المملكه فانه جعل لك من قلبك عرشا وجعل لك
من الروح الحيوانيه التي هي منبع ذلك القلب اسرافيل ومن
الدماغ كرسيا ومن خزانه الخيالات لوحا محفوظا
ومن فنه الدماغ الذي هو منبع الاعصاب سماوتا ومن
الاصابع والقلم والمداد طبايع كلامك وخلقك فردا لا مثل
لك ولا كيفيه وجعل لك سلطانا على الحل ثم قال لك الله
الله لا تغفل عن نفسك ومملكتك فانك اذا غفلت عنهما
غفلت عن خالقك فان الله خلق ادم على صورته فاعرف نفسك
يا انسان تعرف ربك فصل قد وقعت الاشاره
فيما ذكرنا من الموازنه بين مملكه الحق سبحانه وتعالى ومملكة
الادمي الى علمين كبيرين احدهما علم نفس الادمي وكيفيه تعلق
الصفات والقوات بالقلب وهذا علم عظيم طويل لا يبلغ تحقيقه

في مثل هذا الكتاب فان الامام ابا حامد قدس الله روحه
صنف على ذلك كتابا عده وهي ٤ جنب هذا العلم كحصاة ٥
بالاضافه الى جبل الثاني تفصيل ارتباط مملكه الله العالم
بالملايكه وارتباط بعض الملايكه ببعض وارتباط السموات
والعرش والكرسي بعمود وهذا ايضا علم عظيم طويل فالمقصود
من هذه الاشيا الاشاره ليقف الذكي المحرر على ذلك ويعتقده
ويعرف بذلك عظمه الله تعالى ومن كان بليدا اذا وقف عليه
عرف هذا القدر من نفسه وهو كيفيه عقلته وكونه مغبونا
حين حرم مطالعه جمال الحضره الالهيه على ان هذا القدر
الذي اوردته يحتقر في جنب ما يعرفه العارف اذا اطلع
عليه على الوجه الذي يوفق لمعرفته فاذا قايست به ما
اوردناه كان بالاضافه الى جنب ما يعرفه العارف كطرابق
غامض في بريه فان ذلك الطريق حقير في جانب سعه البريه
والله الموفق فصل هولا المساكين المنجمون
والطبايعيون الذين حرموا حقيقه المعرفه حتى اضافوا الامور
الى النجوم والطبايع اضافه استقلال مثلهم كمثل دبب على
قرطاس فرايته يسود ويظهر عليه نقوش فتامله واذا

هي راس القلم ينقش القرطاس ويسوده ففرحت وقالت عرفت
حقيقه هذا الامر فانه انما يصدر من القلم وهذا مثل الطبيعي
الذي لم يعرف من المحركات الا الدرجه الاخيره فجاءت نمله
اخرى احد من الاولى بصرا وادق منها نظرا فقالت للاولى انك
غلطت فاني ارى القلم مسخرا وورا شيا اخر وهو الذي ينقش
وابتهجت بذلك وقالت هذا حقيقه الامر فاني قد علمت
ان الذي ينقش انما هو الاصبع للقلم فان القلم مسخر وهذا
مثال المنجم فنظر النمله الثانيه وهي رتبه المنجم اوسع وادق
من نظر الاولى وهي رتبه الطبايعي ولم يعلم المنجم المسكين
حين جعل الطبايع مسخره للكواكب ان الكواكب مسخره
للملايكه ولم يهتد الى هذه الدرجه وكما انه وقع هذا الخلاف
في عالم الاجسام بين الطبيعي والمنجم كذلك وقع الخلاف في عالم
الارواح بين من ترقى فان كثيرا من الخلق وقفوا عن عالم
الاجسام فوجدوا شيا خارجا عن معهودهم فنزلوا على اول
درجه فانسد عليهم طريق المعراج الى عالم الارواح وهكذا
في عالم الارواح الذي هو من عالم الانوار عتبات وحجب كثيره
بعضها في الحري مثل الكواكب وبعضها مثل القمر وبعضها مثل

الشمس وهذا مراقي معراج قوم تعرض عليهم ملكوت السموات
كما اخبر تعالى في حق الخليل عليه السلم بقوله وكذلك نري ابرهيم
ملكوت السموات والارض فلذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
ان لله سبعين حجابا من نور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه
كل شي ادركه بصره والمقصود ان يعرف مسكنه الطبيعي
وحيرته وان صدق في اضافته الي الحرارة والبرودة بانه
لولا كون هذين من الاسباب الالهيه في البين لبطل عمل الطب
ولكن اخطا من حيث قلة نظره وضعف بصره وانه حط رحله
قلبه في اول منزل جعل ذلك اصلا وموطنا وجعله مسخرا
لا مسخرا وسيدا لا عبدا وهو اعني ما تمسك به الطبايعي
من الطبايع من جمله العبيد المرتبين في اخر رتبه الموقنين
في صف النعال ولذلك المنجم صدق حين اتي بالنجوم في جمله
الاسباب فانه لو لم يكن لتماثل الليل والنهار واستويا فان
الشمس بخم الضيا والحراره يوجدان منه في العالم وكان يتماثل
الصيف والشتا فان حراره الصيف انما تكون اذا كانت الشمس
تقرب الي وسط السما وبرودة الشتا تكون بحكم بعدها عن
ذلك والرب الذي كان في قدرته ان خلق الشمس حارة

مضيئة ليس يعسر عليه ان يكون خلق رجل باردا يابسا
والزهره حاره رطبه وهذا لا يقدح في الاسلام والمنجم غير
مخطي في هذا الوجه الذي ذكرنا انما غلط من وجه آخر وهو انا
جعل النجوم اصلا تخاطب وتدعا وتخشي وترجا وجعلها
متصرفه بطريق الاستقلال ولم ينظر لتصور نظره في كونها
مسخرة مدبرة كما قال الله تعالى والشمس والقمر والنجوم
مسخرات بامره والمسخر هو الذي رتب لعمل شي من الامور
فاذن هولاء عمال لكن لا من جهة تقويمهم وقبلها لكن
مرتبون للعمل من جهة الملايكه كما ان الاعصاب تستعمل
مادونها من اجاد الاطراف من جهة القوه التي في الدماغ
فكذلك الكواكب كلها من المستخدمين في المراتب الاخيره
وان كانوا في صف النقبا لا في صف النعال الذي فيه
الطبايع الاربعه مسخره وهي اخر رتبه كالقلم في الكتابه
فصل اظنك تتشوف الي الوقوف على معنى الخبر
والمراد بالحجب المذكوره لا شيما وفي بعض الروايات
سبع مايه حجاب وفي بعضها سبعون الف حجاب واعلم انه
لا مزيد لدي على ما اورده الامام حجة الاسلام قدس الله

روجه في ذلك في بعض كتبه فانه ذكر اصولا لو تصدي
متصد لتفريعها لبلغ العدد المذكور او قاربه ولكن احببنا
فروعها مما يطول فلنقتصر على ايراد ما ذكره مع زيادة
بسط واختصار في موضعه والله الموفق اعلم ان الله
سبحانه وتعالي منزل عن ذاته والحجب المذكوره كل واحد منها
يكون حجابا بالاضافة الي محجوب لا محاله ثم المحجوبون من الخلق
ثلثه اقسام منهم محجوب بمجرد الظلمه ومنهم محجوب بالنور
المحض ومنهم محجوب بنور مقرون بظلمه واصناف هذه
الاقسام كثيره جدا الا انه تقع الاشاره الي بعض اصناف
كل قسم لينبه علي ما سواه بطريق المجاهده فاما القسم الاول
وهم المحجوبون بالظلمه المحضه فهم الملحده الذين لا يومنون
بالله واليوم الاخر وهم الذين استحبوا الحيوه الدنيا علي الاخره
لانهم لم يومنوا بها اصلا وهولاء صنفان صنف تشوف الي
طلب سبب لهذا العالم فاحاله الي الطبع الذي هو عباره عن
صفه مركوزه في الاجسام حاله فيها وهي مظلمه اذ ليس بها معرفه
وادراك ولا خبر لها من نفسها ولا مما يصدر منها وليس لها نور
يدرك بالبصر الظاهر ايضا والصنف الثاني هم الذين شغلوا

بانفسهم ولم يتفرغوا لطلب السبب ايضا بل عاشوا عيش البهايم
وكان حجابهم نفوسهم الكدره وشهواتهم المظلمه ولا ظلمه اشد
من الهوي والنفس ولذلك قال الله تعالي افرايت من اتخذ
الهه هواه وقال عليه السلم الهوي بعض الاله عبد في الارض
وهولاء تقسموا فرقا ففرقه زعمت ان غايه المطلب في الدنيا
هي الاوطار ونيل الشهوات وادراك اللذات البهيميه من منكح ومطعم ٢
وملبس فهولاء عبيد اللذه يعبدونها ويطلبونها ويعتقدون
ان نيلها غايه السعادات رضوا لانفسهم ان يكونوا بمنزله
البهايم بل اخس منها فاي ظلمه اشد من ذلك فقد حجب
هولاء بمحض الظلمه وفرقه رات ان غايه السعاده هي الغلبه
والاستيلا والقتل والفتك والسبي والاسر وهذا مذهب
الاعراب والاكراد وكثير من الجيش وهم محجوبون بظلمه
الصفات السبعيه لغلبتها عليهم ولون ادراك مقصودها
اعظم اللذات عندهم وهولاء قنعوا ان يكونوا بمنزله السباع
بل اخس وفرقه ثالثه زعمت ان غايه السعاده كثره
المال واتساع الشان لان المال هو آله قضا الشهوات
كلها وبها يحصل للانسان الاقتدار علي قضاء الاوطار

فهؤلاء همتهم جمع الاموال واستكثار العقار والضياع والخيل
المسومه والانعام والحرث وكثرة الدنانير تحت الارض فترى الواحد
يحبها طول عمره فيرتكب الاخطار في البوادي والاسفار والمفاوز
والبحار ويجمع الاموال ويشح بها على نفسه فضلاً عن غيره وهم
المرادون بقوله النبي صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدرهم تعس
عبد الدينار واي ظلمه اعظم مما يلبس على الانسان ان الذهب
والفضه حجران لا يرادان لاعيانهما وانما اذا لم يقتض بهما
الاوطار ولم يبقيا بمنزله الحصا ولا فرق بينهما حينئذ وفرقه
رابعه ترقت من جهاله هؤلاء وتعاقلت وزعمت ان اعظم
السعادات اتساع الجاه والصيت وانتشار الذكر وكثره
الاتباع وتعود الامر المطاع فتراها لا هم لها الا المراياه وعمارة
مطارح ابصار الناظرين حتى ان احدهم يجوع في بيته ويحتمل الضرر
ويصرف ماله الى ثياب يتجمل بها عند خروجه كيلا ينظر اليه
احد الا بعين الاحتقار واصناف هؤلاء لا يحصون كثره
وكلهم محجوبون عن الله تعالى بالظلمه المحضه وهي ظلمه
المظلمه ولا نطيل بذكر اجناد الفرق بعد وقوع البيئه
على الاجناس فيدخل في زمره هؤلاء قوم يقولون بالسنتهم لا اله

الا الله

لا اله الا الله ولكن ربما حملهم على قولها خوف واستظهار بالمسلمين
وعمل بعضهم واستمداد من مالهم او لاجل التعصب لنصره مذهب
الاباء فهؤلاء اذا لم تحملهم هذه الكلمه على العمل فلا تخرجهم الكلمه
من الظلمات الى النور بل اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من
النور الى الظلمات اما من تاثرت فيه الكلمه بحيث ساءته
سيئته وسرته حسنته فهو خارج من محض الظلم وان
كان كثير المعصيه القسم الثاني طايفه حجبوا بنور
مقرون بظلمه وهم ثلثه اصناف صنف منشا ظلمتهم من
الحس وصنف منشا ظلمتهم من الخيال وصنف منشا
ظلمتهم من مقاييسات عقليه فاسده والصنف الاول المحجوب
بالظلمه الحسيه وهم طوايف لا يخلو احد منهم عن مجاوزه
الالتفات الى نفسه وعن التاله والتشوف الى معرفه ربه
فاول درجاتهم عبده الاوثان واخرهم الشويه وبينهما
درجات لا نطيل بذكرها بل نشير الى بعضها تنبيها
على باقيها اما عبده الاوثان فانهم علموا على الجمله ان لهم ربا
يلزمهم اشياره على نفوسهم المظلمه واعتقدوا ان ربهم انفس
من كل نفيس واعز من كل شي ولكن حجبهم ظلمه الحس عن

تجاوز العالم المحسوس فاتخذوا من نفس الجواهر كالذهب
والفضة والياقوت اشخاصا مصورة باحسن الصور فاتخذوها
الهة فهؤلاء يحجبون بنور العزة والجمال عن صفات الله تعالى
وانواره لكن الصقوها بالاجسام المحسوسة وصدهم عن ذلك
ظلمة الحس فان الحس ظلمة بالاضافة الى العالم الروحاني
العقلي الطايفة الثانية جماعة من قاصي الترك
ليس لهم ملة وشريعة يعتقدون ان لهم ربا وانه اجمل الاشياء
فاذا راوا انسانا في غاية الجمال او شجرا او فرسا سجدوا
له وقالوا انه ربنا فهؤلاء محجوبون بنور الجمال مع ظلمة الحس
وهم ادخل في ملاحظة النور من عبدة الاوثان لانهم يعبدون
الجمال المطلق دون الشخص الخاص ولا يخصصونه بشخص
ثم يعبدون الجمال المطبوع لا المصنوع من جهتهم ويايديهم
وطايفة ثالثة قالوا ينبغي ان يكون ربنا نورانيا في
ذاته بهيا في صورته ذا سلطان في نفسه مهيبا في هيئته
لا يطاق القرب منه ولكن ينبغي ان يكون محسوسا اذ لا
معنى لمعنى المحسوس عندهم ثم وجدوا النار بهذه الصفة فعبدوها
واتخذوها ربا فهؤلاء محجوبون بنور السلطنة والبهاء وكل ذلك

ذلك

ذلك من انوار الله سبحانه وطايفة رابعة زعموا ان النار
مستولية عليها بالاشعال والاطفاء فهي تحت تصرفنا ولا نضل
للاطيه بل ما يلون بهذه الصفات ثم يلون نحن تحت تصرفه
ويلون مع ذلك موصوفا بالعلو والارتفاع ثم كان المشهور
فيما بينهم علم النجوم واضافة التاثيرات اليها فمنهم من عبد
الشعري ومنهم من عبد المشتري الى غير ذلك من الكواكب
حسب ما اعتقدوه في النجوم من كثرة التاثيرات فهم محجوبون
بنور العلو والاشراق والاستيلاء وهي من انوار الله تعالى
وطايفة خامسة ساعدت هؤلاء في المآخذ ولكن قالت
لا ينبغي ان يكون ربنا موسوما بالصغر بالاضافة الى الجواهر
النورانية بل ينبغي ان يكون اكبرها فعبدوا الشمس وقالوا
هي اكبر فهؤلاء محجوبون بنور الكبرياء مع بقية الانوار مقترنة
بظلمة الحس وطايفة سادسة توقفوا من هذا وقالوا
النور كله لا ينفرد به الشمس بل لغيره ايضا انوار ولا ينبغي
للرب شريك في نور من انواره فعبدوا النور المطلق الجامع لجميع
انوار العالم وزعموا انه رب العالم والخيرات كلها منسوبة
اليه ثم في العالم شرور لم يستحسنوا اضافتها الى ربهم

يخن ؟

تنزيها له عن المشر فجعلوا بينه وبين الظلمه منازعه واحالوا
العالم الى النور والظلمه وربما سموها يزدان واهرمن وهم
الثنويه وهذا القدر كاف على هذا التنبيه وان كثر والله الموفق
للصواب الصنف الثاني وهم المحجوبون ببعض الانوار
مغرورًا بظلمه الخيال وهم الذين جاوزوا الحس واثبتوا ورآ
المحسوسات امرًا لكن لم يكنهم مجاوزه الخيال فعبدوا
موجودًا قاعدًا على الارض واخسهم رتبه الجسميه ثم اصناف
الكراميه باجمعهم وهم فرق يكثر ذكر مقالاتهم الخبيثه
فلا نطيل بذكرهم فان ادفعهم درجه من نفي الجسميه وجميع
عوارضها الا الجهه فانهم خصوصوه بجهه فوق لان الذي
لا ينسب الى الجهات ولا يوصف بانه خارج العالم ولا داخله
لم يكن عندهم موجودًا اذ لم يكن متخيلًا ولم يدركوا ان اول
درجات المعقولات تجاوز النسبه الى الجهات الصنف
الثالث هم المحجوبون بالانوار الالهيه مغرورون بمقاييسات
عقليه فاسده مظلمه فعبدوا الها سميعًا بصيرًا عالمًا
متكلمًا قادرًا حيًا مترهًا عن الجهات لكن فهموا هذه الصفات
على حسب مناسبه صفاتهم وربما صرح بعضهم وقال
كلامه

كلامه اصوات ككلامنا وربما ترقى بعضهم فقال لا بل هو
كحديث انفسنا ولا صوت ولا حرف وكذلك اذا طولبوا بحقيقه
السمع والبصر والحيوه رجعوا الى التشبيه من حيث المعنى
وان انكروها من حيث اللفظ اذ لم يدركوا اصل معاني هذه
الاطلاقات في حق الله تعالى ولذلك قالوا في ارادته انها
حادثه مثل ارادته وان له طلب وقصد مثل قصدنا وهذه
مذاهب مشهوره فلا حاجه الى تفصيلها فهؤلاء محجوبون بجمله
من الانوار مع ظلمه المقاييسات العقليه وكل هؤلاء اصناف
القسم الثاني الذين حجبوا بنور مغرور بظلمه اما القسم
الثالث وهم المحجوبون بمحض الانوار فانهم اصناف لا يمكن حصرهم
لكن نشير الى ثلثه اصناف منهم الاول طايفه عرفوا معاني
الصفات تحقيقًا وادركوا ان اطلاق الكلام والارادة والقدره
والعلم وعيني على صفاته مثل اطلاقه على البشر فخافوا
عن تعريفه بهذه الصفات وعرفوا بالاضافه الى المخلوقات
كما عرف موسى صلوات الله عليه وسلم في جواب قول فرعون
وما رب العالمين ان الرب المقدس المنزه عن المفهوم الظاهر
من معاني هذه الصفات هو محرك السموات والارض ومدبرها

الصنف الثاني ترقوا من هاهنا حيث ظهران في السموات
والارض كثرة وان يحرك كل سماء خاصة موجود اخر
يسمى ملكا وفيهم كثرة وانما نسبتهم الى الانوار الالهية نسبة
الكواكب ثم لاح لهم ان هذه السموات في ضمن فلك اخر يحرك بحركتها
في اليوم والليلة مرة فقالوا الرب هو المحرك للجرم الاقصى
المنطوي على الافلاك كلها اذ الكثرة منفية عنه الصنف
الثالث ترقوا من هاهنا وقالوا الخرق على الاجسام بطريق المباشرة
ينبغي ان يكون خدمة لرب العالمين وعباده له وطاعة من عبد
من عباده يسمى ملكا نسبته الى الانوار الالهية المحضة نسبته
القمر من الانوار المحسوسة فزعموا ان الرب هو المطاع من
جهة هذا المحرك ولون الرب تعالى محركا للكل بطريق الامر
لا بطريق المباشرة فهذه الاصناف كلها محجوبة بالانوار المحضة
وانما الواصلون صنف رابع تجلى لهم ان هذا المطاع ايضا
موصوف بصفة تنافي الوجدانية المحضة والكمال البالغ ونسبة
هذا المطاع نسبة الشمس في الانوار فتوجهوا من الذي حرك
السموات ومن الذي امر بتحريكها الى الذي فطر السموات وفطر
الامر فوصلوا الى موجود منزه عن كل ما ادركه بصر الناظرين

وبصيرتهم

وبصيرتهم اذ وجدوه مقدسا مترها عن جميع ما وصفناه من
قبل ثم ان هؤلاء انقسموا فمنهم من احترق منه جميع ما ادركه
بصره وانمحق وتلاشا ولم يبق هو ملاحظا للجمال والقدس
وملاحظا ذاته في جماله الذي ناله بالوصول الى الحضرة الالهية
وانمحقت منه المبصرات دون المبصر وجاوز هؤلاء طايفة هم
خواص الخواص فاحرقتهم سبحات وجهه في انفسهم لفنايهم
عن انفسهم ولم يبق الا الواحد الحق وصار معنى قوله كل شي
هالك الا وجهه له دوام وحال الا ومنهم من لم يتدرج في العروج
والعروج على التفصيل المذكور ولم يطل عليهم الطريق فسبقوا
في اول وهلة الى معرفة القدس وتنزيه الربوبية عن كل ما يجب
تنزيهه عنه فغلب عليهم اولا ما غلب على الاخرين اخرا
وهجم عليهم التجلي دفعة واحدة فاحرقت سبحات وجهه
جميع ما يمكن ان يدركه بصر حسي او بصيرة عقلية ونسبة
ان يكون الاول طور الخليل والثاني طور الحبيب صلوات
الله عليهما فهذه بنذه تنتهي الى اصناف المحجوبين فلا يتسع ان
يبلغ عددهم الى سبعين الفا اذا وصلت المقامات وتتبعت
حجب السالكين ثم اذا فتشت لا تجد واحدا منها خارجا عن

الاقسام المذكوره فانهم اما ان يحجبوا بصفاتهم البشريه او بالحس
او بالخيال او بمقايسة العقل او بالنور المحض وقد وقعت
الاشارة الى كل ذلك مع ان خوض غمرة الاشرار خطير
واستشفاء انوارها من وراء الحجب البشريه عسير غير يسير
والله الموفق ن فصل اعلم ان هذا الفصل
في شرح الحجب لم يكن مقصودنا في هذا الكتاب وانما عرضنا
به الوفا بالشرط ليلا يورد في كتابنا شيا ويحيل الامر فيه على
غيره فاذا عرفت ذلك فاعلم ان اكثر الخلائق من الخلق تراه
ان احدهم يصدق من وجه ويخطي من وجه فيعتقد انه
قد اصاب من جميع الوجوه ورأي الكل وهو لم ير الا البعض
ومثلهم كجماعه عميان بلغهم وصول الفيل الى ارضهم
فصوا ليعرفوه ظنا منهم ان معرفته يحصل لهم بطريق اللمس
باليد فوضع كل منهم يده عليه فوقعت يد احدهم على اذن
الفيل ويد اخر على رجله ويد الاخر على نابه فرجعوا
وكل واحد منهم يعتقد انه قد عرفه فلقيهم جماعه
اخري من العميان فسالوهم عنه فقال الذي وقعت
يده على رجل الفيل ان الفيل مثل العمود وقال الواضع يده
على

على الاذن ليس الامر كما يقول بل هو مثل الكساوهكذي
كل منهم وصف الفيل بما وقعت يده عليه وكلهم صدقوا وكلهم
اخطاوا حين ظنوا ان كل واحد منهم قد ادرك جمله الفيل
ولم يدركوه فكذلك المنجم والطبيب كل واحد منهم
وقع بصره على احد غلمان الملك الالهيه تعجب من ذلك
الاستيلا والسلطنه التي تحكمه وذلك التصرف الصادر
منه فقال هذا هو الاله هذا ربي ومنهم من هدي وفتح له
باب الطريق فراي نقصان ما استعظمه الاول وكونه
مخط الرتبه عن عين ما كان مخط الربه من غير ان يصل
للربوبيه فقال لا احب الافلين ن فصل
مثال الكواكب والطبايع وبروج فلك الكواكب المنقسمه
اثني عشر قسما والعرش الذي هو وراء ذلك كله من وجه
مثال ملك له حجره خاصه يجلس فيها وزيره ويحيط بتلك
الحجره رواق فيه اثنا عشر مجلسا في كل مجلس نايب
والوزير جالس وخارج عن تلك المجالس فسيحه نقبا
فرسان يطوفون حول الاثني عشر مجلسا يستمعون ما
يصل الى البواب من امر الوزير وبين يدي النقبا اربعه

رجاله ابصارهم طامحه نحو النقبا يترقبون ما يابتهم من اوامر
الحضره وفي يد كل واحد من هولآء الاربعه وهاق فيلقيه
بحكم الامر الي قوم فيابتي بهم الي الحضره والي قوم فيبعدهم عنها
فيخلعون على قوم ويعاقبون قوما فالعرش مثل الحجره
الخاصه للملك وهو مستشار وزير الملكه وهو الذي هو اقرب
الاقربين وتلك الكواكب كذلك الرواق والاثني عشر برجا
مثل الاثني عشر مجلسا وبواب الوزير هم الملايله الذين
درجتهم دون درجة الملك المقرب والي كل واحد منهم
عمل معوض بخصه والكواكب السبعه كالفرسان النقبا
السبعه الذين يطوفون حول المجالس الاثني عشر ويتصل
بهم من كل مجلس منها امر على حده والذي يسمونه العناصر
الاربعه هو الما والتراب والنار والهوا فيها ولآ كالغلمان
الاربعه الذين بايديهم الوهاقات لا يفارقون مكانهم والطبايع
الاربعه وهي الحراره والبروده والرطوبه واليبوسه مثل الوهاقات
التي بايديهم فاذا تغير مثلا الحال على شخص فاستولى عليه الغم
والحزن والخوف اعرض عن الدنيا واشغالها ويكره اعوالها
وهمها ويكي على ما نيا له في عاقبة امره وما ينتهي اليه حاله

قال الطبيب هذا مريض به علة المالنخوليا ومعالجته بطبيخ
الافثيمون وقال الطبيعي اصل هذه العلة من الطبيعة اليابسه
اذا استولت على الدماغ وسببه يبس الحوي الشتوي وما لم
يات الربيع وتشتوي الرطوبه على الهوا لا يقبل الصلاح ولا
يبرا من علته ويقول المنجم هذا به علة السودا قد ظهرت عليه
وذلك يحصل من عطارد اذا وقع بينه وبين المريخ مشاكله
مذمومه فالم يتصل عطارد بمقارنه سعد مع التثليث لا
يمكن انصلاح هذه الحال وكلهم يقولون ولكن ذلك مبلغهم
من العلم لما كونه محكوما بسعادته في حضره الربوبيه
وارسال تقيبين جلدين نافذي الامر يسميان بالعربيه
عطارد والمريخ ارسلا ليامرا احد رجاله الباب وهو الهوا
حين يلقى وهاق اليبوسه في دماغ هذا الشخص وراسه
ويجذب قصده ويلفت وجهه عن الدنيا ولذاتها ويقوده بزمام
الطلب والاراده ويسوقه بسوط الخوف والغم الى الحضره
الالهيه فليس هذا في علم الطبيعه ولا في علم النجوم انما يعترف
هذا من بحر النبوه ويستخرج من معدن علم الرساله اذ كان
محيطا بسابر الاطراف والاعمال والنقبا والعمال والغلمان

الذين للخضرة وعارفا بهم وان كل واحد بما ذا رتب وباي شيء
امر والى اين يدعون الخلق ومن اين يمنعونهم فاذا كل قايل
منهم صدق ولكن لم يكن لهم من اسرار الملكة واسرار اصفى سلايه
الدوله خبر فان الخالق سبحانه يدعوا الخلق الى بابه تاره
بالبلآ واخري بالمرض وتاره بالمحن ويقول ان هذا ليس
بمرض انما ذلك وهاق اللطف نجتذب به اوليانا الى حضرتنا
فان البلآ موكل بهم الاولياء الامثل فالامثل فلانظرت
اليهم بعين المرضي فان هاولآء منا كما قال تعالى رضت فلم
تعدني فاذن ذلك المثال الاول منهاج سلطنه الادمي
في باطن بدنه وهذا المثال الثاني ايضا منهاج سلطنته
على مملكته خارجا عن بدنه وبهذا الوجه تتبين هذه
المعرفه بسبب ان معرفه النفس هو المنهاج الاول
فصل كثيرا ما يجري على السنه الناس هذه الكلمات
ولا يعرفون معناها وهي سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر وهي بالحقيقه اربع كلمات مختصره جامعه لمعرفة
الله سبحانه وتعالى فاذا عرفت من تنزيه نفسك تنزيه
الحق سبحانه وتعالى عرفت معنى قولك سبحان الله واذا

عرفت من سلطنتك تفصيل سلطنته وان الوسايط مسخره
كالقلم في يد الكاتب عرفت معنى قولك الحمد لله من قبل انه
اذا لم يكن منع غيره فلا ينبغي الحمد والشكر الا له واذا عرفت
انه ليس لاحد امر من سره الا له والعمل ما مورون وهو الآمر
عرفت معنى قولك لا اله الا الله وقد بينا تلك الطرق
فافهم ولم يبق الا ايضاح طريق يعرف به معنى قولك الله اكبر
وهذا وان ذكر ذلك فاعلم انك قد عرفت ما عرفت وما
عرفت من الحق سبحانه شيا فان الا له الا كبر انما هو الذي
لا يدركه الخلق بطريق مقايسة نفس بسم وليس معناه انه
اكبر من كل شي اخر اذ ليس معه شي فيقال هو اكبر من ذلك
الشي فان الموجودات جميعها من نور وجوده فان نور الشمس
ليس شيا اخر غير الشمس حتى انه لا يقال ان الشمس اكبر
من نورها فاذن معنى قولنا الله اكبر هو انه اكبر من ان
يعرف بقياس عقل الادمي ومعاذ الله ان تكون سلطنته
مثل سلطنه الادمي على نفسه او كون صفاته كعلمه وقدرته
كصفات الادمي وانما الاشيا لها انموذجا لعله يحصل للادمي
على قدر عجز بشريته شي من جلال الحضرة الالهيه الصمديه وهذا

مالك ٤

بالانبياء ٤

الانموذج مثاله ما لو سال الناصبي عن كيفيه لذه الرياسه والسلطنه
وترسيه الملك بان يقول له لذه هذه الاشيا عند اهلها كلذه
لعبك بالدره والصولجان عندك انه لا يعرف غير هذه اللذه
وكلما لم يلن له ذوق منه فانما يعرفه بان يقاس على ما عنده
ونحن نعلم ان لذه السلطنه المناسبه بينها وبين انه ضرب
بالصولجان ولكن على سبيل الجمله يطلق عليه اسم اللذه والفرح
فاذن هما في الاسم سوا على سبيل الجمله من هذا الوجه الذي
جعلناه انموذجا فاعلم الان ان تلك الامثله المتقدم ذكرها
اطلقناها على هذا الوجه فاذن لا يعرف الله بغير الحمقه
والجمال من هو جزئي فصل ذكر معرفه الله
تعالى وشرحها يطول لانه بعد انفاس الخلق وهذا
المختصر لا يحتمل الاشتغال بشرح ذلك وهذا القدر الذي
اودعناه كان للتنبيه والتشويق الى طلب تمام المعرفه بقدر
ما يلون في وسع الادمي فان ذلك تمام سعادته فان كمال
سعاده الادمي يلون في معرفه الحق سبحانه وفي عبوديته
وعبادته سيما السعادته انه يلون بينه وبين الاحد مودده
ومحبته وكلما كانت اكثر كانت سعادته اكثر فان لذه مشاهده

المحبوب والراحه في لقايه لا يعدلها شيء ولا تغلب محبه الله
تعالى على قلب الا بمعرفته وكثره ذكره فان من احب شيا اكثر
ذكره فيزداد له محبه ولهذا اوحى الله سبحانه الى داود
عليه السلم انا بذكر اللازم فالزم بذكر وطريق غلبه المحبه
والذكر على القلب ان يواظب على العبادات ويتفرغ لها اذا
قطع العلايق عن قلبه والشواغل بان يبلغ عن
المعاصي ويحترز منها فان ذلك سبب خلو القلب واذا
الطاعات سبب غلبه الذكر على القلب وهذان شبان
للمحبه التي هي بذر السعاده التي يعبر عنها بالفلاح كما قال
الله تعالى قد افلح من زكاها وقد افلح من تزكى وذكر اسم ربه
فصلى واذا كانت الاعمال كلها لا تصلح ان يلون عباده انما
يلون بعضها عباده وبعضها غير عباده فكذلك الشهوات
كلها لا يمكن الاعراض عنها بالكليه ولا يجوز ايضا فانه اذا لم
ياكل الطعام يهلك واذا لم يباضع انقطع النسل فاذن بعض
الشهوات يعرض عنها دون البعض فعلى هذا لا بد من حد
يفصل بينهما فيما يتناول وفيما يعرض عنه وهذا الحد لا يخلوا
من شيئين اما ان ياخذ به ويضعه الادمي من تلقاء عقله

وهواه واجتهاده او يتلقاه من غيره ويحال ان يتلقاه باختياره
واجتهاده فان الهوى اذا استولى عليه غطى عليه الحق وستره
واظهر له ان الصواب في مراده فاذن ينبغي ان لا يكون زمام
الامر والاختيار بيده بل بيد غيره وذلك الغير لا يصلح
ان يكون كل احد من الناس انما ينبغي ان يكون امر الناس
وهم الانبياء صلوات الله عليهم فاذن بفهم الضروره يكون السعاده
في متابعة الشريعه وملازمة حدود الاحكام وتعيين
ذلك ومعنى العبوديه للذلل واوامر الشرع وان تعدي
الحدود وتجاوزها باختياره ورايه فانه يقع في خطر الهلاك
كما قال تعالى ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون
ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه فصل جماعه
من اهل الاباحه وضيعوا عن نفوسهم مراعاه حدود الله
تعالى وقد موا على ارتكاب نواهيه واغفال اوامره
وغلطوا وجهلوا من سبعه اوجه احدها جهل قوم لا ايمان
لهم بالله تعالى لانهم طلبوه من كثره الخيال والوهم فلما لم
يجدوه بمقتضى هذه الاسباب احالوا الامور على النجوم
والطبيعه وظنوا ان هذا الشخص الادمي وغيره من الحيوانات

وهذا العالم العجيب مع هذه الحكم الكثيره وترتيب العجيب موجود
من نفسه اولم يزل كذلك او فعل الطبايع وكان وجود هذه
الاشيا لا من موجد ومثل هولاء كالانسان يرى خطا مكتوبا
جيدا وهو يظن ان الكتابه وجدت بنفسها لا من كاتب عالم
قادر مريد لو كانت موجوده هكذا لم تزل ومن كان عماه
الى هذه الغايه فهو ينظر من طريق الشقاوه وقد تقدم
القول في غلط الطبيعي والمنجم فلا نعيدها هنا حتى انه ظهر
طبيعي في زمان المعتصم وكان ينجم الايمه في المناظره فينقطع
في يده كل من ناظره وكان يحضر الايمه من اقطار الارض
لمناظرته في كل يوم فاتفق ان بعض من كان يحضره كل يوم تاخر
عن الوقت الذي جرت عادته الحضور فيه فلما حضر قال له
الطبيعي يا شيخ ما اخرك عن وقتك قال اعلم اني وقفت على
دجله انظر ان تنبت شجره ثم تنشق الواحها بصبي سفينه
ثم تعبى في دجله من غير صانع ولا ملاح قال الطبيعي جن الشيخ
فادركوه فقالوا وكيف ذلك قال اما تسمعون حديثه قالوا
وما انكر منه قال كله منكر كيف تنبت شجره وتنشق لنفسها
وتصير بنفسها سفينه من غير صانع قال الشيخ يا ويلك اذا

كان هذا مستحيلا من شجرة وسفيه بغير صانع انها لا توجد
فكيف لا يستحيل وجود السموات والارض وجميع المخلوقات
من غير صانع فسقط في يده وانقطع واستسلم ن الوجه
الثاني قوم لم يؤمنوا بالاخرة بل ظنوا ان الادمي كالنبات
والحيوان اذا مات عدم ولم يكن له عتاب ولا عقاب ولا ثواب
وسبب ذلك الجهل بنفوسهم فانهم لم يعرفوا من نفوسهم الا ما
يعرفونه من الحبب والبغض والحشيش واما الروح التي هي حقيقته
فجهلوها وعموا عن معرفتها بانها ابدية لا تموت قط وانما استرجح
منها القالب الذي هو البدن فيسمي ذلك موتا وسيأتي تحقيق
ذلك في الباب الرابع ان شاء الله تعالى ن الوجه
الثالث جهل قوم ٣ امنوا بالله واليوم الاخر لكن ايمانهم ضعيف من
قبل انهم لم يعرفوا معنى الشريعة فيقولون ان الله مستغني عن
طاعتنا ولا حاجة به اليها ولا ضرر ينالهُ من معاصينا
لانهُ الملك الذي يستغني عن طاعتنا وعن اعمال الخلق والطاعة
والمعصية شيان عنده وهؤلاء الجهال يسمعون في القران
قوله تعالى ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه وقوله من عمل صالحا
فلنفسه فهذا المدبر الجاهل بالشريعة يعتقد ان معنى الشريعة

الامر بالعمل لله لا لنفسه وهذا كله مثل المريض اذا لم يحتم ويقول
ماذا على الطبيب بني استلذ امره في الاحتماء ام لم استلذ وهذا
القول صحيح لكنهُ هو الذي يهلك لا لاجل حاجة الطبيب ولكن
لانه لم يحتم فرطريق الهلاك وقد ارشدهُ الطبيب اليهِ وليس
على الطبيب ضرر لكن المريض يهلك فكما ان مرض الجسد
سبب هلاك البدن في هذه الدنيا فكذلك مرض القلب
سبب في الشقاوة في الاخرة وكما ان الدواء والحمية سبب
سلامة الجسد فكذلك الطاعة والمعرفة والاحتراز من
المعاصي سبب سلامة القلب ولا ينجو الا من اتى الله بقلب
سليم ن الوجه الرابع جهال اخرين بالشريعة
ايضا من وجه اخر يقولون ان الشرع يامر بتطهير القلب
من الشهوة والغضب والرياء وهذا ليس بممكن لان الادمي
مخلوق من ذلك فهو كما قيل لانسان علم المسح الاسود حتى
يبيض وذلك محال فكذلك تنظيف القلب من الشهوة والغضب
والرياء والحسد وغير ذلك فطلب الشرع ذلك من القلب محال
ولم يعرف هذا القايل الاحمق ان الشرع لم يامر بذلك وانما
امر ان يجعل الشهوة والغضب اسيرين تحت قهر القلب

والشرع بحيث لا يستولي ان فيخرجان الشخص عن كونه متبعا
حدود الله غير متعدي لها جاوزا لحدود الشرع غير متجاوز
عنها متجاوز عنها متجنبا للكبائر غير مصر على الصغائر واذا
كانا مقهورين للقلب والشرع صح منه ذلك وهذا ملزم وقد بلغ
اليه كثير وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اتباع
الشهوة واعمال الغضب مع انه صلى الله عليه وسلم قال انما
بشر مثلكم اغضب كما يغضب البشر وقد قال الله تعالى
والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس فاثنى على من كظم
غيظه لا على من ليس له غيظ وغضب الخامس
جهل قوم بصفة الله تعالى فانهم يقولون الله غفور رحيم
وعلى كل حال فلابد ان يرحمنا وهم لا يتصورون انه كريم
وشديد العقاب لا سيما وهم يرون انه ابلى وامرض
واجاع خلقا كثيرا في الدنيا مع انه كريم ورحيم غير انهم لا يعقلون
وكذلك ما لم يحرث ويتحر لا يكاد يحصل المال وما لم يجتهد
لا يتعلم العلم وهؤلاء الجهال لا يكاد يجري منهم تقصير في
طلب الدنيا تعويلا منهم على كرم الله تعالى ورحمته
فيتركون التجارة والحراثة والطلب اعتقادا ان الله يرزق

الخلق

الخلق مع انه ضمن لهم ذلك بقوله تعالى وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها لكنهم يتركون عمل الآخرة اتكالا على كرم الله
تعالى ورحمته في امور دنياهم وقد وعدهم الله بها وضمنها
لهم فكيف يعولون على كرمه ورحمته في امر الآخرة وقد قال
لهم وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى
فاذن ما يصدر منهم من ذكر كرمه ورحمته صحيح الا انه
طريق استدرجهم الشيطان حتى استغلوا بدنياهم عن اخراهم
ذلك عين الخسران الوجه السادس قوم
جهلوا نفوسهم واغتروا باحوالهم فقالوا نحن قد انتهينا الى
حال لا تضرنا المعصية لانا قد بلغنا الى حال الكمال فلا
تنجس مياه احوالنا بنجاسات المعاصي لانها قد بلغت
الى رتبة القليين ومثل هؤلاء الحمقى بتبين خمق احدهم
ونقصه باقل شيء فانه لو اطرح احد في محادثته شرط الادب
الجاري بين الناس من قول سيدنا او غير ذلك من الالفاظ
مثلا واعرض عن حراسة حشمتهم واحترامهم مرة واحدة
في عمره فانهم يبطنون له العداوة ابدا وربما مسوه بمكروه
في الحال وكذلك لو فات احدهم لقمة واحدة مما كان يطعم فيه

من الذنوب التي عاقت عليه الارض برجيها واظلم النهار في وجهه
وهولاء الحمقى لم تبلغ دنيتهم في الرجولية الى قلبين حتى ان احدهم
يتاثر بما ذكرنا فكيف تسلم لهم دعواهم على انه لو بلغت احدهم
مثلا الى ان قهر غضبه وشهوته وملك نفسه في اطراح
المعاداه وحبب الرياء فهو بهذه الدعوي مغرور ايضا اذ
درجته لا يتجاوز درجه الانبيا عليهم السلم وقد صح انهم
ناجوا على معاصيهم المتطرقه عليهم بطريق الشهوه وعيبه
واكثروا البكا واشتغلوا بالاعتذار الى الله تعالى وطلبوا
اليه ان يتجاوز وكذلك الصديقون والصحابه احترزوا
من الصغاير وكانوا يعدون من الحلال خيفه ادنى شبهه
فهولاء الحمقى لا يعلمون انهم قد جعلوا في حبائل الشيطان
ويعرفون ان درجتهم لا تفضل درجه الانبيا والصديقين
وربما قال بعض هولاء الحمقى ان الانبيا عليهم السلم
كانوا كذلك لانهم معصيه وما كان يظهر منهم انما
اظهروه لاجل الدين للخلق فيقال لهم ايها الحمقى هلا فعلتم
ايضا كفعلهم لاجل الخلق فان من يراكم من الخلق يقول انا
في المعاصي لا تضرنا لانا انتهينا الى حال لا تضرنا معاصينا

فكيف

فكيف تضرنا معصيه غيرنا ان اتبعنا فيها فيقال لهم اذا كان
اتباع الخلق لكم في المعاصي لا يضركم فاولى ان لا تضر الانبيا
فكان ينبغي ان لا يتغفروا ولا يحترزوا من الذنوب وان لا يسعوا
نفوسهم عن الشهوات ويحبسوها عن تناول الشبهات والمحظورات
فضلا عن المباحات وقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اكل تمره من تمر الصدقه من فم الحسين رضي الله عنه وادخل
اصبعه عليه السلم في فم الحسين وقال له كخ كخ حتى القاها
فليت شعري لو اكلها ما كان يضر الخلق فانه كان مباحا للكل
ولذلك نقل ان ابا بكر رضي الله عنه اتاه عبد له بقعب فيه
لبن فشرب منه ثم سأله عنه فقال تكهنت لال فلان فاعطوني
ذلك فوضع الصديق يده في حلقه ولم يزل يعالج نفسه حتى
قذف ما كان في معدته وقال لو علمت ان قطره من هذا
اللبن قد بقيت في معدتي لخفت ان يسلبني الله معرفته
فليت شعري اي ضرر كان على الخلق من شربه بذلك اللبن
وان كان اكل التمره وشرب اللبن يضرهما فكيف لا يضر هولاء
الحمقى اقداح الخمر وبكل حال درجه هولاء لا تزيد على درجه
البنوه فان درجه ما به قدح خمر فوق درجه تمرة واحدة

فهولآ الحمقى يجعلون نفوسهم كالبحر لا يتغير بالف رقوخمر
ويجعلون الانبيا والاوليآ والصديقين بمنزله كوزمآ يتغير
بتمره واحده مثلاً فهولآ المساكين يسخر منهم جهال الامته
فضلاً عن علمايها ويلعب الشيطان بعقولهم ولمآ اهل الدين
فيعلمون ان من لم يكن هواهُ اسيرهُ فليس بذي قدم في الدايه
خير منهُ فاذن علمت ان نفس الادمي مكارهٔ يحتاله خداعهٔ
تدعي كل شي وتفتخر باسير شي وربما خدعت فقالت الناطع
يديك وبحكمك لا اخرج عن مرادك فينبغي ان لا تصدقها
في ذلك بل تطالبها ببرهان ما ادعت وقالت فانها محتاله
ليس على قولها جعه البته فانها لا تكون بحكم احد طوعاً انما
تخدع صاحبها لتجعله بحكمها فانها تصدق اذا استولى عليها
وعلامهٔ ذلك ان تكون مطاوعه للشريعهٔ ابدًا تصرف بحكم
امر الشارع ونهيه ومتى شتغلت بطلب الرخص والتاويلات
الامور والحيله فهو عبد الشيطان ومع ذلك يدعي الولايه
ولا بد من طلب هذا البرهان الذي هو اتباع الشرع والتماسه
منها الى حين مفارقهٔ الدنيا ومتى لم يكن كذلك فصاحبها
مغرور مخدوع قد اشتغل على الهلاك وهولا يشعر فان حمل

النفس

النفس على متابعه الشرع اول درجهٔ من الاسلام فمن لم يحج
له ذلك فليس بمسلم ومن صح له ذلك فقد صح له اول درجهٔ
من الاسلام ن الوجه السابع يصدر من الغفلهٔ
والشهوه ومن جهه الجهل وهذه الاباحه تصدر من قوم لم
يقفوا من الشبه المسالفه لكنهم يتقلدون قومًا قبل ان يسلكوا
الاباحه فيوردون لهم الفاظًا مزينه وكلمات مزوقه يدعون
التصوف والولايه ويلبسون ثيابهم ولا يامرون الناس
بصريح الفساد الظاهر لكن يهونون عليهم اشيا تسوق
الى ذلك فيوافق ما يدعون اليهِ ما في الطباع من حب البطاله
والشهوه ويقول للناس معاذ الله ان نرتضي بالفساد او نامر
بهِ او نبيح الزنا مثلاً ونرتضيه ولكن لا باس بالحديث والدعابهِ
فيسهلون ذلك ليلا ينتفض عليهم بتسميتهِ فسادًا فيمتنع منهُ
لكنهم يستجرونهم بكونهِ حديثًا اولمًا وهم لا يعرفون معنى ذلك
تمريد وتدريب على اتباع شهوه الشيطان حتى يفضي بهم ذلك
الى الزنا مثلاً فهولآ المساكين اتبعوا الشيطان ونالهم الاثم
والفتنهٔ من غير قصد ومعرفه بها لكن بطريق الجهل بالالفاظ
ومبل الطبع الى البطالات والشهوات والشبهه التي راقتهم

انما حصلت لهم من جهة الكلام واكثر هولاء القوم من الذين قال
الله سبحانه فيهم وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي
اذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا ولذلك
قول الله تعالى واذا ذكرت ربك في القران وحده ولوا على
ادبارهم نفورا فاذن للمعامله لهولاء بالسيف اولى من معاملتهم
بالحجه وهذا العذر كاف في ذكر فضايح الاباحيه وقد صنف
الامام ابو حامد قدس الله روحه في فضايحهم كتابا مفردا
وانما اوردنا ذكرهم ها هنا لانه من قبيل الجهل بالنفس او من
قبيل الجهل بالحق او من قبيل الجهل بالحق او من قبيل الجهل
بسلوك الطريق من النفس الى الحق وهي الشريعه والجهل اذا
كان في امر يوافق الطبع صعب زواله وشق رفعه ولهذا
السبب سلك جماعه طريق الاباحه بغير شبهه ويقولون نحن
متحيرون ولو سيل احدهم في اي شي هو متحير لما عرف لانه لم يكن
طلب قط ولا شبهه فيتحير فيها ومثل هذا كمن يقول للطبيب
انا مريض ولا يذكر من اي شي مرضه ليعالجه والطبيب ما لم يعرف
لا يقدر على المعالجه والصواب ان يقال لهذا المسكين
كن متحيرا في اي شي شيت ولكن لا تشك في ان الذي خلقك

واوجدك

واوجدك قادر عالم مريد وبين له هذا بطريق البرهان وقد
تقدم ذكره والله الموفق للصواب

الباب الثالث في معرفه الدنيا

اعلم ان الدنيا منزل من منازل الاخره وطريق من طرق الدين
وسبيل للمسافرين الى حضره الحق سبحانه وسوق مزين على
فاتحه البادية التي يقطع اليه سبحانه ليتاخذ المسافرون منها
زادهم لمدة سفرهم ثم الدنيا والاخره عبارتان عن حالين فما
قبل الموت هو قرب فنسميه دنيا وما بعد الموت نسميه اخره
والمقصود من الدنيا التزود للاخره فان الادمي في ابتداء خلقه
فارغ ناقص خلو من الحال الكن خلق مستعدا صالحا للبلوغ الى
تحصيل الحال بحيث يصلح للحضره الالهيه بذلك المعنى الذي
يجد اليه السبيل حتى يصير احد نظاره جمال الحضره الالهيه وهذا
منتهى سعادته وهو جنته ولذلك خلق ولا يقدر ان يكون من
الناظرين ما لم يفتح بصره ويدرك ذلك الجمال وهو انما يحصل
بالمعرفه ومعرفه جمال الحضره الالهيه مفتاحه معرفه عجايب
الصنع الالهي مفتاحه حواس الادمي ولا يمكن كون هذه
الحواس الا في هذا القالب المركب من الماء والتراب فلهذا وقع الى

عالم الملآ والترات ليا خذ زاده ويحصل معرفه الله تعالى
بمفتاح معرفه نفسه ومعرفه جمله من الملآ فاق المدركه بالحواس
ليلون الحواس معه وتلون جاسوسا وعينا له مادام في الدنيا
فاذا فارق الحواس بقي هو وما هو من صفات ذاته فيقال ذهب
الي الآخرة فان سبب كونه في الدنيا هذا والله اعلم

فصل يحتاج الانسان في دنياه الي شيئين احدهما
ما يخلص قلبه من اسباب الهلاك ويحصل غذاه والثاني ما يحفظ
بدنه من المهلكات فاما غذا القلب فمعرفه الله سبحانه وتعالى
ومحبته فان هذا اصل شي مقتضى طبعه الذي هو اخص به وقد
تقدم القول فيه ان خاصيه الادمي هذا وسبب هلاك قلب
الادمي ان يستغرق بحبه شوي الله جل جلاله والبدن
يحفظه ويتعهده لاجل القلب فان البدن فان والقلب باق
والبدن للقلب كالجمل للحاج في طريق الحجاز والحاجي يتعهد
الجمل ضروره بالعلف والمآ واللباس الي ان يصل الي الكعبه
ويخلص من التعب لاجله ولكن يلون تعهده بقدر الحاجه فاما
فاما اذا اشغل نهاره وليله بعلف الجمل وتربيته وتعهده فانه
يتخلف عن القافله فيهلك وكذلك الادمي اذا اشغل اياميه في

تعهد

تعهد بدنه وحفظ قوته وحراسته من اسباب الهلاك تخلف
عن سعادته فاما حاجه البدن في الدنيا فهي ثلثه اشيا لا غير
الاكل واللبس والمسكن الحر والبرد لنا من اسباب الهلاك فاذن
فاذن يضطر الادمي في دنياه الي هذه الاشيا الثلثه مع انها
اصول الدنيا وغذا القلب المعرفه وكلما كثرت كان الخوف
وكلما كثر غذا البدن كان ادعى الي الهلاك غير ان الله تعالى
وكل بالادمي ما يقتضيه بالطعام والمسكن واللباس وهو
الشهوه التي تطالبه لان البدن هو المركب فلا يهلك وحاجه
الشهوه علي صفه لا تقف عند حد ونهايه لكن تطلب
الكثير فخلق الله تعالى العقل ليقف الشهوه علي حدها فلا
يتركها يتعدي طورها وجعل الشريعه علي لسان الانبيا
مبينه للحدود ان الشهوه وضعت في اول الخلقه في حال الصغر
لمكان الحاجه اليها ثم جعل العقل بعد ذلك فالشهوه قد
استقرت في النفس اولا فاستولت فهي تخرج عن طوع العقل
في وقت ويجاوز الحد الذي يامر به فجا الشرع بعد ذلك
وامر ان لا يشتغل بالكليه بطلب القوت واللباس والمسكن
وان لا يذهب جميع العمر في تحصيل ذلك فحكم تقدم الشهوه

في الطبع وتمكنها واستيلآءها تجاوز حد العقل ويخالف امر
الشرع ويطول لاحتاج الى اكثر من هذا الذي يندفع به الوقت
ويمكن الاكتفآء به ويقول انه يجب اعمال الجملة في الطلب والاشتغال
بتحصيل مهما امكن وبهذا السبب ينسى نفسه ولا يعلم لاي شيء يراد
القوت والملبوس والمسكن ووجوده في هذا العالم لاي شيء كان
وينسى غدآء القلب الذي هو زاد الاخره فاذا عرفت من هذه الجملة
حقيقه الدنيا وافتها وغرضها فافهم الآن شغل الدنيا وسعيها
لتتبع بها ان شآء الله تعالى فصل اعلم انك اذا نظرت
في تفاصيل الدنيا وجدتها عباره عن ثلثه اشيآء احدها اعيان
الاشيآء التي خلقت على وجه الارض كالنبات والمعادن والحيوان
فان الارض تراد في الاصل للمسكن ومنبعه الزراعات
ومعادن الحس والصفر والنحاس والحديد وغير ذلك يراد لهذا
والحيوانات تراد للركوب والاكل وقد شغل الادمي قلبه وبدنه
بذلك اما قلبه فمشغول بمحبتها وطلبها والتراع نحوها ويظهر في
القلب من ذلك ما هو سبب الهلاك كالحرص والبخل والعداوه
وغير ذلك من اشتغال البدن بطلبها يظهر شغل القلب بها
بحيث ينسى نفسه ويجعل همته مصروفه الى امور الدنيا وكما ان

اصل

اصل الدنيا ثلثه اشيآء القوت واللباس والمسكن فكذلك اصل
الصنايع التي يضطر اليها الادمي ثلثه البنا والحراثه والحياكه
وما شولها فروع وتتمه وعون لها كالحلاج والغزال عون
الحايك ومنها ما هو تتمه كالخياط فانه يكمل ويتمم شغل الحايك
وذلك كله يحتاج الى آله كالخشب والحديد والجلود وغير ذلك
ثم الآلات تحتاج الى من يعملها كالنجار والحداد والخراز فظهر
كيفيه تعلق الاشيآء بعضها ببعض ثم هاولآء كل منهم الى
مساعده غيره له فان الواحد لا يقدر ان يقوم بامور كلها
فافتقر الى تعاضد واجتماع فصار الخياط يعمل ما يحتاج اليه
فكثرت معاملات تحتج منها خصومات حتى لم يتنع كل منهم بحقه
وقصد كل منهم الايقاع بصاحبه فيحتاجوا بمقتضى ذلك الى ثلثه
اشيآء اخر من الصناعات احدها صناعه السياسه والسلطنه
والثاني صناعه القضا والحكومه الثالث صناعه الفقه فانه
يعرف به قانون الوساطه بين الخلق وكل واحد من هذا صناعه
وان كان اكثر امورها لا تعلق باليد فكثرت اشغال الدنيا من هذا
الوجه وارتبط بعضها ببعض واكثر الخلق فيما بينهم ونقصوا
ولم يعلموا ان اصل هذا كله في الاول ثلثه اشيآء لا زياده عليها

الطعام واللباس والمسكن وهذا كله كان لاجل هذه الثلثه
اشيا وهذه الثلثه تراد لاجل البدن والبدن يراد لاجل القلب
ليتخذه مركبا والقلب يراد للحق تعالى فنسي الناس نفوسهم وربهم
فصاروا كالحاج الذي نسي نفسه والكعبة وسفره واذهب
جميع ايامه في تعهد الجمل فاذن الدنيا وحقيقتها ما ذكرنا فمن لم
يكن فيها مستوفزا واضعا عين حكمته على الاخرة لا يصل
من مشغله الدنيا الا قدر الحاجه كان جاهلا غير خبير بها
وبسبب هذا الجمل قال الرسول صلى الله عليه وسلم الدنيا
اسحر من هاروت وماروت فاحذروها فاذا كانت الدنيا
في هذه الغايه من السحر فيجب معرفه مكرها وخديعتها ليضاح
امرها للخلق ليعرفوها فيجتنبوها ويحذروها فصل
المثال الاول اعلم ان سحر الدنيا هو ان تريك نفسها حيث
انها شاكنه اليك قاره معك مصاحبه لك وهي لا بد امع اظهار
هذا لك هاربه منك طالبه لغيرك ولكن ذره ذره وقليلا قليلا
على التدريج كما قيل فيها ○

تشتكي البعل وقد وطئت في موضع اخر منه بديل

ومثلها في هذا الفعل كالظل اذا نظرت اليه رايته ساكنا

وهو يسير مع الدوام ومعلوم ان عمرك هكذي يسير مع الدوام
وينقص بالتدريج شيئا فشيئا مع الايام وتلك انما هي الدنيا تهرب
من قوم وتودع وانت غافل عن ذلك مثال وجه اخر من
سحرها وذلك انها تريك نفسها كانها محبه لك وانها لا تزال
موافقه معك لا توافق غيرك ولا ترغب في سواك حتى يميل بك
الى عشقها وتطرحك في شبكه المحبه لها ثم تنصرف منك على
غفله منك الى عدوك ومثلها كامراه مفسده تغر الرجال
فيعشقونها فاذا اجبوها حملتهم الى مقتلها واهلكتهم كما
قيل فيها يا خاطب الدنيا الي نفسها ان لها في كل يوم قتيل
قال عيسى بن مريم عليه السلم رايت الدنيا يعني في بعض مكاشفاته
في صوره امراه عجوز فقلت لها كم نكحت بعلا فقالت لا يحصرهم
عددا الا الله تعالى من كثرتهم فقلت ما توا عنك ام طلقوك
فقالت لا بل قتلتهم كلهم فقلت لبئس العجب من قولك انما العجب
من هولاء الحمقى الذين يرون قتلك للرجال وهم يرغبون فيك
فلا يعتبرون مثال اخر في ذكر سحرها من وجه اخر
وذلك انها تزين ظاهرها بالحجاب وتغطي ما كان بحنة او بلا
ليتطرق الجاهل الى ظاهرها فيغتر بذلك ومثلها

كامراه عجوز قبيحه المنظر لبست ثيابا جميلة وحليا كثيرا
وتعرضت فاذا راها احد من بعد افتتن بها فاذا اتى عنها الازار
ونضا النقاب ندم على تعلق قلبه بها اذا شاهد فضايحها
وقبحها وفي الخبر يوتى بالدنيا يوم القيامه في صوره عجوز
قبيحه الوجه زرقا العين قد خرجت اسنانها عن شفتيها
فاذا نظر الخلق اليها قالوا نعوذ بالله من هذا الذي نراه في غايه
القبح ونهايه التقبيحه فيقال لهم هذه الدنيا التي تحاسدتم عليها
وتعاديتم عليها وارقتم الدما وقطعتم الارحام لاجلها واغتررتم
بها ثم يقذف بها في النار فتستغيث وتقول الهي اين الذين
عشقوني واتبعوا امري وما لوا الى محبتي فيامر الله سبحانه
فيقذف بهم معها الى النار ثم مثال اخر من حسب
كم كان الازل قبل خلق الدنيا وكم يكون بعد فنايها وهذه الايام
التي هي بينهما ما هي عرف ان اهل الدنيا كطريق مسافر اولها
المهد واخرها اللحد وبينهما منازل معدوده كل سنه
مثل منزل وكل شهر فرسخ وكل نفس مثل خطوه وقد بقي من
المسافه لكل واحد فرسخ مثلا زايدا او ناقصا وهو قاعد
ساكن وادع كانه لا يزال مقيما في الدنيا يدبر امورا هو غني

محتاج اليها عشر سنين ولعله لا يحتاج اليها وربما كان قبل
عشره ايام تحت التراب كما قيل يا ابن ادم تضحك ولعل اكفانك
قد خرجت من عند القصار ه فصل لا تعتقد ان
كل ما كان من الدنيا مذموم لاجل ما سمعته في ذلك الفصل فان
في الدنيا اشيا ليست محسوبه منها فان العمل يكون من الدنيا
ولا يعد من جمله الدنيا فانه يصحب الاد تي الى الاخره اما
العلم فانه يبقى بعينه معه واما العمل وان لم يبق عينه فيبقى
معه اثره وذلك قسمان احدهما الطهاره وصفا القلب
الحاصل من ترك المعاصي والثاني الانس بذكر الله تعالى
الحاصل من المواظبه على العبادات وهذه الجمله من قبيل
الباقيات الصالحات التي جعلها الله خيرا عنده ثوابا واعلم
ان لذه الانس بذكر الله سبحانه اكمل واعظم من سايير
اللذات وذلك في الدنيا وليس منها فاذن جميع اللذات غير
مذمومه انما المذموم منها لذه تفنى ولا تبقى ولا يذم ذلك
ايضا على سبيل العموم انما ذلك قسمان احدهما وان كان
من الدنيا وبقي فلا يبقى بعد الموت فهو معين على امر الاخره
والعلم والاحرار من المومنين كالموت واللباس والنكاح

والمسكن اذا كان بقدر الحاجه فان هذا شرط طريق الاخره
فمن اقتصر من الدنيا على هذا القدر وقنع به وكان قصده
الاستعانه بذلك على امر الدين لم يك من اهل الدنيا فانما يذم
من الدنيا ما كان المقصود منه غير هذا وكان سببا للغفله
عن امر الاخره والنظر في امر الدنيا واشتغالها حين كان
ذلك سببا لغفله القلب عن المقصود وسكونه الى هذا
العالم ونفوره عن ذلك العالم الذي لا بد منه ولهذا
قال النبي صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونه ملعون ما فيها
الا ذكر الله وما والاه وهذا القدر هاهنا كاف في ذكر
حقيقه الدنيا والمقصود منها وسنشير الى بقيه منها في
اثناء الباب الرابع والله الموفق للصواب

الباب الرابع
في امر الاخره والقبر

اعلم انه لا سبيل لاحد الى معرفه الاخره ما لم يعرف الموت
اولا ولا يعرف حقيقه الموت ما لم يعرف حقيقه الروح وقد
قدم القول في معرفه حقيقه النفس واعلم انا قد ذكرنا
من قبل ان الادمي مركب من شيئين من بدن وروح والبدن

هذا القالب وهو كالمركوب والروح كالراكب ولهذه الروح
بواسطه البدن حال في الاخره وجنه ونار ولها من غير
واسطه البدن حال على انفرادها من غير ان يشاركها البدن
فيها جنه ونار وسعاده وشقاوه ونحن نسمي نعيم القلب ولذته
الحاصلين له من غير واسطه البدن ونعبر عن ذلك بالجنه
الروحانيه ونسمي الالم والتعب والشقاوه الحاصله له من غير
مشاركه البدن بالنار الروحانيه فاما الجنه والنار المعدتان
للروح والبدن فاحوالهما ظاهره وحاصلها معلوم فان هذه الجنه
انهار واشجار وحور وقصور ومطعوم ومشروب وغير ذلك
واما حاصل هذه النار فحيات وعقارب ونار وزقوم وصديد
وحميم وغير ذلك وقد نقل صفه الموضعين في الاخبار وورد
في القران وعلم الكل حاصل ذلك وافهامهم واصله اليه
وقد ورد بطريق التفصيل في كثير من كتب المتقدمين
فلا حاجه بنا الى الاشتغال بذكره انما نشتغل بذكر حقيقه
الموت ومعنى الجنه والنار الروحانيتين فان ذلك لا يعرفه
كل احد وقوله جل ذكره اعددت لعبادي الصالحين ما لا
عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر انما يكون

ذلك في الجنة الروحانيه ومن باطن القلب دونه الى عالم الملكوت
تظهر منها هذه المعاني فلا يبقى فيها شبهه ومن فتح له ذلك
الطريق واتضح له اليقين بالسعادة والشقاوه في الاخره
لا بطريق التقليد السمعي بل بطريق البصيره والمشاهده
كما ان الطبيب يعلم شقاوه البدن وهلاكه بالامراض
وسعادته وصحته بعدمها ويعرف ذلك باسبابه من
الحميه والدوا وكثره الاكل وترك الحميه وكذلك يعرف
بمشاهده القلب اعني الروح ماله من السعاده والشقاوه
ودواوه المعرفه والعباده وسمومه القاتله انما هي الجهل
وهذا العلم في غايه الشرف والعزه واكثر العلما في غفله
عنه وربما انكروه فلا يعرفون الجنه والنار الا ما يختص
بالبدن ولا من الاخره شيئا الا بطريق التقليد والسماع
وسنذكر في هذا المختصر من هذا ما يطهر باطن الغبي
من لوث التعصب والهوي ودنس التقليد فاذا نظف
باطنه من ذلك وجد هذا الطريق وثبت في قلبه امر الاخره
بحيث لا يزول عنه فان لكن ايمان الخلق بالاخره ضعيف
في غايه الضعف ○ فصل ان اردت الوقوف

على انه تعرف به حقيقه الموت ومعناه فاعلم ان للادمي
روحين احدهما من جنس روح الحيوانات ونحن نعبر عنه
بالروح الحيواني والثاني من جنس روح الملايكه ونحن نعبر
عنه بالروح الانساني فاما الروح الحيواني فمنبعها القلب
الذي هو قطعه لحم من الجانب الايسر من الصدر وهي مثل
بخار لطيف يرتقي من اخلاط باطن الحيوان وقد حصل له
مزاج معتدل فهي في المثل كالسلجبين الحاصل طعمه من
السكر والخل فان طعمه غير طعم السكر وغير طعم الخل فهكذي
الروح من الطبايع الاربع وهذه الروح من القلب بواسطه
العروق الضوارب بحركه تحرك الدماغ وجميع الاعضا وهذه
الروح حامله للقوه والحركه فاذا انتهت الى الدماغ فتح ارتفا
واعتدلت فتقبل العين منها قوه البصر والاذن قوه السمع
وهكذي جميع الحواس ومثلها كسراج يطوف في بيت
فكل موضع انتهت اليه يضي من ضوها فما ان ضوا السراج
يظهر في الحايط بقدره الله تعالي فهكذي قوه النظر والسمع
وبقيه الحواس تظهر في الاعضا من هذه الروح فاذا حدث
سدد في بعض العروق تعطل العضو الذي وراء ذلك السد

الحادث في ذلك العرق او قلح فلا يبقى فيه حس ولا قوه حركه
ومثل هذه الروح كنار السراج والقلب كالفتيله والغذا
كالدهن وكما انك اذا قطعت الدهن طفيت السراج كذلك
اذا قطعت الغذا بطل المزاج المعتدل لهذه الروح فيموت
الحيوان وهكذي اذا كان الدهن موجودا بكثره فان
الفتيله يهلك وربما طفيت فاسقد وربما لم تقبل الدهن
فكذلك القلب ربما صار غير قابل للغذا مع طول المده وهكذي
اذا الفيت شيا او ضربته على السراج فانها تطفى وان
كان الدهن بحاله والفتيله ايضا فكذلك الحيوان اذا اصابه
جرح عظيم فانه يموت وهذه الروح ما دامت معتدله المزاج
حسب ما هو الشرط فهي قابله للمعاني اللطيفه كقوه
الحس والحركه من انوار الملايكه السماويه باذن الله تعالى
فاذا بطل ذلك المزاج منها بغلبه حراره او برودة او بسبب اخر
صالح للابطال خرجت عن كونها قابله لذلك الاثار فهي كالمراه
ما دامت مجلوه صالحه لما اعدت له كانت قابله للصور من
كل ما له صوره فاذا خشنت استولى عليها الصدي خرجت
عن كونها قابله لذلك لا لان الصور غايبه او معدومه لكن

لفوات

لفوات صلاحيتها لقبول ذلك فهكذي صلاحيه هذا
البخار اللطيف المعتدل المسمى بالروح الحيوانيه اذا انسدت
ابواب اعتدال مزاجها حتى بطل الاعتدال خرجت عن كونها
قابله لقوه الحس والحركه فاذا خرجت عن قبولها لذلك
بقيت الاعضا محرومه لتلك الانوار لفوات قوه الحس والحركه
فيقال مات فهذا معنى الموت الحيواني والذي يخرج من اسباب
هذا المزاج عن الاعتدال مخلوق من المخلوقين خلقه الله تعالى
وهو ملك الموت وكثير من الخلق لا يكادون يعرفون منه
سوى الاسم وذكر معرفه حقيقته يطول ولا يحمله هذا
الكتاب فهذا معنى موت الحيوان امّا موت الادمي فهو على
وجه اخر وهذا لان له روحان حيواني على ما ذكرناه الان
وانساني على ما قدمنا ذكره وعبرنا عنه بالقلب وليس هو من
جنس الروح الاخري لان الروح الحيوانيه مثل هو الطيف
وبخار منضج صافي ناضج امّا هذه الروح الانسانيه فليست
بجسم ولا قابله للقسمه وانما هي منزل لمعرفه الله تعالى
وكما ان الحق سبحانه لا يقبل القسمه وهو واحد فكذلك معرفه
الواحد بدون واحدا ولا تقبل القسمه فاذن لا يحل في جسم

قابل للتشمه وانما يحل في شئ متحد غير قابل للتشمه فاذن
تقدر الفتيله وناء السراج ونورها فالفتيله مثل الدم وناء
السراج مثل الروح الحيوانيه ونور السراج مثل الروح الانسانيه
فما ان نور السراج الطف من ناء السراج وتقول لا يمكن الاشاره
اليه فكذلك الروح الانسانيه لطيفه بالاضافه الى الروح
الحيوانيه ويقال ليست قابله للاشاره اليها فاذا نظرت ولطفت
في تطرك وجدت هذا المثال صحيحا الا من وجه واحد وهو
ان نور السراج تبعا لها وفرعا عليها يبطل ببطلان السراج
وليس الروح الانسانيه تبعا للروح الحيوانيه انما هي اصل
لها فلا تبطل ببطلانها فاذن المثال الذي لا يحوم هو ان
تقدر نورا الطف من نور السراج يكون به قوام السراج لا قوامه
بالسراج فاذن الروح الحيوانيه كالمركب للروح الانسانيه
من وجه وكالاله من وجه فاذا بطلت الحيوانيه مات القالب
والروح الانسانيه تبقى بعالمها لكن اله وبغير مركب وموت بغير
المركوب وهلاك اله الراكب والصانع لا يعدمها لكنهما
يبقيان بغير اله ومركب فان هذه الاله انما جعلت له ليحصل
بها محبته الله تعالى فان كان قد حصل ذلك كان في هلاك

الاله

الاله خيرة له لم يخف عنه حملها ولهذا قال النبي صلى الله عليه
وسلم الموت تحفة المومن فان من حمل الحباله على كتفه
وسعى في طلب صيد فحصله فان هلاك الحباله غنيمه له من
حيث انه يستريح من تعلها وان والعياذ بالله هلك المركوب
وتلفت الاله ولم يحصل المقصود الذي هو محبة الله تعالى
احتقب حسرة عظيمة ومصيبة لا نهايه لها وهو كالصياد
ضاعت حباله قبل مسك الصيد واول هذا الالم والحسره
عذاب القبر اعاذنا الله منه برحمته فصل اعلم ان من
فلجت يده او رجله فانه لم يعدم لكنه باق لانه ليس بيد او رجل
انما اليد والرجل آلة له وهو مستعملها وكما ان حقيقه ليس
قولها اليد والرجل ولا نفسها وكذلك الصلب والبطن وساير
البدن فلو فلج ذلك كله جاز ان يكون الانسان باقيا ومعنى
الموت انه يفلج جميع البدن فان معنى فلج اليد خروجها عن
الطواعيه فان ذلك كان موجودا منها بصفه تسمى القدره
وتلك القدره كانت نورا يصل الى اليد من سراج الروح
الحيوانيه فاذا حدث سدد في العروق التي هي مسالك هذه
الروح بقسط القدره فعدمت الطاعه وكذلك جميع البدن

انما يطيع بواسطة هذه الروح فاذا فسد المزاج فلم يطع سمي
ذلك موتا وانت بحالك في مكانك وان لم تكن الطاعة بحالها
فكيف يكون حقيقتك هذا القالب وتعلم انك لو فكرت في
نفسك لعرفت ان اجزاءك الان ليست تلك الاجزاء التي كانت
في حال الطفولية فان تلك الاجزاء كلها تحللت بالاخرة وجاء
بدل ذلك من الغذاء فاذن ليس هذا القالب ذلك بل غيره
وانت ذاك لا غير فاذن انت انت مع عدم القالب فاذا هلك
فدعه يهلك فانت حي بذاتك اما اوصافك فقسمان احدهما
يكون بمشاركة القالب كالجوع والعطش والنوم وهذا لا
يستقيم بغير جسم ومعده فلا جرم يبطل هذا بالموت الثاني
ما لا شركة للقالب فيه كمعرفة الله تعالى والايمان بذلك
فهذه صفة ذاتك فتبقى معك وهذا معنى قوله تعالى والباقيات
الصالحات خير عند ربك ثوابا فاما اذا كان في قلبك جهل
بالحق سبحانه فان هذه الصفات ايضا تبقى معك وهي عمى
الروح وهو بذر الشقاوة ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة
اعمى واضل سبيلا فاذن لا يعرف حقيقة الموت بحال ما لم
تعرف هاتين الروحين والفرق بينهما وكيفية تعلق احديهما

بالاخرى

فصل اعلم ان الروح الحيوانية من العالم السفلي
وهي مركبة في بخار لطيف من الاخلاط الاربعة وهي الدم والبلغم
والصفرا والسودا واصل هذه الاربعة من الماء والنار والتراب
والهواء واختلاف المزاج واعتداله من تفاوت مقادير الحرارة
والبرودة والرطوبة واليبوسة ولهذا كان المقصود من علم
الطب حفظ اعتدال هذه الطبايع الاربع في هذه الروح
لتصلح بذلك لان تكون مركبا لهذه الروح الانسانية التي هي من
العالم العلوي من جواهر الملايكة فانها غريبة في هذا العالم
السفلي وهبوطها اليه اجنبي عن طبيعة ذاتها فانها انزلت
في دار الغربة لتاخذ من الهدي زادها كما قال الله سبحانه
قلنا اهبطوا منها جميعا فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله تعالى اني خالق بشرا
من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين
اشاره الى اختلاف العالم احال بعضا الى الطين واخبر عن
اعتدال مزاجه بهذه العباره فاضافه الى نفسه وهذا مثل
كما اذا احرقت بحيث تهيات لقبول النار ثم قدمتها فجاءه
الى النار ونفخ حتى علقت بها وكما ان الروح الحيوانية السفلية

لها اعتدال يعرف الطبيب مزاجه ليدفع المرض عنها ويحفظها
من الهلاك فكذلك الروح الانسانيه العلويه التي هي حقيقه
القلب لها اعتدال يحفظ بالرياضه والاخلاق المتلقاه من
جانب الشريعه التي هي سبب صحتها كما سيأتي ذكره في ركان
الاسلام فاذن وضح انه ما لم يعرف حقيقه الارواح لا يمكنه
ان يعرف الاخره بطريق البصيره كما انه لا يمكن معرفه الحق
سبحانه وتعالى ما لم يعرف النفس فاذن معرفه النفس مفتاح
معرفه الحق سبحانه ومفتاح معرفه الآخره انما هو الايمان واصل الدين ؟
بالله واليوم الآخر ولهذا قدمت هذه المعرفه غير انه قد
بقي سر واحد من اوصافه الاصليه لم نذكره لانه لم ترد
الرخصه بذكره من جانب الشرع اذ الافهام لا تكاد تحتمله
وتمام معرفه الحق سبحانه ومعرفه الاخره موقوف على
ذلك السر فاجتهد ان تعرفه من نفسك بطريق المجاهده
والطلب اليه سبحانه فانك لو سمعته من احد لم تطق سماعه
فان كثيرا من الناس سمعوا تلك الصفه لله تعالى فلم
يصدقوا وبادروا الى الانكار وقالوا انه لا يمكن ذلك وهذا
ليس تنزيه بل هو تعطيل فكيف تستطيع انت سماعه في

حق

حق الادمي بل هذه الصفه في حق الله تعالى ليست كصريحه
في القرآن ولا في الاخبار ولهذا المعنى وهو انكار الخلق لها
اذا سمعوها وقد امر الانبيا ان يكلموا الناس على قدر
عقولهم وقد نقل انه اوحى الله تعالى الى بعض الانبيا ما لا
يفهمه الخلق من صفاتنا فلا تخبرهم به فانهم يكذبونك
في ذلك فيضرهم انكارهم ٥ فصل قد وضح من هذه
الجمله المقدم ذكرها ان روح الادمي قايمه بذاتها
من غير قالب وهي بتمام ذاتها وصفاتها الخاصه مستغنيه
عن القالب وليس معنى الموت عدمها انما معناه انقطاع
تصرفها في القالب ومعنى البعث والحشر والاعاده ليست
ايجادها بعد الاعدام انما هو انها تعطى قالبا على معنى انه
يجعل قالبا متهيئا للقبول تصرف هذه الروح الانسانيه نوبه
اخرى كما في الابتدا وهذه النوبه اهون فان النوبه الاولى
اريد خلق القالب والروح وفي هذه النوبه الروح موجوده
بحالها اعني الروح الانسانيه واجزا قالبها موجوده وان
كانت متفرقه وجمع ذلك اسهل واهون من اختراعه هذا
من حيث نظرنا وفعلنا وما نعهده من تهيئتنا في افعالنا

ومن جهة الحقيقة لا طريق لصفة الانسانية الى الفعل فانه
اذا لم يكن ثم صعوبة فلا يقال سهوله لانه انما يقال اهون
واسهل لمن كانت تناله مشقة في بعض احواله والباري
سبحانه وتعالى مقدس عن ذلك وانما ذكرنا ذلك تقريبا
على الافهام فاضطررنا الى العباره بلفظ اسهل واهون
وان كان القران قد جا بها في قوله تعالى وهو اهون عليه
تقريبا ايضا الى افهام الخلق فكذلك ما يعتبر به من الالفاظ
فاذن ليس شرط الاعاده ان يرد اليه ذلك القالب
الذي كان له فان القالب مركب والمركب اذا تغير الى
بدل فالراكب هو ذاك لا متغير وقد بدل من حال الصغر
الى الكبر اجزاوه بالاجزا الغذائيه وهو ذاك لم يتبدل
ومن اشترط عود ذلك القالب فانه يلزمهم اشكالان ٥
يحتاجون الى تعسف في الاجابه مثل ان يقال لهم اذا اكل
الآدمي ادميا بحيث انهضمت اجزا الماكول حتى صارت
اجزا للاكل فانها يعاد ويقال ايضا ان الانسان مخلوق
من نطفه فانها تعاد النطفه الى ظهر صاحبها ام الحيوان
المخلوق منها ويقال ان الآدمي مخلوق من نطفة وتلك النطفه

من

من دم والدم من غذا ولحم حيوان فان اعيد احد هذه
الاشيا بطل اعاده الباقي منها وايضا فانه يقال لو سرق
نصابا فقطعت يده ثم فعل الخير واثيب في الاخره افيلون
مقطوع اليد في الجنه ام تعاد اليه يده التي قطعت بالحق
على الجريمه ولم يعمل معه فعل الخير فيقع التخبط في الاجابه
عن ذلك ويحتاج الى تكلف وتعسف في الاجابه ولا جله
تدعوا الى ذلك كله فان هذه الاشكالات انما تعرض
من حيث يظن ان حقيقه الانسان انما هو القالب وانك
قالبك فاذا لم يرد القالب لم ترد انت وكان المردود غيرك
وهذا في غايه الاختلال وقد بينا انك موجود وان عدم
هذا القالب وان قوامه بك ليس به فيجوز ان يوجد مع
عدمه والاعاده لك لا تعلق بالقالب الا صلا انما تعلق
بك وهو قادر على رجعك الى اي قالب شاء لك فالبك
الاول او قالب غيره يوجده لك من اجزايك وهذا القول
ذكره الامام ابو حامد قدس الله روحه في كتابه
المترجم بعنوان كيميا السعاده وذهب اليه جماعه من
اكابر الائمه وهو ثابت بالبرهان غير منافٍ للشرع وان خالف

فيه قوم من اهل التقليد فصل هذا الكلام يوهم
للجاهل ما ليس مقصودا حيث يشنع ويقول هذا المصنف
يعتقد ان الله تعالى لا يحشر الاجسام انما يحشر الارواح
وذلك مذهب الفلاسفة وهو المشكل لا يعرف حد الجسم
اولا فيعرف استحالة ذلك ام لا فلا بد من بيان بدء من
ذلك ووجهه ان الجسم عبارة عن مولف من جوهرين فصاعدا
والتاليف هو العرض فاذا بطل التاليف زال اسم الجسمية
عنه وبقي اسم الجوهر به فالتاليف بين الجوهرين ثانيه
صار جسما فهو ذلك الجسم باعتبار اصله وهو الجوهر ان
فعلى هذا صح القول بحشر الاجسام وان نظرت الى اسم
الجسم من حيث ثبوته للجوهرين بالتاليف لم يجز ان يقول
هذا الجسم ذلك الجسم بل نقول مثله فعلى هذا يكون غير
ذلك الجسم لان التاليف غير التاليف الاول وهذا كقدح
زجاج كسر ثم عمل من مكسوره قدح كالقدح السابق فهو
من حيث النظر الى انه متخذ من ذلك الزجاج ذلك القدح
وبالنظر الى كون التاليف غير الاول يكون مثل ذلك القدح
لا نفسه فعلى احد القولين يستحيل حشر الاجسام الفانية

وعلى

القول الآخر لا يستحيل ومن انصف عرف صحة ذلك
والله اعلم ٥ فصل عساك تقول مذهب الفقهاء
والمتكلمين المشهورين ان روح الادمي تعدم بالموت
ثم تود الى الوجود وهذا مخالف لما ذكرت فاعلم ان من تتبع
كلام الاعيار عمي عن الحق ومن يقول هذا فليس من اهل
التقليد ولا من اهل البصيرة لعلم ان الموت لا يعدم قالب
حقيقة الادمي وان تفرق اجتماعه ولو كان من اهل التقليد
لعرف من القران والاخبار ان روح الادمي تبقى بعد الموت
فان الارواح بعد الموت على قسمين ارواح الاشقياء
وارواح السعداء اما ارواح السعداء فالقران يقول ولا
تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم
يرزقون واما ارواح الاشقياء فان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان يقف على كفار قريش الذين قتلهم
المسلمون يوم بدر وينادي واحدا واحدا من القتلى فيقول
يا فلان ابن فلان قد وجدت ما وعدني ربي حقا من
النصر على الاعداء فهل وجدتم ما وعدكم ربكم من العقوبة بعد
الموت حقا ام لا فقيل له يا رسول الله هؤلاء موتى فكيف

تعلمهم فقال عليه السلم والذي نفسي بيده انهم لاسمع لهذا
لهذا القول لانهم يعجزون عن رد الجواب ومن تفحص الاخبار
الوارده في حق الموتى واحساسهم باهل العالم والزايرين
وما يجري في هذا العالم علم قطعا ان عدمهم لم يرد في الشرع
وانما جاء فيه ان صفتهم تتغير ومنزلهم يتبدل وان القبر
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم روضه من رياض الجنة او
حفره من حفر النار فاذن بان بما ذكرنا ان الموت لا يبطل
شيئا من ذاتك وخواص صفاتك وانما يبطل الحواس والحركات
والتخيلات التي هي بواسطة الدماغ وتبقى انت فردا
مجردا كما مضيت من هاهنا فليس اذا مات الفرس وكان
الفارس مثلا اعمى يكون يموت الفرس فقيها او كان اعمى
يصير يموتها بصيرا وانما يبقى راجلا والقالب هو كالمركوب
او كالفرس وانت كالفارس ولهذا السبب من غاب عن نفسه
وعن المحسوسات وغاص في ذاته مستغرقا بذكر الحق تعالى
كما في بداية التصوف صارت احواله الاخره مشاهده
بالذوق وان كانت الروح الحيوانيه لم تنحرف عن اعتدال الى
المزاج غير انه اذا ظهر فيه نوع خوف وحذر بحيث لا يشغله

طريقه

شيء عن حقيقة ذاته فانه يكون اقرب الى حال الميت من سقوط
احساسه بغيره فحينئذ ما ينكشف للاغيار بعد الموت
ينكشف لهذا قبل الموت في هذه الحال فاذا حضر في ملك الغيب
بعالم المحسوسات امكن ان يبقى على ذكره من ذلك شيء ويمكن ان
لا يبقى ولكن لا بد من بقاء اثر ذلك عليه فان كان قد عرض عليه الجنه
بقي معه اثر الفرح والنشاط والروح والراحه وان كان قد عرض
عليه النار بقي معه انكسار وتكسر وهم وثقل وان كان قد بقي
شيء من ذلك على ذكره اخبر به وحدث عنه ان كانت خزانه
الخيال قد حاكت ذلك الشيء بمثال فيمكن ان يكون هذا المثال
قد بقي في حفظه اجود من ذلك فيخبر عنه كما روي ان النبي صلى
الله عليه وسلم مد يده في الصلوه فلما فرغ سئل عن ذلك فقال
عرض علي من الجنه عنقود من العنب فاردت ان اتي به الى هذه
الدنيا فلا تظن ان حقيقة ذلك كان يمكن الاتيان به الى
هذه الدنيا فان ذلك محال غير ممكن ولو كان ممكن الجاء به
وحقيقة استحاله ذلك يطول شرحه ويخرج الكتاب عن
المقصود وليس لك طلب ذلك وهكذي يكون تفاوت العلما
فمنهم من يشغل كليته ليعلم هذا العنقود من الجنه اي شيء

كان ولاي شيء يراه النبي صلى الله عليه وسلم دون من كان حوله
ومنهم من يلون حظه من ذلك ان يقول رسول الله صلى الله
عليه وسلم حرك يده في الصلوه وهذا يدل على ان الفعل القليل
في الصلوه لا يبطلها و تطويل النظر في تفصيل ذلك معتقدا
ان هذا علم الاولين والاخرين لا عيب ومن اشتغل بذلك
الا خر كان معطلا وعن علم الشرع معرضا والمقصود هو
ان لا نظن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر عن الجنه
بطريق التقليد والسماع من جبريل عليه السلام على الوجه
الذي تعرفه انت في السماع فان ذلك المعنى الذي تعرفه
انت لا يصلح لمعرفه غيرها من الامور فهو صلى الله عليه وسلم
راي الجنه ولا يمكن دويه حقيقتها في هذا العالم وانما غاب
صلى الله عليه وسلم عن هذا العالم وخصص بذلك العالم فراي
ما راي وهذا نوع من المعراج الذي خص به لكن الغيبه تكون
على وجهين احدهما بموت الروح الحيواني والثاني
بحدر الروح الحيواني اما في هذا العالم فلا يمكن دويه
الجنه وكما لا تدخل السموات السبع والارضون السبع
في قشر فستقه فكذلك لا تدخل الجنه في هذا العالم

بل ذره واحده من الجنه لا يدخل في هذا العالم بل كما ان حاسه
السمع معزوله عن ادراك صوره السموات والارض وظهورها
فيها كما في حاسه العين وكذلك جميع حواس هذه الدنيا معزوله
عن جميع ادراك الجنه وحواس تلك الاخره حواس اخر

فصل في عذاب القبر اعلم ان عذاب القبر ينقسم
الى قسمين جسماني وروحاني اما الجسماني فيعرفه كل احد
والروحاني لا يعرفه الا من عرف نفسه وعلم روحه انها
قايمه بنفسها مستغنيه عن القالب في قوام ذاتها باقيه
بعد الموت ولكن ليس لها يد ورجل وعين واذن وسمع
وقد سلبها الموت جمله الحواس ولهذا لما سلبها الموت
جمله الحواس سلبها لذه الاهل والولد والمال والضياع
والعبيد والخدم والدواب والحشم والاصدقا والقرابات
والارض والسما وكلما كان مدركا بالحواس وان كانت
هذه الاشيا معشوقه له وجمله شغلت مشغوله بها
بقي بعد الموت في الم عذاب فراقها ضروره فلا يجد مخلصا
من ذلك وان كان فارغا من ذلك كله غير متعلق القلب به
فهو بعد الموت فارغ منها ايضا اذا لم يكن له معشوق فهو

مشتهي للموت في تلك الحال وبالموت قد وصل الى الراحة
وان كان يحب الله تعالى اذ ذاك انسا بذكره مشغوف
الجملة منغمسا في انسباب الدنيا فاذا مات وصل الى معشوقه
وقد زالت الرحمة من البين وما كان سبب للتعصب والتشويش
وانتهى الى سعادته فتفكر الان هل يمكن ان تعرف احد
نفسه وانه باق لا يفنى ويعلم ان جميع مراداته ومحبوباته
في الدنيا وهو يريد ان ينتقل الى الاخرة فاذا عرف ذلك
هل يمكن ان يشك وفي انه اذا ذهب من الدنيا وخلف
محبوباته فيها انه يبقى في الم عذاب فراق محبوباته وصعوبة
فقد ما لو فاته كما قال النبي صلى الله عليه وسلم احبب
من احببت فانك مفارقه واذا عرف ان محبوب الكل هو الله
تعالى فابغض الدنيا وما فيها واتخذهم اعداء الا قدر زاده
منها وانه لا يشك انه اذا ذهب من الدنيا خرج عنها انه
يكون في راحة فمن عرف هذا لم يشك في عذاب القبر انه
حق لارباب الدنيا ومن شغل كليته بها الا المتقين المتجافين
عنها وبهذا المعنى البسير يعلم ان الدنيا سجن المومن
وجنة الكافر فصل اذا كنت قد عرفت ان

اصل عذاب القبر حب الدنيا فاعلم ان عذابه متفاوت لبعضهم
اكثر من بعض بقدر الميل اليها وبلوغ شهواتها فاذن عذاب
من لم يكن له في الدنيا ما يعلق به قلبه الا شيء واحد لا يكون
كعذاب من علق قلبه بما له من الدنيا من الضياع والاسباب
والعبيد والحشم والخيل والنعم والثياب والنعم والالات
والمجملات بل لو اخبر في الدنيا بموت دابه واحد لكان الم
قلبه اقل من الم قلب من اخبر بموت عشرة دواب مثلا
ومن اخذ جميع ماله كان الم قلبه اكثر مما لو اخذ بعضه واقل
مما لو تلف المال والولد والاهل او عرك من ولايته
والموت فيه كل هذا فانه يسلب المال والولد والزوجة
والاهل وكل ما في الدنيا ويحول بينه وبينه ويغادره فردا
وحيدا فاذن عقوبة كل احد على قدر جوعه وعطشه في
الدنيا ومن ساعدته اسباب دنياه من كل وجه وصرف
كليته الى الاشتغال بها كما قال الله تعالى اذهبتم طيباتكم في
حيوتكم الدنيا فلا شك في ان عذابه في الاخرة اشد كما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبر عن ذلك بقوله
اتدرون في اي معنى نزلت هذه الاية فان له معيشة ضنكا

الآية

ويحشره يوم القيمة اعمى فقالوا الله ورسوله اعلم فقال هو
عذاب الكافر الذي يسلط عليه حيات لكل حية تسعة ارس
تنهشه بكل فم وتقطع لحمه الى يوم الحشر ويقذف السم في
بدنه وقد راى اهل البصاير هذه الافاعي بعين المشاهده
والحمقى يقولون نحن قد اطلعنا في قبور كثيره فلم نر فيها شيا
من ذلك مع صحه اعيننا ولو كان هناك شي لرايناه فليعلم
هولا الحمقى ان هذه الافاعي ليست خارجه عن ذات الميت
انما هي في ذات روحه لا خارجه عن باطن ذاته فيراها احد
وهذه الافاعي كانت قبل الموت في باطنه وهو غافل لا يعلم
ان هذه الافاعي مركبه من صفات نفسه وعدد رووسها بعدد
شعب اخلاقه المذمومه واصل طينه هذه الافاعي انما هو حب
الدنيا ثم تشعب منه حينيذ اشيا كالحسد والحقد والريا
والكبر والشره والمكر والخداع والعداوه وحب الثنا
والحشمه وغير ذلك ويمكن معرفه اصل هذه الافاعي وكثره
رووسها بنور البصيره فان لها على قدر الاخلاق المذمومه
كثره وقله ولسنا نقدر على عدها الا انا لا نعلمها لتفاوت
احوال الناس والعجز عن معرفته باحوال الخلق فان الواحد

ربما عجز عن الاحاطه بحال نفسه فكيف باحوال غيره فاذن
هذه الافاعي ممكنه في ارواح الكفار ومشتوره للاجل
جهله بالله ورسوله لكن اشتغال كليته بالدنيا كما قال الله جل
جلاله ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة فلا يخفف عنهم
العذاب الآيه ولو كانت هذه الافاعي خارجه عنه لعلموا لكنها
ممكنه في وسط روحه فانها من عين صفاته فكيف يهرب
عنها ومثاله رجل باع جاريه له وهو يعشقها فاذا فارقها
كثر المه وكذلك في المحبه والعشق الذي يحس بعد الفرقه
بلسعها هي التي كانت في قلبه مستتره الالم بالاجتماع وهو
لا يشعر بالالم حتى زال الشاغل وهو الاجتماع فاحس بالم
اللسع فلذلك هذه الافاعي كانت في باطنه قبل الموت
وهو لا يشعر فلما مات احس بالم لسعها فما ان عشق
الجاريه صار سبب الالم عند الفراق اذ لولم يكن العشق
لم يتالم عند الفراق اذ لولم يكن العشق لم يتالم عند الفراق
فذلك حب الدنيا وعشقها الذي هو سبب راحته يصير
سببا لعذابه وعشق الدار والعقار والمال هي العقرب
التي جاءها الاثر وقس على هذه القاعده ما اشبهه وكما

ان عاشق الجاريه يرد لو انه القي في النار او المآ مثلا ولم يتسلل
بفراقها او تلسبه العقرب لعلمها ان تشغله بالم لسبها
عن الالم الذي يناله بفراق الجاريه فكذلك من يعذب في
القبر يود ان تلك العقارب والحيات التي تعذب بها في القبر
عن كل واحد بعشره من حيات الدنيا وعقاربها فان الم ما في
الدنيا انما يختص بالبدن فيصل الالم منه الى القلب وفي
القبر والاخره انما تلسع في وسط الروح وما اصاب د
الباطن يكون اعظم المآ مما يصيب الظاهر فهي تعمل في الباطن
فلا يشاهد بالاعين الظاهره فاذن كل يجل عذابه حقيقه
من الدنيا وهو لا يشعر ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم
انما هي اعمالكم ترد اليكم يعني ان هذه العقوبه منكم توضع
عليكم ولهذا قال الله تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين لترون
الجحيم ثم لترونها عين فلو كان لكم علم اليقين لرايتم جهنم ولهذا
قال الله تعالى وان جهنم لمحيطه بالكافرين ولم يقل ستحيط
بهم في ثاني الحال فصل عساك تقول انه قد علم
من ظاهر الشرع انه يرى الافاعي بعين الراس والافاعي
التي ذكرت انها تكون في الروح تكون في هذا العالم ام تشاهد

وترى في

بدل من ص

اليقين ص

بعين ظاهره فانه لو راى بدلك لراه غيره ممن كان معه ايضا فعين ١٥٥
كل واحد ممن كان معه صحيحه كما كانت عين رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولم يكن هناك خلل في عين احد منهم ولما لم يروها علم
انه عليه السلم انما راها لا بعين راسه وايضا فان عين الظاهر
يحجبها الجدار والستر ولا يقدر احد يرى ما في القبر وهو معذب
يعذب فيه فاذن يجب ان تعلم ان ما راه النبي صلى الله عليه وسلم
واخبر به صحيح لا شك فيه ولا شبهه لكن لم يره بعين الظاهر
وقد اطنب في هذا الامر جماعه من الحمقى والجهال ينكرون
عذاب القبر من اجل انهم رجاعين يقبر مكشوف او يمر
المحوس فان قبورهم بلون انا جا يشاهد ما فيها فاذا لم يروا فيها
حيات وعقارب ظنوا ان ما ذكرنا باطل وان عذاب القبر
ليس بحق وانما يصدر منهم الانكار بذلك لجهلهم بامور الاخره
وطرقها والله اعلم فصل لعلك تقول ان
عذاب القبر من نحو علاقة القلب بهذا العالم فليس احد يخلوا
من هذا فان كلا يحب الاكل والمال والجاه فاذا يعذب
الكل في القبور ولا ينجوا احد من ذلك فاعلم انه ليس الامر كذلك
فان جماعه قد شبعوا من الدنيا فلم يبق لهم فيها راجه ولا ترهه

فيتمنون الموت ويشتهونه وكذلك العقلاء من المسلمين وقد جا
في اخبار كثيرة ان النبي صلى الله عليه وسلم تمنى الموت في
اخر العهد والعمر وفي حديث عايشة رضي الله عنها ان
اخر كلمة قالها النبي صلى الله عليه وسلم اللهم في الرفيق الاعلا
وكنت سمعت ان الانبيا لا يموتون حتى يختاروا الموت فلما
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك علمت انه
قد اختار الموت اما من كان عنينا فهو على قسمين احدهما قوم
يحبون الله تعالى ويحبون الدنيا فهم ولاء يعذبون ومثلهم
كمثل رجل له دار وبلد يحبهما ولكن يحب الرياسة والسلطنة
والامر والنهي فاذا جاءه منشور السلطان برياسة بلدة اخرى
لم يصله مشقة في مفارقة داره ووطنه لان ذلك حقير
في جنب ما ناله من الرياسة والسلطنة والامر والنهي الذي
يحبه حتى بقي داره ووطنه كالمعدوم في حقه بالاضافة
الى ما وليه فهولاء تلتفت قلوبهم الى الولد والوطن وما كان لهم
ولكن اذا الذهم لذة المحبة لله والانس بذكره واستحكم ذلك
صار التفاتهم نحو ما كان لهم كالمعدوم في حقهم وهذه اللذة
تظهر بالموت فيامنون عذاب القبر اما قوم يحبون شهوات

الدنيا

الدنيا فلا يخلصون من هذا العذاب وهم الاكثر ولهذا قال الله
تعالى وان منكم الا واردها فهم لا يلقون العذاب مدة
واذا طال عهدهم من الدنيا نسوا الذنب لا سيما وفي قلوبهم
اصل محبة الله تعالى فيبتدي بالظهور ومثل هولاء
كرجل له داران يحب احدهما اكثر من الاخرى او بلدان
يحب احدهما اكثر من الاخر فاذا بعد عن التي يحبها اكثر من
الاخرى بقي مدة في الم فراق التي ابعد منها ثم ينساها بعد
طول المدة ويميل الى الاخرى بطبيعته ويظهر على طول الايام
اثر تلك المحبة الناقصة لهذه التي خلى بينه وبينها فاما
من لا يحب الله تعالى فهو يبقى في ذلك العذاب فان محبته
كانت لمن سلبه وحيل بينه وبينه فماذا يتسلى ويخلص من
ذلك العذاب وهذا احد الاسباب المخلدة في العذاب
واعلم ان كل احد يدعي محبة الله تعالى وانه يحب الله اكثر
من الدنيا فاعتبر ذلك فان له محكا ومعيارا يعرف به
وهو انه اذا امرته نفسه او شهوته بشيء وامر الشرع بخلافه
فليتطرف ان رأى قلبه يميل الى ما امر الله تعالى به واكثر علم
انه يحب الله تعالى اكثر كما اذا احب شخصين لحدهما اكثر

من الاخر فاختلفا فانه يكون في جانب من حبه اكثر وبهذا
تعرفه نفسه انه اكثر فاذا لم يكن كذلك فان قوله بلسانه
انا احب الله اكثر لا ينفع لانه كذب ولهذا قال النبي صلى
الله عليه وسلم لا تزال كلمه لا اله الا الله تحمي قائلها من
عذاب الله ما لم يختر صفقة الدنيا على صفقة الاخرة
فاذا اختارها على صفقة الاخره بقول الله كذبت ان
قول لا اله الا الله مع هذه المعامله كذب فاذا عرفت
من هذه الجمله ان صاحب البصيره يرى بمشاهدة الباطن
ان عذاب القبر حق ولكن يتفاوت في المده والشده تفاوتا
كثيرا فصل لعل جماعه من المغرورين والحمقى
يقولون ان كان عذاب القبر هذا فيحن امنون منه اذ
ليس بيننا وبين الدنيا علاقه وقد استوى عندنا الوجود
والعدم وهذه دعوى محال فانه ما دامت شهواتهم باقيه
وحاجاتهم داعيه فذلك محال وانما تصح هذه الدعوى
مثلا لمن لو شرق جميع ما يملكه واستقل قبول الخلق له
واحترامهم الى غيره من اقرانه وكل من كان مريدا له صار
عدوا له يذمه ويقدح فيه ولم يوثر كل ذلك في نفسه ولم

يتغير

يحبه

١٥٧

يتغير لاجل ذلك طبعه ويزل عنده منزله المصاب بذلك
غيره لا هو فانه تقبل دعواه والا فلا وربما اعتقد انه
كذلك وهو مغرور ايضا الا اذا اعرض عنه الخلق واصيب
في ماله وجاهه فحينئذ يتبين له انه اهو كذلك ام لا فاذن
يجب ان يبعد المال عنه ويهرب من قبول الناس له
ويجرب نفسه ثم يعتمد على ما يرى من حاله فان كثيرا
من الناس يعتقد ان ليس بينه وبين زوجته او جاريته
علاقه او محبه فاذا طلق الزوجه او باع الجاريه لو ظهرت
نار العشق التي كانت مستكنه في قلبه فاحرقته وربما افضت
به الى الجنون والهلاك فاذن من اراد الخلاص من عذاب
القبر فليقطع علايقه من الدنيا الا ما دعت ضرورته
اليه كالذي يضطر الى بيت الطهاره ويجيبه ضروره لقضا
حاجته ويريد ان يتخلص منه فينبغي ان يكون حرصه على
وصول الطعام الى المعده كحرصه على تفريغها منه فكلاهما
يضطر اليه وكذلك يفعل في جميع اموره فان كان لا يقدر
على تنظيف قلبه من هذه العلايق هكذا فليواظب
على العبادات وذكر الله تعالى ويعود نفسه ابدا توجد

عليه حب الله تعالى وذكره على حب الدنيا بمتابعة الشريعه
وتقديم اوامرها على هوى نفسه فان اطاعته نفسه فى هذا
المعنى فليعتقد ان عذاب القبر يسهل عليه وان لم يلن كذلك
فليوطن نفسه على عذاب القبر وشدته الا ان ينعمده الله
برحمته انه غفور رحيم ن فصل كثير يرد فى
الفاظ المحققين ذكر الروحانى وقل ما جا شرح
معناه اللهم الا ان يكون ذكره الامام حجه الاسلام ابو حامد
الغزالى قدس الله روحه فى بعض تصانيفه التى لم تصلنى
مثله لا يكاد يخل بمثل هذا مع كثره اشتغاله له وانا اشير
الى طرف من ذلك فاقول اعلم انا نريد بالروحانى ما هو الروح
خاصه دون البدن ونار الله الموقده التى تطلع على الافيده
انما يكون هذا وهو استيلا نار على القلب والنار التى تستولى
على الجسم فهى نار جسمانيه فاعلم الان ان جهنم الروحانيه
ثلثه اجناس من النار احدها نار فراق شهوات الدنيا
الثانيه نار الحيا والخجل من الفضايح الثالثه نار الحرمان
من جمال الحضره الصمديه وقطع الرجا وهذه النيران من
الثلثه اجناس شبيه فهى ثلثه اسباب يكون مع الاديمى

من

شهوات

من دار الدنيا وتعلم معناه بمثال يستعار من هذا العالم
فالصنف الاول نار فراق الدنيا وقد تقدم ذكر شبيه عند
تحقيق عذاب القبر وان العشق والاراده جنه للقلب فهو فى جنه
مادام معشوقه وفى نار اذا كان بعيدا عن معشوقه فاذا عاشق
الدنيا فى جنه مادام فى الدنيا فالدنيا جنه الكافر وهو فى
الاخره فى الجحيم حين سلب معشوقه وحيل بينه وبين محبوبه
فاذن الشى الواحد سبب النعيم وسبب الجحيم ولكن بحالين
مختلفين ومثل هذه النار فى الدنيا كسلطان يطيعه اهل
الارض ويتبعون اوامره وهو مع ذلك مشغول بالتفرج فى
المتنزهات والتمتع بالوجوه الحسنه والتنزه فى بساتين
الدنيا ومحاسنها حتى يفجاه عدو فيحول بينه وبين مملكته
ويسلبه ما كان فيه ثم يجعله بحراسه الكلاب ومراعاتها
بين اهله ومن كان فى طاعته ويفترش حرمه ويستخدم
عبيده وجواره كل ذلك بحضرته ويمنح اعداه ذخايره المخزونه
واموالها لمصونه فان ذلك الملك الذى جرى عليه فى نفسه
ومالها واهله وحرمه ومملكته ذلك بنا له من الالم ويحرق
بنيران فراق ما كان له فيضطرم فى قلبه وروحه حتى يتمنى

من وقته في دفعه واحده او تسلط على بدنه انواع العذاب
ولا يرى مالم عليه وجرى في حقه وشتد استعار هذه النار
بحسب ما كانت عليه دولته من الهنا والراحه فاذن كل من كان
تمتعه بالدنيا اكثر وهي مساعده له كما يجب فان عشقه لها يكون
اعظم ونيران فراقها في روحه وقلبه اشد اشتعالا واكثر احراقا
ولا يلزم وجود مثل هذه النار في الدنيا فان الم القلب لا يتمكن من
القلب والروح من اجل ان الحواس واسباب الدنيا تشغل القلب
عن القراغ للاحساس بهذا الالم ويصير كالحجاب له فلا يتمكن فيه
العذاب ولهذا لما شغل سمعه وبصره بشيء آخر خف عليه ما
كان يجده من الالم قبل الشغل فاذا فرغ زاد الالم ولهذا المعين
صاحب المصيبه اذا استيقظ من نومه فانه يجد من الالم اعظم
واشد اثرا في قلبه من الذي كان يجده قبل النوم لان الروح
تكون قد صفت في النوم فقبل معاوده المحسوسات كلما
وصل اليها كان اشد تاثيرا حتى انه لو سمع صوتا حسنا اذا
استيقظ من نومه فانه يلون اكثر اثرا فيه وسبب ذلك ما
ذكرنا وهو صفا القلب عن المحسوسات ولا يتم ذلك في الدنيا
قط فان في حال اليقظه يشاهد الشواغل وفي حال النوم

يشاهد

يشاهد خيال الشواغل المنطبعه في خزانه الخيال وان كان
ايسر من حال اليقظه الا انه شاغل ايضا فاما اذا مات بطلت
الشواغل والخيالات وتجرد وصفا من اثر المحسوسات فيعظم
حينيذ تمكن الراحه والالم فيه ولا تظن ان تلك النار كهذه النار
التي في الدنيا فقد تقل في الخبر انها ضربت في ماء البحر سبعين مره
حتى امكن الانتفاع بها ان صفه النار الثانيه وهي نار الحيا
والتسوير والخجل من الفضايح والفضايح ومثال هذه النار من
الدنيا كرجل حقير خسيس احبته السلطان وقربه واصطفاه
واكرمه وجعله نائبه في مملكته وفوض اليه امر جريمه واهل
بيته فلا يجب عنه شيئا والقى اليه مقاليد امره ومفاتيح خزانه
وعول عليه في جميع امره فاذا نال هذه المنزله اضمر البغي
والطغيان وقابل ايادي به ونعمه بالجحود والكفر وتصرف
في اموالهم على غير الوجه وخانه في اهل بيته وحرمه وافسد
في ذويه وحشمه وهو مع ذلك يظهر الامانه والنصاحه
فلما كان في بعض الايام وهو على تلك الحال من الفساد مع
حرمه راى السلطان يطلع اليه من روزنه في داره فتحقق
ان السلطان يراه في كل يوم وهو يفعل بحرمه ذلك وانما

اخر مقابلته لتعظم جريمته ليوقع به النكال في دفعة واحدة
ويشتاصل شافته ويهلكه في مرة واحدة انما يملي لهم ليزدادوا
اثما فقدر في هذه الحال وانظر الى نار تخيل من هذه الفضيحه
تضطرم في قلبه وروحه وبدنه سالم فهو يتمنى في هذه الحال
ان لو ابتلعته الارض حتى كان لا يرى على هذه الحال فخلص
من هذا الخجل والتشوير والفضيحه فاذن انت في هذا العالم
تعمل في هذا العالم افعالا ظاهرها جميل وباطنها وذاتها قبيح
فاذا كان في القيمه وانكشف لك باطن تلك الافعال وسرها
وروحها وحقيقتها احترقت بنيران الخجل وظهرت فضيحتك
فضيحتك مثلا انت اليوم تغتاب الناس فاذا كان غدا ابصرت
نفسك وقد كنت في الدنيا تاكل لحم اخيك وتظن انك تاكل
لحم الدجاج فاذا نظرت رايته لحم اخيك فانظر كيف يكون خجلك
وفضيحتك واي نار تستعر في روحك واي الم كراهية
تدخل عليك اذا اكلت لحم اخيك حقيقة فان مثل ذلك يدخل
على قلبك من العقوبة في الاخره وهذه حقيقة الغيبه وقد
سمعت هذه الروح عنك وفي غد ينكشف لك ايحب احدكم
ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه فلهذا مر راي في يومه انه ياكل

لحم اخيه ميتا فان تاويله انه يغتاب الناس ولو انك رميت
بالحجاره حايطا فاخبرك انسان ان هذه الحجاره سعدا الحايط
وقع في منزلك وتصيب عين اولادك فتعيمها فدخلت منزلك
فدخلت عين اولادك واعزتك قد عميت من تلك الحجاره فانك
تعلم اي نار تقع في قلبك وكيف تغتم وتهلك غما وهما فاذن
اذا كنت تحسد مسلما في هذه الدنيا رايت نفسك في القيمه
على الصفه فان حقيقه الحسد وروحه انما هو هذا ان تقصد
بالعداوه من لا يضرك ذلك ويضرك ويعود الضرر عليك ويهلك
دينك ويحبط طاعاتك التي هي نور العين في الاخره فتقول الي
ديوان غيرك حتى تبقى بغير طاعات وفي القيمه تنتفع بالطاعات
اكثر مما تنتفع بصحه عين اولادك اليوم فان طاعاتك سبب
نجاتك وسعادتك وليس اولادك بسبب لسعادتك فاذن
في القيمه اذا صارت الصور تبعا للارواح والحقايق وكلما
تري فانه تشاهد في صوره توافق معناه فهناك تظهر الفضيحه
والخجل والتشوير ولكون النوم قريبا الى هذا العالم تكون
الاشيا في النوم تري بصوره موافقه للمعنى كما نقل ان رجلا
جا الى ابن سيرين فقال رايت في منامي كان في يدي خاتما

اختم به فروج النسآ والرجال فانظر كيف اري في منامه
حقيقه معاملته وفعله وروحها وعرض عليه ذلك حتى قال
له ابن سيرين انت رجل تؤذن الصبح في شهر رمضان قبل
الوقت فتمنع الناس من الاكل والشرب والجماع وقت السحر فان
الاذان صوره صوت وذكر في شهر رمضان حقيقه ذلك
حقيقه ذلك وروحه انما هو المنع من الاكل والمباشره
والعجب انك رايت في المنام هذا الانموذج كله من القيمه وانت
في غفله لا تحس بشي وله هذا المعبر جا في الخبر انه اذا كان
يوم القيمه توتى بالدنيا في صوره عجوز شوها قبيح مزاجها
لذي وكذي بحيث من راها فتقول نعوذ بالله من هذه فيقال
لهم هذه الدنيا التي اهلكتم تفوشكم في طلبها فيستولي عليهم الخجل
بحيث يود احدهم لم يخلق وانه حمل الى النار ليخلص من ذلك
الخجل ومثال هذه القصيه ما حكي ان بعض الملوك زوج
ولده فلما كان في الليله التي يدخل بزوجته شرب فلما سكر
خرج وخلا في طلب العروس وقصد الحجره التي هي فيها
فاخطا الطريق وغلط فوقع الى خارج من الدار ومضى على
وجهه حتى بلغ الى دار فيها مصباح قطن انها دار العروس

ارادان
م

وانه قد ظفر بمرسه فلما دخل الدار وجد قوما مطروحين
فنادي فيهم فلم يجبه احد فظنهم نياما ورأى احدهم عليه
ازارا بيضا جديدا فقال في نفسه هذه العروس فجا ونام
في حضنها وجذب عنها الازار فشم منها رايح الطيب فقال
لا شك انها العروس وقد تطيبت فلم يزل يباشرها ويقبلها
ويصله من رطوبتها بحيث تلطخ بها وهو يعتقد انها ترش عليه
ماء الورد وتحسن اليه فلما صحا من سكره نظر فاذا هي متقببه
المجوس واولئك النيام موتى والذي ظنها عروسه امراة
عجوز قبيحه المنظر قريبه العهد بالموت وتلك الروايح
الطيبه رايحه حنوطها المذرور عليها وتلك الرطوبات التي
نالته كانت نجاساتها فلما عاين اعضاءه وجوارحه متلطخه
بالنجاسة وفي فمه مراره من مجاورتها وكراهته فتمنى من فرط
الفضيحه والخجل ان لو هلك ثم فكر في نفسه ان لو راه ابوه
الذي هو ملك البلده وجنوده على تلك الحال ماذا كان
يفعل فبينما هو في هذا الفكر واذا ابوه وجنوده على تلك
الحال ماذا كان يفعل فبينما هو في ذلك واذا قد خرجوا
في طلبه وعاينوه على تلك الحال فود ان لو خسفت به الارض

فابتلعته ولم تسله تلك الفضيحه فاذن اهل الدنيا في الجمه
يرون لذات الدنيا وشهواتها جميعا على هذه الصفه ويبقى
تاثير تلك الملابسات في قلوبهم كاثر النجاسات والمرارات
التي احس بها ابن الملك في حلقه وجوارحه واقبح واعظم فضيحه
وكراهيه لان معاني امور الاخره ليس لها تماثل في الدنيا
بقدرها وانما في الدنيا النموذج قريب نشير ضربنا المثل به
ليستدل به على عظم نار الخجل والتشوير اذا استعرت في
القلب والروح فليس للقلب احساس بذلك ص صفه
النار الثالثه وهي نار الحسره والحرمان واليأس من مشاهده
الحضره الصمديه وفوت درك السعاده وسبب فوت
هذه السعاده انما هو الجهل والعمى المستصحب من الدنيا
الى الاخره بترك تحصيل المعرفه وعدم صفاء القلب بالتعلم
والمجاهده اللذين يريان بهما جمال الحضره الالهيه بعد الموت
كما يرى في المراه المصيصه صور الاشيا فاذا وقع غلاف
الدنيا وسترها عن وجه تلك المراه تري مظلمه من صدا
المعاصي والشهوات فتبقى في العما ومثال هذه النار في
التقدير لرجل كان يسير مع قوم في ظلمه الليل فوصلوا الى

موضع فيه حصا كثير لا يمكنهم رويه لونه فقال رجل من الجماعه
يحمل كل واحد منكم ما يقدر عليه فقد بلغنا ان في هذا
منافع كثيره فحمل الكل بقدر طاقتهم الا ذلك الرجل فانه قال
هذا احمق العاجل يصير الانسان بهيمه يحمل الثقل على ظهره
طمعا ورجا ان ينتفع به وربما لم يكن الامر كما قيل ثم مضى فلم
ياخذ شيئا وهو يضحك على من اخذ وحمل من ذلك ويعدهم
جميعا الاحمق ويستهزي بهم ويقول من له عقل قد ك ص
وفطنه لا يتعب نفسه في شي ليس منه على يقين لعل شيئ
فارغا مستريحا كما فعلت ومن كان جاهلا فهو يحمل نفسه
حمارا يحمل الاثقال طمعا في المحال فلما وصلوا الى الضيا
واستنار الصبح وطلعت الشمس راى كل منهم ما حمل فاذا هو
جواهر ويواقيت قيمه كل قطعه من ذلك مايه الف دينار
فتحسروا حين لم يشتكروا مما حملوا وذلك الرجل يملك من
الغبن الذي ناله حين لم يوافقهم في الاخذ ونيران الحسره
والندم تستعر في قلبه وروحه فيضع الجماعه الاثقال
عن ظهورهم ويملكون بها البلاد ويتوصلون بذلك الى
البلغ الطايله تقلبون فيها كما تشاؤن ويحلون فيها حيث

يريدون وذلك المسكين جايع نايع عريان عطشان يشتعبدونه بخبز بطنه ويكلفونه من الاشغال ما يشوش عليه وكلما طلب ان يعينوه بشيء من نعمهم او يوصلوا اليه واجبه من ذلك ضحكوا عليه وسخروا منه كما جا في القرآن عن المشركين حين يقولون افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله فيقولون لنبي الامر كنتم تستهزؤن بنا وتضحكون منا فنحن اليوم نسخر منكم ونستهزا بكم كما قال تعالى ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم فهذا ديدن الجسمانيه على فوت النعيم والجنه وديدنه الله تعالى د فالجواهر كالطاعات والظلمه كالدنيا والذين لم ينتفعوا الجواهر وقالوا لا نتحمل بحمل الاثقال طمعا في المحال ونجا نعمه في الاستقبال اما يصح واما لا نصح مثال المغرورين بالدنيا والملذين الجاهلين بالاخره نم في النعيم يتحسرون ويندمون ولم لا يتحسرون فاذا كان في الجنه نفرغ على اهل المعرفه والطاعات من النعم والاحسان ما يستغرق جميع الدنيا وما فيها من النعم في مقابله لحظه من تلك اللحظات

ذلك حقره واستصغره لقصور فهمه ولا يدرك معنى عظمته
الجسماني كما قيل لصبي تعلم شيا فانك ان لم تعلم لا تبقى
في ملك ملكك وولايته ويحرم منزلته فلا يعظم هذا
عنده ولم يوثر في قلبه كبير امر فاذا قيل له ان لم تعلم
فانه يعظم عنده هذا ويوثر فيه الاكثر من ذلك
وسببه ان وصول فهمه الى هذا التهديد اقرب واعجل من ذلك
وكما ان ضرب الاستاذ في حق الصبي صحيح وفوت الرياسه في
حقه صحيح اذا لم يتعلم وكذلك النار الجسمانيه حق ونار الحرمان
حق وليس الحرمان من رويه الحضره الصمديه بالاضافه الى النار
الجسمانيه باقل من ضرب الاستاذ في جنب حرمان الرياسه
والولايه ن فصل عساك تقول هذا الشرح والتفصيل
بخلاف ما اوردته العلما في كتبهم وذكروه بالسنتهم فانهم قالوا
لا سبيل الى هذه الامور الا بالنقل والتقليد وليس للبصيره طريق
اليها فاعلم انا ما قلنا ما قلنا عذرهم من قبل وليس فيما ذكرناه
ما يخالف ما ذكروه فان كلما ذكروه في شرح الاخره
صحيح لكنهم لم يخرجوا عن شرح المحسوسات ولم يتجاوزوا شرح
ما علموه فان اكثر الخلق لا يدركون ما ذكرناه فلما كان

جسمانيا لا يعلم صحته الا بتقليد وسماع من صاحب الشريعه
اما هذا النوع الذي ذكرناه في معرفه الحقيقه فهو روح ما ذكروه
ولعلم ذلك وجه من طريق البصيره والمشاهده وانما يصير معلوما
لمن فارق طريقه ولم يقف عند مسقط راسه ومرحله بل يذاب
في السفر في طريق الدين ولست اريد بالسفر ما ذكرته شيئا
يليق ويختص بقالبه فليس لسفر البدن من القدر ما يوجب اليه
صرف عنان الاشتغال بذكره وان كان من جمله المجاهده
فان الكتب المشتمله على ذكر المجاهدات كثيره وانما مقصودي
من ذلك ما يختص بالروح فان الروح التي هي حقيقه الادمي
لها مستقر منه ظهرت وهناك موطنها ولا بد لها من سفر من
هذه الدنيا ولها عده منازل تنزل فيه في سفرها ولكل منزل
عالم يختص به واول منازلها المحسوسات ثم المتخيلات ثم الموهومات
ثم المعقولات وهي المنزل الرابع فما دام في هذا العالم فهو
يشعر بحقيقه نفسه ولا يشعر اذا تعدى هذا المنزل
ولا يعلم اكثر من هذا وهذا العالم يمكن فهمه بمثال وذلك
ان الادمي ما دام في عالم المحسوسات فدرجته كالفراشه
التي تلقي نفسها على السراج فان لها عينا كذلك ولكن ليس لها

جنان وحفظ وهي ابدا يطلب الخروج والهرب من الظلمه
وتطلب روزنه تخرج فيها وتظن السراج هي الروزنه فتضرب
بنفسها على الروزنه في زعمها فاذا احست بالم النار عدلت
فلا يبقى ذلك الالم في حفظها ولا يثبت في خيالها اذ ليس لها خيال
وحفظ فلم تصل الى تلك الدرجه ولهذا المعنى تلقي نفسها على
السراج ثانيه وثالثه الى ان تهلك ولو كان لها خيال وحفظ
ومتخيلات لما عاودت بعد ان تالمت فان بقيه الحيوان اذا
ضربت ثم رات الضارب قد رفع يده ثانيا هربت لبقاء خيال
ذلك الهرب في حفظها فاذن المحسوسات منزل الفراشه وهي اول
منزل القلب واما المنزل الثاني وهو المتخيلات ومادام الادمي
في هذه الدرجه فهو مساوي البهيمه فانه اذا لم يعرف الهرب
من الشي الا بعد ان يتاذى به وينال له ضرر فحينئذ يعرف
انه يهرب منه وكذلك البهيمه لا يعرف الهرب من الشي الا بعد
التاذي به وبما يشبهه فتهرب حينئذ واما المنزل الثالث
فهو الموهومات فاذا انتهى الى هذه الدرجه كان مساويا للحيوان
له قوه متوهمه كالخيل والغنم مثلا فانه قد يهرب مما لم يكن نال له
منه اذى ويعلم انه يوذيه فان شاه لم تر الذيب قط او فرسا

لم يرالسبع فانه مبنى راى شيئا من ذلك هرب منه وان لم يكن
راه قط ويعلم انه عدو له وان كان لا يهرب من البقر والفيل
والحمل مع ان ذلك اعظم خلقه وقد ظهر انه جعل في باطنه
ما يبصر به عدوه ومع هذا فانه لا يقدر على الحذر مما يكون غدا
فان ذلك منزل المعقولات وهو المنزل الرابع الذي يصله الادمي
فيخرج عند وصوله عن حد البهايم فيكون الى اخر المنزل
الثالث مع البهايم وفي اول منزل الرابع يكون بالحقيقه قد
وصل الى اول منازل عالم الانسانيه فيرى اشياء لا سبيل للحس
والتخيل والوهم اليها فيحذر من الامور التي يكون في المستقبل
ويدرك حقيقه كل شيء شمله اسم الصور ويعرف روحه
ومعناه والاشيا التي يكون في عالم المحسوسات يكون متناهيه
فان ما كان محسوسا لا يكون الا في الاجسام والاجسام لا يكون
الا متناهيه فتردد القلب وسيره في عالم المحسوسات
كالمشي على الارض يراه كل احد وسيره في العالم الرابع
الذي هو في منزل المعقولات سير في بحر ارواح الامور
وحقايقها فهو كالمشي على الماء بالاضافه الى المشي على الارض
وسيره وتردده في الموهومات كالكون في السفينه فان درجه

بين

بين الماء والتراب وله درجه وسير في مقام المعقولات الذي
هو مقام الانبيا والاوليا واهل التصوف ومثله كالمضي
في الهوا ولهذا قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ان النصارى زعموا
ان عيسى عليه السلم يمشي على الماء فقال عليه السلم صدقوا
ولو ازداد يقينا لمشى في الهوا فتنازل شفقه قلب الادمي في
ادراكات يكون علما ومثاله اخرا وهو نيل درجه الملايكه
فاذا يكون منازل معراج الادمي من اخر درجات البهايم
الى اعلا الملايكه وفعله التسبب والارتفاع فهو في خطر الهلاك
اما ان يزل قدمه فينزل الى اسفل السافلين واما
ان تثبت قدمه وتقوى فيصل الى اعلا عليين وقد جات
العباره عن هذا الخطر انا عرضنا الامانه على السموات
والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها
الانسان فلما كان جمادا فان درجته لا تتغير ويكون
قليل الخير والخطر والقدر والملايكه في اعلا عليين ليس لهم
من درجاتهم طريق فان درجه كل واحد منهم وقف عليه
كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله وما منا الا له مقام معلوم
والبهايم اسفل السافلين وليس لهم طريق الى الترقي والادمي

ويكون صح

درجات صح

بين الحالين في موضع الخطر فمن الممكن ان يرتقي الى درجة
الملايكة ومن الممكن ان ينزل الى درجة البهايم ومعنى
تحمل الامانة هو تقليد عهدة الخطر فاذن ليس من الممكن
ان يحمل الامانة غير الادمي والمقصود من هذا هو الجواب عن
قولك ان العلما ما قالوا كما قلت لعلم ان هذا ليس بعجيب فان
المسافر مخالف للمقيم ابدا في حاله فاكثر الخلق مقيمون على ما هم
عليه والمسافر نادر ومن جعل موطنه مستقره من المحسوسات
والمتخيلات التي هي منزل سيره لا ينكشف له قط حقايق الامور
وارواحها ولا يصير روحانيا ولا يعرف احكام الروحانيات
فلهذا لم يجد شرح هذا في الكتب اللهم الا في كتب
حجة الاسلام ابي حامد قدس الله روحه فتقتصر الآن
على هذا القدر من شرح معرفة الآخرة فان الافهام
لا تكاد تحتمل اكثر من هذا بل ربما يحمله ايضا فصل
جماعة من البله يتحيرون في امر الآخرة من اجل انه ليس
لاحدهم قوة بصيرة يعرف بها الامور وحقايقها ولا يجد
توقيفا فيقبل من الشرع ما جاء به فلاجرم تستولي عليها الشك
فان الشهوة اذا غلبت اراهم موافقة طبعهم انكار الآخرة

فيظهر

فيظهر الانكار في باطنهم حتى يظنوا ان كلما جاء ورد
في الجنة ونعيمها انما هو تقرير وتمويه فيتبعون الشهوات
لاجل ذلك ويحرمون عن تربية الشرع واتباعه وسيتحمقون
من يقول بالشرايع ويزعمون انه مغرور ومخدوع وهو لا
الحمقى ليس لهم قوة يعلمون بها مثل هذه الاسرار ويحيرون
عنها فاذن ينبغي ان يدعا احدهم الى التامل في كله ظاهره
وشي ظاهر وتقابل له انت وان كان غالب ظنك ان ما به
واربعة وعشرين الف نبي وجميع العلما والحكما والاولياء
غلطوا وهم مغرورون وانت مع جهلك عرفت ان هذا محال
فانه يمكن ان يكون انت الخاطي الغالط المغرور حين لم تعرفه
حقيقته الاخرة فان كنت لا تستجير غلطك وانك اخطات
واعتقدت انك تعرف حقيقته كونه محالا كما تعرف ان الاثنين
اكثر من الواحد وتدعي انك تتيقن انه ليس للروح حقيقة
ولا بقاء بعد الموت ليس روحاني ولا جسماني فقد ظهر
منك فساد المزاج فتدارك نفسك بالعلاج فقد وقع
الاياس من فلاحك وانقطع الرجاء من صلاحك ودخلت في
زمرة من قيل لهم وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا

اذا ابدا وان قلت اني لا اعلم بطلان ذلك وكونه محالا لضرورة
ويقينا انما يغلب على ظني كون ذلك محالا فكيف احبس نفسي
بظن ضعيف واجعلها طول عمري في حجر التقوي واحرمها
جميع اللذات فاعلم انك اذا عرفت ان ذلك يستحيل عندك
ظنا لا قطعا ولا بطريق الضرورة فالظن قد يخطي وقد
يصيب فيلزمك اذا اقررت بان ذلك لا يستحيل قطعا
انما يستحيل ظنا فيجب عليك بحكم العقل ان تسلك طريق
الشرع فان الخطر العظيم يجب الاحتراز عنه بالظن
الضعيف وبالوهم فان ذلك كان صحيحا يوهم وقوعه
يقع الاحتراز عنه وان كان توهم وقوعه باطلا لم يضر التحرز
عنه الا ترى انك لو قصدت طعاما لتاكله فقال لك
واحد ان حية قد وضعت فاها في الطعام فانه من حيث
العقل يجب عليك ان تكف يدك عن ذلك الطعام وان
كان الظن يحصل بانه كاذب في خبره او صادق فانه يحتمل
ان يكون كذبه لتمتنع من اكله فينفرد به ويمكن ان يكون
صدق الا انه لما جاز فيه الصدق امكن صحته فانك تقول
في نفسك ان لم اكله حصل الم الجوع وذلك سهل تحمله الى

وقت

وقت وان اكلته امكن ان يكون المخبر صادقا فاهلك فالاعراض
عن اكله اولي فتتركه وهكذي لو مرضت فجاك من يكتب التعاويذ
وقال اعطني درهما لاكتب لك تعويذا في قرطاس اذا علقته
عليك تبرا وتصلح من مرضك فانت وان كان ظنك ان لا
مناسبة بين نقش في قرطاس وبين الصحة لكنك تقول يمكن
ان يكون صادقا فابرا ويمكن ان يكذب فيذهب الدرهم
فان حصل ما هو المقصود الذي لا يعدله الوف الوف الوف
من الدراهم وهو الصحة وان كذب ذهب درهم وذلك سهل
فيعطيه الدرهم وتاخذ التعويذ وكذلك لو قال لك منجم
اذا بلغ القمر الي الموضع الفلاني واتصل بالكوكب الفلاني
فاشرب الدواء المر الكريه حتى تبرا وتصلح من مرضك فانك
تحمل المشقة في شرب ذلك الدواء اعتمادا علي قوله من اجل
انه يمكن ان يصدق فيبرا ويمكن ان يكذب فيسهل الصبر
علي كراهة الدواء ومرارته فاذن لا يكون قول مائة واربعة
وعشرين الف نبي واتفاق جميع اكابر العلماء والحكماء اقل من
قول منجم او كاتب تعويذ او طبيب فانك تضع علي نفسك
بتوهمها ولا مشقة وصعوبة رجاء ان تخلص مما هو اصعب

ان يسلوك طريق الاحتياط والحذر والاحتراز من هذا الخطر
واجب متعين وان كان بنا له مع الاحتياط والاحتراز مشقه
وصعوبه او كان الخطر موهوما او مظنونا غير متيقن فان
الخلق في الدنيا يحملون المشاق في الاسفار والتجارات ويتاسون
الشدايد والاهوال طمعا منهم وتوهما للربح والفايده فانك اذا
لم تقطع بصحه امر الاخره فلا شك انك تتوهم ذلك او تظنه
ظنا ضعيفا فان كان لك شفقه على نفسك فيجب عليك احتمال
هذه المشقه القليله الحقيره المتلاشيه بالاضافه الى ما
اعد الله للمخالفين اوامر الشرع من العذاب المقيم
وما يفجعون به من النعيم ولهذا روي ان امير
المومنين عليا كرم الله وجهه ناظر بعض الملحده
فقال ان كان الامر كما تزعم فقد خلصنا
وان كان الامر على ما اقول قد خلصنا وبقيت في
عذاب الابد وقعت في الهلاك وهذا الكلام من امير
المومنين علي عليه السلم انما كان على قدر المخاطب به
لا انه كان شاكا في اعتقاده لكنه علم رضي الله عنه ان
فهم ذلك الملحد لا يصل الى طريق اليقين ولا يحتمله

واشق وهو المرض فهلا تحملت المشقه الحاصله بالعبادات
بقول الانبيا والعلما والحكما واكابر العلما للتخلص من الهلاك
الدايم والعذاب اللازم فانك لو حسبت مده عمرك في الدنيا
كم هو بالاضافه الى الدنيا وكم الدنيا بالاضافه الى الاخره
لعلمت ان المشقه التي تلحقك من اوامر الشرع جميع عمرك
لا تعدل ذره من الم الاخره فان الم الدنيا له اخر وليس
لالم الاخره انقطاع فتعلم ان الخطر هناك اعظم والصبر
على صعوبه احكام الشرع لا شيء بالاضافه الى ما هناك
فينبغي ان تقول لنفسك ان صدق الانبيا والعلما والحكما
وخالفتهم وقعت في عذاب الابد ولا ينفعني ما نلته من
اللذه في تلك الايام القلايل من الدنيا ويمكن ان يكونوا قالوا
الحق وصدقوا فيما اخبروا ومثال هذا المعنى انه لو سلي
اما كل العالم دخنا وامر طاير ان يتناول في كل ما يه الف سنه
جبه من ذلك فانه يفنى الدخن ولا ينقص من الابد شي فاذن
في طول هذه المده كيف يطيق العذاب ومقاساته روحانيا
كان او جسمانيا او حيوانيا واي قدر يكون لمده الدنيا
في جنب ذلك الابد وكل عاقل اعمل فكره في ذلك فانه يعلم

له تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ذكر الامام فخر الدين الرازي
رضي الله عنه في التفسير الكبير ان هذه الاية لما نزلت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فداء حنا يفعل نفسه وا هله النار ويدخل الناس
في الجنة فاجابه ابو بكر رضي الله عنه كيف لنا بالخلاص يا رسول الله
فقال انهوهم عما تنهاكم الله وتامروهم بما امر قوله تعالى عليها ملايكة

فاذن ينبغي ان يحمل ان اشتغاله في هذه الدنيا بغير المزود
والاستعداد للاخرة هو جاهل مغرور اجمل عند ذوي
وسبب ذلك الغفلة وعدم المبالاة بالمعاد والتفكر والتدبر
في ابتداء كل شيء ونهايته فان شهوات الدنيا لا تترك احدا
هو آمن شغلها التفرغ للتفكر فيما يصلحه والا فالواجب
على من تيقن او غلب على ظنه او توهم ذلك والمتعين بحكم
العقل الحذر من هذا الخطر العظيم وسلوك طريق
الاحتياط والاخذ بالاولى والله سبحانه يوفقنا لمرضاته
ويستعملنا فيما يقربنا اليه ويزلف لديه فليس التوكل
الا عليه وافوض امري الى الله وهو حسبي واليه
انيب تم كتاب الذخيرة لاهل البصيرة
والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد النبي واله
الطاهرين واصحابه المنتجبين وازواجه امهات
المومنين وسلم تسليما كثيرا وكان الفراغ منه
في نصف شهر رمضان سنة احد وعشرين وسبعمايه
غفر الله لكاتبه ولقارئه ولمصنفه ولجميع المسلمين
والمسلمات الاحياء منهم والاموات بمحمد واله وصحبه اجمعين

وروى ابن عساكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الحشر والكرسي والشمس والرعد والملائكة الصلاة على الجبار والتغابن والتكوير والدهر والهمزة والنجم والشمس والبروج والانشقاق والاعلى والغاشية والفجر والبلد والشمس والليل والضحى وألم نشرح والتين والعلق والقدر والبينة والزلزلة والعاديات والقارعة والتكاثر والعصر والهمكم والفيل ولايلاف والماعون والكوثر والكافرون والنصر وتبت والاخلاص والمعوذتين ثم قال في آخرها كذلك الله ربي كذلك الله ربي كذلك الله ربي ثلاثا شهد له اربعة آلاف ملك بانه صادق وكتبوا انه مؤمن واعطوه امانا من النار وامانا من الفقر وامانا من وجع البطن واستقبله سبعون الف ملك يستغفرون له ما دام في الدنيا وشهدوا له يوم القيامة انه من اهل الجنة

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما
عن ابي هريرة قال سألت خليلي ابا القاسم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اسم الله
الاعظم قال ايا ابا هريرة عليك بآخر سورة الحشر فاكثر قراءتها فاعدت عليه
فاعاد علي فرات اسارز رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه

فنقول حق على المكلف في هذه الظواهر كقول الملك له حين بلغ العرش
حي ربك وكل ذكر المحبب وفي الحديث فسمعت من وراء الحجاب انا الجبار
ان يستفهم ويسعى في قوله ليس كمثله شيء ويجهد على وجهه
ويتحقق انه لو كان في وجهها ولو كان جسما او لو قام به عرض او لم تكلم
بحرف وصوت يقوم بالذي به لكان مثله كل جسم وكل متكلم بحرف وصوت
وكل متحيز تعالى الله عن ذلك وتقدس واذا استحضر ذلك
فليعتقد ان مراد الله تعالى ورسوله من هذه الظواهر ليس
معارض المفهوم قوله تعالى ليس كمثله شيء واما ان يفوض جميع
علم الله بمراده مع كمال التنزيه المذكور واما ان يتعلق هذه
بتفويض ما عسى ان يكون مرادا موافقا للتنزيه على ما يقتضيه
استعمالات اللغة واتساعات العربية غير قاطع بان التاويل
الذي هو بعينه هو مراد الله تعالى من هذا الكلام فانه ان قطع بذلك
حرف بل يقتصر على ذكر مقتضى كلام العرب في استعمالاتها مع التفويض
الى الله تعالى في علم غيبه بما اراد وقوله عند البلوغ الى العرش حتى
ربك اي قدسه هنالك واجعل العرش قبلتك عند المناجات
تعبدا وتخصيصا بجهة دون جهة بالعقل ان المعبود في الكعبة
مع تساوي العرش والفرش بالنسبة الى انهما مخلوقان محدثان
وقد كان الحق قبلهما حيث لا مكان ولا جهة ولا اعيان واما

[illegible] عن وجوده وذاته سبحانه فان [illegible] الجهة
التي يتقرب بها الى الله الجليل عظمة الله وتنزيهه [illegible] الاكرام [illegible] ليتوبه من
لشوك ربنا بما امر النبي صلى الله عليه وسلم فان الله [illegible] الجلال والاكرام [illegible]
تجيب الشفير ان رجلا الخ فجعل يقول اللهم يا ذا الجلال والاكرام [illegible]

واما السماع من وراء الحجب فالحجب للمخلوق لا للخالق ولهذا كان
الرؤية ان تخيل الوهم انه لابد فيها من الجهة فالمخلوق في الجهة والخالق جل
مقدس عنها كما ان المعرفة القائمة بالعبد متعلقة بالرب لا بد منها من القيام
بالمتميز الذي هو العبد العارف ولكن المعبود المعروف ليس متميزا قال
ملك رحمه الله تعالى في قوله عليه الصلاة والسلام لا تفضلوني على يونس بن متى
فقال ملك انما خص للتنبيه على التنزيه لانه عليه الصلاة والسلام رفع الى العرش
ويونس هبط الى قاموس البحر ونسبتهما مع ذلك من حيث الجهة الى الباري
جل جلاله نسبة واحدة ولو كان الفضل بالمكان لكان عليه الصلاة و
السلام اقرب من يونس بن متى واجل مكانا وانما نهى عن ذلك انكم تحاربون

في كتاب المفتوح في ذكر فضائل المصطفى صلى الله عليه وسلم وشرفه
قوله تعالى وما اتيكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا قال الله
ما اعطاكم من مال الفيء فاقبلوه وما منعكم منه فلا تطلبوه قال ابن عيينة
ما اتاكم من علم فاعملوا به وما نهاكم عنه من معصيتي فاجتنبوه هذا الآية
توجب ان كل ما امر به النبي صلى الله عليه وسلم امر من الله تعالى وقال الحكم بن عتيبة
وكانت له صحبة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا القرآن صعب مستصعب
عسير على من تركه يسير على من اتبعه وكلمه وحديثي صعب
مستصعب وهو الحكم ومن استمسك بحديثي وحكمه
بجامع القرآن ومن تهاون بالقرآن وحديثي خسر الدنيا والآخرة
وامرتم ان تاخذوا بقولي وتفتوا امري وتتبعوا سنتي ومن
رضي بقولي فقد رضي بالقرآن ومن استهزأ بقولي فقد استهزأ
بالقرآن قال الله تعالى وما اتيكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
[illegible] واتقوا الله في اوامره ونواهيه ولا تعصوه ان الله شديد العقاب ولمن

دل و جانها ز تو مست و ببند انسان کمر
همه دران سر اسیمه و سرگردانند
جمله دران جهان کافر و موش ببت و ورور
همه در شوق تو مست و ترا میخوانند
خلوانه ترک کرین ران و سراسیمه شوند
عاشقانند که در روز اجل خندانند
همه عشاق تو کر لیلی اگر مجنونند
بند حکم تن کر خسرو اگر خاقانند
جان پاکیزه بدست ارکه قاش مدرس
عشق و معشوقه و عاشق همه جا با خلقند
قاسمی نادر خلق جهان انسانست
عاشقان از همه رو نادر انسانند

فروغ نور رخت آفتاب تابانست
ولی چیست که از چشم خلق پنهانست
دقیقه ایست در عشق ست عالم سوز
درین دقیقه نظر کن که جای امکانست

اکرچه

اکرچه آنش عشق و آتشیست عظیم
به پیش چشم طلبکار کلستانست
دلی که دم نزند از بادهای مدهوشی
زبانی دارد ترسد که مست عرفانست
کسی که روز قیامت نمیزند دم باک
حلال باد شرابش که مرد مردانست
کمر بجام تو بیک جرعه بر جریفان زد
که شام تا بسحر نوشهای مستانست
چراغ روی تو در انجمن صلای دین بس
حدیث روشنی شمع در شبستانست
کمال عشق و صفا بی که قاسم را هست
ازان صفت که سفیدی ضرار احمدانست